الجامعة الإسلامية ــ غزة
عمادة الدراســات العليــا
كليـــة أصــول الديـــن
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور
(هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل)

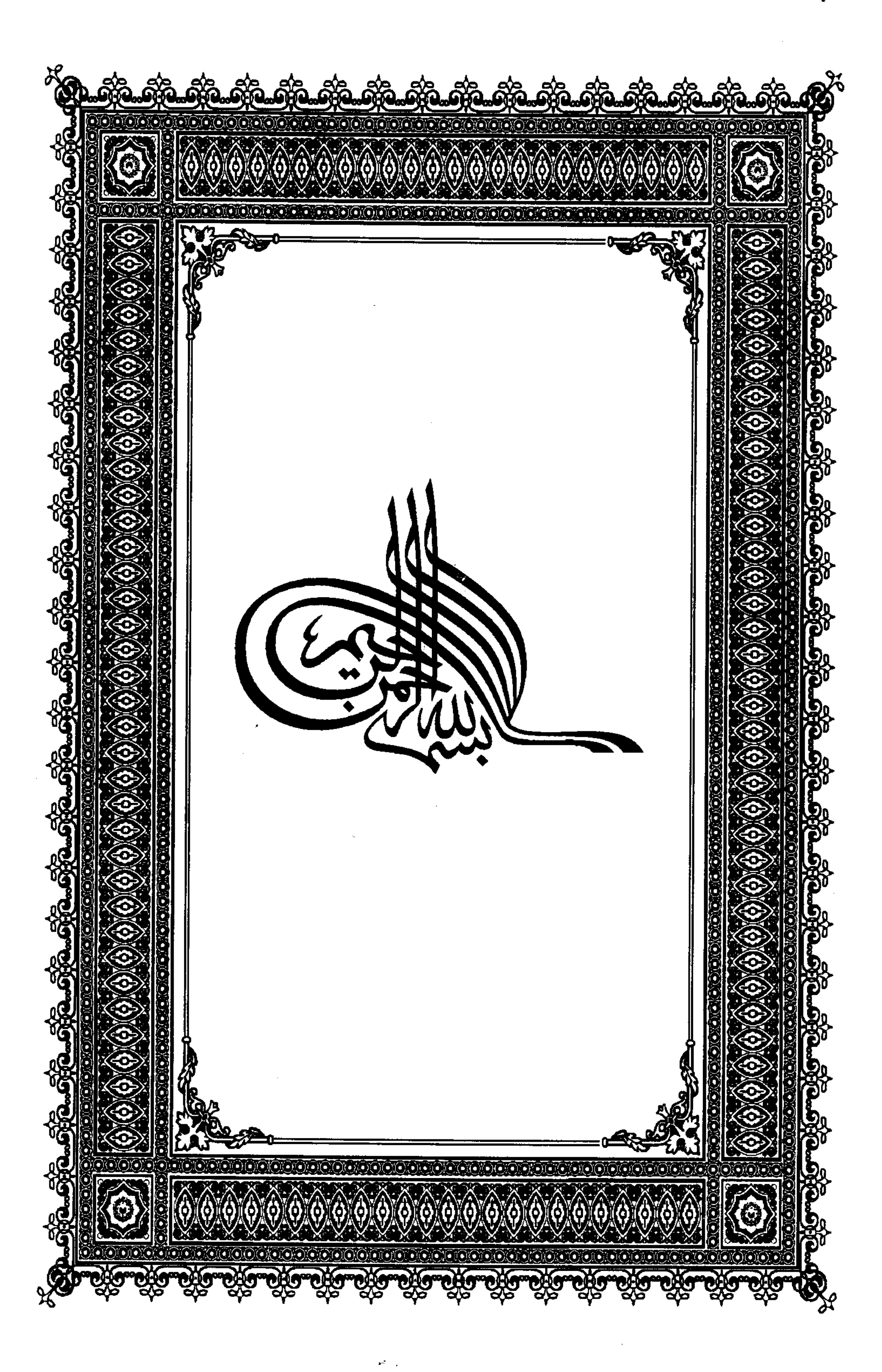
إعداد الباحثة:
هيفاء عبدالرءوف رضوان

إشراف:
د. رياض محمود قاسم

ضبط ومراجعة:
د. مروان محمد أبوراس

الجزء الخامس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

شكــر وتقــدير

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ملء السماوات، والأرض وملء كل شيء بعد، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، سبحانك ربنا لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ وآله وصحبه، وانطلاقاً من قول رسولنا محمد ﷺ «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[(١)]، واعترافاً بالفضل لأهله، أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل:

الدكتور: رياض قاسم حفظه الله

الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة، فلم يأل جهداً في نصحي وتوجيهي وإرشادي، وتشجيعي، وما بخل عليّ بعلم عَلِمه، أو خبرة اكتسبها، أو مرجع حازه، فجزاه الله عني كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين:

الدكتور: عبدالسلام اللوح حفظه الله.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح (١٩٦٢) ج٣ص٣٨٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والدكتور: زهدي أبو نعمة حفظه الله.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، لإثرائها بالملحوظات والتوجيهات.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى ذلك الصرح العلمي الفذّ الذي خرّج للأمة العلماء والفقهاء، والمفكرين والقادة العظام، إلى الجامعة الإسلامية بغزة ممثلة بالقائمين عليها رئاسة وعمادة وأساتذة وإداريين، سائلة المولى ﷻ أن يديمها منارة للمسلمين، ويرد عنها كيد الحاقدين.

وأسمى آيات الشكر والتقدير إلى نبع العطاء الذي لا ينضب، إلى رمز التضحية والتفاني، إلى من احتسباني في خدمة كتاب الله العزيز رجاء الثواب من الله، إلى والدي الحبيبين، الذَين ما فتئا يشجعانني على طلب العلم وبذله، فقد أنار دعاؤهما لي الطريق وأزال عني تعب المسير وشجعني على المواصلة، أطال الله عمرهما ورزقني برهما، فعبارات الشكر والثناء تعجز عن أداء حقهما ولا أملك إلا أن أقول كما أمر ربنا: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأسمى آيات الشكر والتقدير إلى شيخي وأستاذي، ورفيق دربي، زوجي الحبيب الدكتور: عبدالرحمن الجمل، الذي علمني القرآن والقراءات، وشجعني على تعلم هذا العلم وتعليمه، ولم يأل جهداً في مساعدتي على إتمام هذه الرسالة من تشجيع، وتوجيه، ونصح، وإرشاد، وتوفير للمراجع، على الرغم من ضيق وقته وكثرة أعبائه، فجزاه الله عني كل خير.

كما وأتقدم بالشكر الخالص إلى أشقائي وشقيقاتي الأحباء، الذين لم يدخروا جهداً في مساعدتي وتشجيعي حتى أتممت هذا البحث.

وشكري الخالص إلى الأستاذ الفاضل: محمد عوض الله على تفضله

بقبول تدقيق هذه الرسالة، فجزاه الله عني كل خير.

وأخيراً شكري الخالص إلى كل من ساهم ولو بأقل جهد في إتمام هذا البحث، أو خصني بدعوة في ظهر الغيب.

والحمد لله أولاً وآخراً.

مفتاح مختصرات ورموز الرسالة

- إبراز المعاني = إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع.
- الإتقان = الإتقان في علوم القرآن.
- اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات = اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات المنقولة في تفسير أبي حيان (البحر المحيط).
- أسد الغابة = أسد الغابة في معرفة الصحابة.
- الاستيعاب = الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
- الإصابة = الإصابة في معرفة الصحابة.
- الإرشاد = إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر.
- البرهان = البرهان في علوم القرآن.
- ت ١٢٣هـ = توفي سنة ١٢٣ هجرية.
- تحفة الأريب = تحفة الأريب بما في القرآن من غريب.
- التحليل اللغوي = دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر (٣) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام.

- التذكرة = التذكرة في القراءات الثمان.
- التسهيل = التسهيل لعلوم التنزيل.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.
- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل.
- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
- تفسير السمرقندي = بحر العلوم.
- تفسير الصنعاني = تفسير القرآن للصنعاني.
- تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- تفسير الفخر الرازي = التفسير الكبير.
- تفسير القاسمي = محاسن التأويل.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون.
- تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار.
- تناسق الدرر = تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور.
- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل.
- التيسير = التيسير في القراءات السبع.
- ج = جزء.

- ح (١٢٣) = حديث رقم (١٢٣).
- حاشية الشهاب = حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي.
- حاشية زاده = حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي.
- خزانة الأدب = خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.
- د = دكتور.
- الدر المنثور = الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
- السبعة = السبعة في القراءات.
- ص = صفحة.
- شذا العرف = شذا العرف في فن الصرف.
- طبقات ابن سعد = الطبقات الكبرى.
- العباب الزاخر = العباب الزاخر واللباب الفاخر.
- علم القراءات نشأته أطواره = علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية.
- عون المعبود = عون المعبود شرح سنن أبي داوود.
- غاية الاختصار = غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار.
- غرر التبيان = غرر التبيان في من لم يُسَمَّ في القرآن.
- فتح القدير = فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير.
- ق = قسم.

- القراءات القرآنية لعبدالحليم قابة = القراءات القرآنية ـ تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها.
- القراءات القرآنية للفضلي = القراءات القرآنية، تاريخ وثبوت.
- قلائد الفكر = قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر.
- القواعد والفوائد = القواعد والفوائد في الإعراب.
- الكافي = الكافي في القراءات السبع.
- الكشف = الكشف عن وجوه القراءات السبع.
- اللامات دراسة نحوية = اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية.
- ما انفرد به كل من القراء السبعة = ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي.
- مجموع الفتاوى = مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.
- مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني.
- ملاك التأويل = ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.
- منجد المقرئين = منجد المقرئين ومرشد الطالبين.
- النشر = النشر في القراءات العشر.
- الهادي = الهادي شرح النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها.
- ... = في هذا المكان حذف كلام من النص المنقول.

الفصل الأول
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سورتي هود ويوسف عليهما السلام

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة هود عليه السلام.

المبحث الثاني: سورة يوسف عليه السلام.

المبحث الأول
سورة هود عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة هود عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة هود عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة هود عليه السلام.

اسمها:

سميت سورة هود عليه السلام في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة بهذا الاسم، ولا يعرف لها اسم غير ذلك(٢)، ووردت هذه التسمية عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أنّ أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله - ﷺ - قد شبت، قال: «**شيبتني هودٌ، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت**»(٣). وقد تكرر فيها ذكر اسم هود عليه السلام خمس مرات وذكرت فيها قصته مع قومه. وما حكي عنه فيها أطول مما

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ ص٣١١.

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح ٣٣٠٣) ج٥ص١٩٣. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

حكي عنه في غيرها[٤].

نزولها:

سورة هود عليه السلام كلها مكية عند الجمهور، واستثنى بعضهم ثلاث آيات: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود: ١٢]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤]. واستدلوا على الأخيرة بما صحّ من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حقّ أبي اليسر[٥][٦].

---

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ ص٣١١.

(٥) أبو اليَسَر: «هو كعب بن عمرو الأنصاري له صحبة، شهد بدراً مع النبي ﷺ» (التاريخ الكبير للبخاري ج٤ص٢٢٠). قال الترمذي: «حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت إنّ في البيت تمراً أطيب منه فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فأتيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكرت ذلك له فقال: أَخلَفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلاّ تلك الساعة حتى ظنّ أنه من أهل النار قال: وأطرق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طويلاً حتى أوحي إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾...» سنن الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ج٥ ص٨٠، ٨١، والحديث أخرجه ابن جرير ج١٢ص١٣٧، والبخاري في التاريخ الكبير ج٧ ص٢٢١، والواحدي في أسباب النزول. ص١٣٥، ١٨٠، وهو حديث حسن لغيره. (انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول ص١٣٤).

(٦) انظر: الإتقان ج١ص٢٠، روح المعاني ج١٢ص٢٠٢، التحرير والتنوير ج١٢ ص٣١١، ٣١٢، الأساس في التفسير ج٥ ص2526.

«والأصحّ أنها كلها مكية وأنّ ما روي من أسباب النزول في بعض آيها توهم ـ لاشتباه الاستدلال بها في قصة ـ بأنها نزلت حينئذ»(٧).

«ومراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنها تجيء في موضعها من السياق، بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادئ ذي بدء، فضلاً على أن موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة، وموقف مشركي قريش منها، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ والقلة القليلة معه والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار»(٨).

وقد نزلت هذه السورة بجملتها بعد سورة يونس عليه السلام وقبل سورة يوسف عليه السلام، في فترة من أحرج الفترات في تاريخ الدعوة بمكة، فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، وجرأة المشركين على ما لم يكونوا يجرءون عليه من قبل. حيث بلغت الحرب المعلنة على الدعوة ذروتها(٩).

عدد آياتها:

عدد آيها مائة وإحدى وعشرون في العدّ المدني الأخير، ومائة واثنتان وعشرون في العدّ المدني الأول وفي عدّ أهل الشام، ومائة وثلاث وعشرون في عدّ أهل البصرة وعدّ أهل الكوفة(١٠).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة يونس عليه السلام):

وجه اتصالها بسورة يونس عليه السلام اتفاقها معها في المعنى والموضوع ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمطلع تلك فإن قوله تعالى هنا: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] نظير قوله سبحانه هناك: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١]، وتفصيلها ما أجمل في سورة يونس عليه السلام من

(٧) التحرير والتنوير ج١٢ص٣١٢، وانظر: إتقان البرهان ج١ ص٣٨٤.

(٨) في ظلال القرآن ج٤ ص٤٨٩.

(٩) انظر: التحرير والتنوير ج١١ ص٣١٢، في ظلال القرآن ج٤ ص٤٩٠، ٤٩١.

(١٠) انظر: روح المعاني ج١١ص٢٠٢، التحرير والتنوير ج١١ص٣١٢، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص ٩٥.

أمور الاعتقاد، من إثبات الوحي والتوحيد والبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب، وإعجاز القرآن وإحكام آياته، ومحاجة المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن، وذكر قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، كما أنه ذكر في سورة يونس عليه السلام قصة نوح عليه السلام مختصرة مجملة فشرحت في هذه السورة وبسطت فيها ما لم تبسط في غيرها من السور، بل بين مطلع هذه وختام تلك شدة ارتباط أيضاً حيث ختمت سورة يونس عليه السلام بنفي الشرك واتّباع الوحي وافتتحت سورة هود عليه السلام ببيان الوحي والتحذير من الشرك، فكان أول هود تفصيلاً لخاتمة يونس(١١).

ما اشتملت عليه السورة:

تضمنت هذه السورة كسورة يونس عليه السلام أصول الدين العامة وهي التوحيد والرسالة، والبعث والجزاء، وتوضيح هذه العناصر إجمالاً فيما يلي:(١٢)

١ ـ إثبات كون القرآن من عند الله تعالى، من طريق إحكام آياته وإتقانها بنظمها نظماً رصيناً محكماً لا نقص فيه ولا خلل، ثم تفصيلها في الحال دون تراخ.

٢ ـ إثبات الوحدانية لله تعالى، في ألوهيته، فهو وحده المستحق للعبادة، كذلك في ربوبيته، فهو وحده الخالق المدبر لهذا الكون، والمتصرف فيه على مقتضى حكمته ونظام سنته.

٣ ـ إثبات البعث والجزاء.

٤ ـ إيراد قصص الأنبياء عليهم السلام تسلية للنبيّ ﷺ، وعبرة وعظة للمؤمنين. وقد ذكر الله تعالى قصة نوح عليه السلام ثمّ قصة هود عليه السلام، ثم

(١١) انظر: تناسق الدرر ص٩٤، روح المعاني ج١١ ص٢٠٢، التفسير المنير ج١٢ ص٦.

(١٢) انظر: التفسير المنير ج١٢ ص٦ ـ ١٠.

قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود وأشار إلى قصة ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة، ثم قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

٥ ـ التعقيب المباشر على ما في تلك القصص من عبر وعظات.

٦ ـ الأمر بالاستقامة في الدين.

٧ ـ بيان أنّ الطغيان سبيل الدمار، وأنّ الركون إلى الظلم موجب لعذاب النار.

٨ ـ الأمر بإقامة الصلاة في أوقاتها والصبر على الطاعة.

٩ ـ محاربة الفساد في الأرض من أجل حفظ الأمة والأفراد من الهلاك.

١٠ ـ تهديد المعرضين عن دعوة الحق.

١١ ـ التخفيف والتسرية عن الرسول ﷺ والمؤمنين وأمرهم بعبادة الله والتوكل عليه.

المطلب الثاني: تفسير سورة هود عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف العاشر (**سَاحِرٌ**) بفتح السين، وألف بعدها، وكسر الحاء.

٢ ـ قرأ الباقون (سِحْرٌ) بكسر السين وحذف الألف، وإسكان الحاء[١٣].

(١٣) انظر النشر ج٢ ص٢٥٦، الكشف ج١ ص٤٢١.

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «السَّحَرُ طرف الحلقوم، والرئة، والسُّحَارَة ما يُنْزَعُ من السَّحَر عند الذبح فيرمى به، وقيل منه اشتق السِّحْر وهو إصابة السَّحَر. والسِّحْرُ يقال على معانٍ: **الأول**: الخِداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المُشَعْبِذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، وما يفعله النّمام بقول مزخرف عائق للأسماع. **والثاني**: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه. **والثالث**: ما يذهب إليه الأغْتام(١٤)، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قُوَّتِه يُغَيِّر الصور والطبائع فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المُحَصلين. وقد تُصُوِّر من السحر تارةَ حُسْنُه فقيل: إنَّ من البيان لسحراً، وتارةً دقة فعله، وسُمّي الغذاء ساحراً من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣]، قيل: ممن جعل له سَحَرٌ تنبيهاً أنه محتاج إلى الغذاء، وقيل معناه ممن جعل له سِحْرٌ يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتي به ويدعيه، على المعنى الثاني دلّ قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧]»(١٥).

التفسير:

قال تعالى: الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل أن يخلقهما، ليختبركم أيكم أحسن له طاعة، فيجازيكم بحسب أعمالكم، ولئن قلت يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم، فتَلوت عليهم بذلك تنزيلاً ووحياً، لَيَقُولُنّ ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول إلا سحر لسامعه، مبين حقيقته أنه سحر، وما أنت فيما أتيت به من ذلك إلاّ ساحر(١٦).

---

(١٤) الأغتام: جمع أغتم، وهو من لا يفصح شيئاً، والغُتمة بالضمّ: العجمة. (القاموس المحيط ص ١٤٧٤).

(١٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٥، ٢٢٦ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص ٤ ـ ٦، روح المعاني ج١٢ ص١٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بغير ألف على جعل الإشارة إلى ما جاء به النبي ﷺ، حيث أخبر الله تعالى عنهم أنهم جعلوا ما جاء به النبي ﷺ سحراً، ويجوز أن تكون الإشارة إلى النبي ﷺ، وفي الكلام تقدير حذف مضاف، أي: إن هذا إلا ذو سحر، فتكون كالقراءة بالألف. والقراءة ﴿سَاحِرٌ﴾ بألف على جعل الإشارة إلى النبي ﷺ، حيث أخبر الحق تعالى عنهم أنهم قالوا: إن هذا إلا ساحر، فأخبر عن الاسم باسم الفاعل وهو بابه. ويجوز أن يكون ﴿سَاحِرٌ﴾ بمعنى سحر، لأن الاسم قد يقع موضع المصدر، كقولهم: عائذاً بالله من شَرِّها، أي عياذاً، فتكون القراءة بالألف كالقراءة بغير ألف(١٧). فالقراءتان كلٌّ منهما تشير إلى معنىً ظاهر تحتمله الأخرى، ولا شكّ أنّ ورود المعنى بصيغة مباشرة مرة، وبأخرى غير مباشرة، فيه زيادة تأكيد للمعنى، فكلتا القراءتين أفادت أنّ المشركين قالوا: إن هذا إلا ساحر، وعبّروا عنه تارة باسم الفاعل، وتارة بالمصدر حيث جعلوه السحر نفسه مبالغة(١٨)، والساحر كاذب مبطل(١٩) فلا يأتي إلا بما هو كذب. كما قال المشركون كذلك: إنّ ما جاء به الرسول ﷺ ما هو إلا سحر، وعبّروا عنه تارة باسم الفاعل، وتارة بالمصدر، والسحر أمر باطل.

٢ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [هود: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ﴿يُضَعَّفُ﴾ بحذف الألف بعد الضاد وتشديد العين.

---

(١٧) انظر: الكشف ج١ ص٤٢١.

(١٨) انظر المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٣٢.

(١٩) انظر الكشاف ج٢ ص ٢٦٠.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُضَٰعَفُ﴾ بإثبات الألف وتخفيف العين[٢٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

(ضعف): الضاد والعين والفاء أصلان متباينان، يدل أحدهما على خلاف القوة، ويدل الآخر على أن يزاد الشيء مثله. فالأول الضَعف وهو خلاف القوة، والآخر: أضعفت الشيء إضعافاً وضَعَّفته تضعيفاً وضَاعَفْتُه مُضَاعَفَةَ، وهو أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر[٢١].

قال الراغب: «الضِّعْف من الألفاظ المتضايفة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر كالنصف والزوج، وهو تركيب قدرين متساويين ويختص بالعدد، فإذا قيل أضعفت الشيء وضَعَّفته وضاعفته ضممت إليه مثله فصاعداً. قال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضَعَّفت»[٢٢].

التفسير:

هؤلاء الذين وصف الله جلّ ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله، لم يكونوا بالذين يعجزون ربهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنهم في قبضته وملكه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم، ولا يفوتونه هرباً إذا طلبهم، ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم أنصار ينصرونهم من الله، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم، وقد كانت لهم في الدنيا مَنَعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء. هؤلاء الصادون عن سبيل الله يزاد في عذابهم، فيضاعف عليهم العذاب، وذلك أنّ الله تعالى جعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم بل كانوا صماً عن سماع الحق عمياً عن اتباعه[٢٣].

(٢٠) انظر النشر ج٢ ص٢٢٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٢١) انظر: العين ج١ ص٢٨٢، معجم مقاييس اللغة ج٣ ص٣٦٢.

(٢٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٩٥.

(٢٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٢، ٢٣، تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٥١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى أكثر العلماء أنّ التشديد والتخفيف في هذه الكلمة على لغتين من لغات العرب، وأنّ معنى التضعيف والإضعاف والمضاعفة واحد وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر[٢٤]. وذلك أنّ (فاعل) و(فعّل) قد يأتيان بمعنى واحد[٢٥]. قال سيبويه: «وقد تجيء (فاعلت) لا تريد بها عمل اثنين، ولكنهم بنوا عليه الفعل كما بنوه على (أفعلت) وذلك قولهم: ناولته، وعاقبته، وعافاه الله، وسافرت .... ونحو ذلك: ضاعَفْتُ وضعّفت، مثل ناعمت ونعّمت، فجاءوا به على مثال عاقبته»[٢٦]. وقال الكسائي: «المعنى فيهما واحد: ضعّف وضاعف»[٢٧].

ويرى ابن زنجلة أنّ هنالك ثمّ فرقاً في معنى القراءتين حيث يقول: «وحجة التشديد أنّ المعنى فيه تكرير الفعل وزيادة الضعف على الواحد، إلى ما لا نهاية له، وحجة التخفيف: قالوا: إنّ أمر الله أسرع من تكرير الفعل، إنما هو (كن فكان)»[٢٨].

وبالجمع بين القراءتين على هذا القول يصبح المعنى: هؤلاء الصادون عن سبيل الله يزاد في عذابهم فيضاعف عليهم العذاب أضعافاً كثيرة، ولن يكون هناك تأخر في حصول هذا العذاب لأنه بأمر الله الذي إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون. والله تعالى أعلم.

٣ - ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤].

(٢٤) مفاتيح الأغاني ص١١٨.
(٢٥) انظر: شذا العرف ص٢٩.
(٢٦) الكتاب ج٤ ص٦٨، وانظر: الترادف في صيغ الأفعال ص٢٨.
(٢٧) حجة القراءات ص١٣٩.
(٢٨) حجة القراءات ص١٣٩.

القراءات:

١.قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُون﴾ بتشديد الذال[٢٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

الذكر الحفظ للشيء تَذْكُره، والذكر أيضاً جرى الشيء على لسانك[٣٠]، وذَكَرت الشيء خلاف نَسِيته[٣١]. والتذكير: خلاف التأنيث، والوعظ[٣٢].

قال الراغب: «الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة....، وتارة يقال لحضور القلب أو القول»[٣٣].

التفسير:

مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصم الذي لا يسمع شيئاً، فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة لا يهتدي لخير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به، وأمّا المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشرّ، سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يرجع إليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا؟ أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء[٣٤].

---

(٢٩) انظر: السبعة ص ٢٧٢، ٢٧٣، النشر ج٢ ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٣٠) انظر: لسان العرب ج٣ص١٥٠٧، القاموس المحيط ص٥٠٧.

(٣١) انظر: معجم مقاييس اللغة مج٢ ص٣٥٨.

(٣٢) القاموس المحيط ص ٥٠٨.

(٣٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٧٨.

(٣٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٥، تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٥٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالتخفيف في الذال على حذف إحدى التاءين تخفيفاً وذلك أنّ أصله (تتذكرون)، والقراءة بالتشديد في الذال على إدغام التاء الثانية من (تتذكرون) في الذال(٣٥)، وفي التشديد معنى المبالغة في التَّذكر والعمق فيه(٣٦).

قال مكي: «وفي التشديد معنى تكرير التذكر، كأنه تذكر بعد تذكر، ليتفهم من خوطب بذلك»(٣٧).

وحيث إنّ تكرار الفعل في المشدد يستدعي وقتاً أطول بخلاف المخفف فإن التخفيف في الفعل يتناسب مع ضرورة السرعة في الاستجابة لأمر الله تعالى بالاتعاظ وأخذ العبرة. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ بكسر الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَنِّي لَكُمْ﴾ بفتح الهمزة(٣٨).

التفسير:

يخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول بعثه الله عز وجل إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه: إنّي لكم أيها القوم

(٣٥) انظر: الكشف ج١ص٤٥٧. قال سيبويه: «مما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان قولهم: يطّوعون في يتطوعون ويذّكرون في يتذكرون، وإن شئت قلت في تتذكرون ونحوها تَذَكَّرون، ولا يجوز حذف واحدة منهما، يعني من التاء والذال في تذكرون، لأنه حذف منها حرف قبل ذلك وهو التاء» الكتاب ج٤ص٤٧٤.

(٣٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٥٣.

(٣٧) الكشف ج١ص٤٥٧.

(٣٨) انظر: السبعة ص٣٣٢، المبسوط ص٢٣٨.

﴿نَذِيرٌ﴾ ظاهر النذارة، أنذركم بأسه على كفركم به، وأُبِيْن لكم عما أرسل به إليكم من أمر الله ونهيه[٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح الهمزة على تقدير حذف حرف الجر أي بأني[٤٠] بمعنى: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بأنّي لكم نذير مبين[٤١]. والقراءة بكسر الهمزة على إضمار القول بمعنى: قال لهم: إنّي لكم نذير[٤٢].

قال ابن عاشور: «﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة على أنه محكي بفعل قول محذوف في محل حال أي قائلاً، وبفتح الهمزة على تقدير حرف جرّ وهو الباء للملابسة، أي أرسلناه متلبساً بذلك، أي بمعنى المصدر المنسبك من ﴿أَنّي لَكُمْ﴾، أي متلبساً بالنذارة البينة[٤٣].

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه بالنذارة البينة فبلّغ الرسالة وقال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ...﴾. والله تعالى أعلم.

٥ ـ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

(٣٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٦، تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٥٢.

(٤٠) وذلك لأن أرسل يتعدى إلى مفعولين الثاني بحرف جر (انظر: الكشف ج١ص٥٢٥، القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص٦٣).

(٤١) انظر: القطع والائتناف ص٢٦١، التذكرة ج٢ص٣٧٠، إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٥.

(٤٢) انظر: التذكرة ج٢ص٣٧٠، الكشف ج١ص٥٢٥، مفاتيح الأغاني ص٢١١، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش ج٤ ص٣٣٧.

(٤٣) التحرير والتنوير ج١٢ص٤٤، وانظر: روح المعاني ج١٢ص٣٦.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ﴿بَادِئَ﴾ بهمزة مفتوحة بعد الدال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بَادِيَ﴾ بياء مفتوحة بعد الدال(٤٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (بدا): بدا الشيء بَدْواً، وبداءً أي ظهر ظهوراً بيناً(٤٥).

٢ ـ (بدأ): بدأ بالشيء، فَعله ابتداءً(٤٦). ويقال بدأت بكذا وأَبْدَأْتُ وابْتَدَأْتُ أي قَدَّمت، والبَدْءُ والإبداء تقديم الشيء على غيره ضرباً من التقديم، ومبدأ الشيء هو الذي منه يتركب أو منه يكون.

قال أبو حيان: «بادئ: أول، وبادي: ظاهر»(٤٧).

التفسير:

يقول تعالى ذكره: فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم ـ وهم الملأ الذين كفروا بالله وجحدوا نبوة نبيهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما نراك يا نوح إلا بشراً مثلنا يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس، وذلك تعريض(٤٨) بأنهم أحقّ بالنبوة منه، وأنّ الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنّك واحد من الملأ، وموازٍ لهم في المنزلة، فما جعلك أحقّ منهم بها؟. ثم قالوا وما نراك اتبعك إلاّ الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن ذلك عن تروٍ منهم ولا فكر ولا نظر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك

---

(٤٤) انظر النشر ج٢ ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٤٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٠.

(٤٦) انظر: القاموس المحيط ص ٤٢.

(٤٧) تحفة الأريب ص٦١.

(٤٨) التعريض لغةً: خلاف التصريح، وفي البلاغة: هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق. (البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص١٤٩).

فاتبعوك[٤٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة بالهمز أنه جعله من (بدأ يبدأ) إذا فعل الشيء أولاً، وحجة من لم يهمز أنه جعله من (بدا يبدو) إذا ظهر، ويجوز أن يكون من قرأه بالياء أراد الهمز، ثم أبدل الهمزة لانفتاحها وانكسار ما قبلها، فتكون القراءتان بمعنىً من (الابتداء)[٥٠].

«وهاتان الكلمتان تتقاربان في المعنى لأن الهمز في اللام فيها ابتداءٌ للشيء وأوَّله، واللام إذا كانت واواً كان المعنى الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهوراً؛ فلذلك تستعمل كل منهما في موضع الأخرى»[٥١]. والقراءتان بمجموعهما أفادتا ظهور الرأي وبيانه من بدايته، من غير تأمل، أو تَعَقُّب بتفكر ونظر. والله تعالى أعلم.

٦ ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بضم العين وتشديد الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَعَمِيَتْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم[٥٢].

(٤٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٢ ـ ٤٥٣، الإكسير في علم التفسير ص١٦٦، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص١٥٣.

(٥٠) انظر: حجة القراءات ص٣٣٨، الكشف ج١ ص ٥٢٦، مفاتيح الأغاني ص٢١١، إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٥.

(٥١) الحجة للقراء السبعة ج٤ص٣١٧، ٣١٨، وانظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش ج٤ص٣٣٦.

(٥٢) انظر: السبعة ص٣٣٢، المبسوط ص٢٣٨، النشر ج٢ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

(عمي): ذهب بصره كله، وعمّاه تَعْمِية: صيّره أعمى، وعمّى معنى البيت: أخفاه. والعَمَى أيضاً ذهاب بصر القلب(٥٣).

التفسير:

يقول الله تعالى مخبراً عمّا ردّ به نوح على قومه إذ كذبوه: أرأيتم إن كنت على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله، فخفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، أفنغصبكم على قبولها وأنتم لها كارهون، بل لن نفعل ذلك، وإنّما نَكِل أمركم إلى الله ﷻ حتى يكون هو الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء(٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم مبنياً للفاعل، من العمى ضد البصر، والمراد به هنا الخفاء مجازاً، أي خفيت عليكم لأنكم لم تنظروا فيها حقّ النظر، وقيل الكلام على القلب، والأصل فَعَمِيتم عنها كما تقول العرب: أدخلت الخاتم في أصبعي. ويُقرأ بالتشديد والضم، أي: عمّاها الله عليكم عقوبة لكم(٥٥).

قال ابن عاشور: «ومعنى ﴿فَعَمِيَتْ﴾: فخفيت وهو استعارة، إذ شبهت الحجة التي لم يدركها المخاطبون كالعمياء في أنها لم تصل إلى عقولهم كما أنّ الأعمى لا يهتدي للوصول إلى مقصده فلا يصل إليه. ولمّا

(٥٣) انظر القاموس المحيط ص١٦٩٥.

(٥٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٨، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٣.

(٥٥) انظر: حجة القراءات ص٣٣٨، ٣٣٩، الكشف ج١ص٥٢٧، مفاتيح الأغاني ص٢١١، إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ ص٣٧، تفسير البيضاوي ج١ ص٤٥٥، إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٥، ٢٥٦، روح المعاني ج١٢ص٣٩، إعراب القرآن وبيانه لدرويش ج٤ص٣٣٩.

ضُمِّن معنى الخفاء عُدِّيَ فعل ﴿فَعَمِيَتْ﴾ بحرف ﴿عَلَىٰ﴾ تجريداً للاستعارة. ومن بديع هذه الاستعارة هنا أنّ فيها طباقاً لمقابلة قولهم في مجادلتهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا - وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ - وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فقابل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامهم مقابلة بالمعنى واللفظ إذ جعل عدم رؤيتهم من قبيل العَمَى»(٥٦).

والمتأمل لهاتين القراءتين يلمح روعة التعبير، ودقة الوصف لهؤلاء القوم الذين كفروا بما أرسل به نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث انعدمت لديهم وسائل الاهتداء بهذه الرحمة التي أرسلها الله إليهم، فقد خفيت عليهم الهداية وعموا عنها، ولشدة كفرهم كأن الهداية ضلت عنهم وعميت كما ضلوا عنها وعموا، فلا هم يتوقون إلى الهداية، ولا الهداية تتوق إليهم، وذلك مبالغة في وصف كفرهم وضلالهم. والله تعالى أعلم.

٧ - ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [هود: ٣٠].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال(٥٧).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤](٥٨).

٨ - ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤].

(٥٦) التحرير والتنوير ج١٢ص٥٢.

(٥٧) انظر: السبعة ص ٢٧٢، ٢٧٣، النشر ج٢ ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٥٨) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم.

٢ ـ قرأ الباقون (تُرْجَعُونَ) بضم التاء وفتح الجيم(٥٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

(رجع): الرُجوع العود إلى ما كان منه البدء، أو تَقديرُ البدء، مكاناً كانَ أو فعلاً أو قولاً، وبذات الشيء كان الرجوع أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله، والرَّجع الإعادة. فمن الرجوع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ [يوسف: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ومن الرَّجع قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٦٠).

التفسير:

قال نوح عليه السلام لقومه: ولا ينفعكم تذكيري إياكم ونصحي لكم إن أراد الله شقاوتكم وإغواءكم ودماركم، هو إلـهكم الذي خلقكم، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر، وإليه مرجعكم ومصيركم فيجازيكم على أعمالكم(٦١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿تَرْجِعُونَ﴾ من الفعل (رجع) اللازم و(واو) الجماعة في محل رفع فاعل، أما ﴿تُرْجَعُونَ﴾ فهو على ما لم يسمَّ فاعله، وهو متعدٍ على هذا الوجه، ولولا ذلك لما بنى لما لم يسم فاعله. والعرب تقول: رجعتُهُ فرجع، لفظ اللازم والمتعدي سواءٌ كقولك: نقصته فنقص(٦٢).

---

(٥٩) انظر النشر ج٢ص٢٠٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٦٠) انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٨٨.

(٦١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٦٥٣، تفسير البيضاوي ج١ص٤٥٩، تفسير الفخر الرازي ج١٧ص٢٢٨، صفوة التفاسير ج٢ص١٤.

(٦٢) انظر: معاني القراءات ص٧٤، ٧٥، إملاء ما منّ به الرحمن ج١ص١١٨.

قال ابن عاشور: «و﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأه يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والقراءة الأولى أنّ الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر»(٦٣).

وقال أبو حيان: «لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أنّ غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادّ»(٦٤).

قال الشعراوي: «وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تقرأ قراءتان: بضمة على التاء، ومرة بفتحة على التاء، الأولى معناها: أننا نُجْبَرُ على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله تعالى بإرادتنا، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع إلى الله، أمّا الثانية ﴿تَرْجِعُونَ﴾ فهذه فيها إرادة، وهي تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله»(٦٥).

قلت: ما أشار إليه ابن عاشور رحمه الله أقرب إلى معنى الآية حيث إنّ الخطاب فيها للكافرين.

مما سبق يتبين أن القراءتين معاً تؤكدان وقوع الرجوع إلى الله تعالى. فالقراءة بالبناء للمفعول تخبر أنّ الله تعالى يُرجع الكفار جبراً لا بإرادتهم، والقراءة بالبناء للفاعل بيان لمدى خضوع الكفار إلى تصرف الله ﷻ، برجوعهم إليه خاضعين، على الرغم مما ينتظرهم من عذاب. والله تعالى أعلم.

٩ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠]

(٦٣) التحرير والتنوير ج١ص٣٧٧.

(٦٤) البحر المحيط ج١ص٢٧٨.

(٦٥) تفسير الشعراوي ج١ص٢٢٨.

القراءات:

١ ـ قرأ حفص (كلٍّ) بالتنوين.

٢ ـ قرأ الباقون (كلِّ) بترك التنوين[٦٦].

التفسير:

يقول تعالى مخاطباً نوحاً عليه السلام: إذا جاء أمرنا من الأمطار المتتابعة، وتفجرت الأرض عيوناً، حتى صارت التنانير التي هي مكان النار تفور ماءً، فحينئذٍ احمل معك في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح ـ قيل وغيرها من النباتات ـ ، ذكراً وأنثى، واحمل فيها أهلك ـ وهم أهل بيته وقرابته ـ إلاّ من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله، واحمل في السفينة من آمن من قومك. وما آمن معه إلا نزر يسير مع طول المدة والمقام[٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿كلٍ﴾ بالتنوين، على معنى: من كل شيء ومن كل زوج زوجين، فَحَذفَ المضاف إليه[٦٨] وهو لفظ: شيء أو زوج وعوض عنه بالتنوين[٦٩]. ومفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ هو ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾، و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ توكيد له[٧٠]. وقراءة ﴿كلِ﴾ بتركِ التنوين على الإضافة، وفيه وجهان: أحدهما أنّ مفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ هو ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾، تقديره: احمل فيها اثنين من كل زوج. والثاني أنّ ﴿من﴾ زائدة والمفعول ﴿كل﴾ واثنين توكيد[٧١].

---

(٦٦) انظر: السبعة ص٣٣٣، النشر ج٢ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٦٧) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٦.

(٦٨) انظر: مفاتيح الأغاني ص٢١٢.

(٦٩) وهو تنوين عوض لأنه عوض عن المحذوف. (انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ ص ٢٢، النحو الوافي ج١ص٤٠).

(٧٠) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٣٨.

(٧١) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٣٨، الكشف ج١ص٥٢٨، التحرير والتنوير ج١٢ ص٧٢.

قال الفخر الرازي: «الزوجان عبارة عن كل شيئين يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى[٧٢]، والتقدير كل شيئين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين، واحد ذكر والآخر أنثى، ولذلك قرأ حفص ﴿مِن كلٍّ﴾ بالتنوين وأراد: واحمل من كل شيء زوجين اثنين، الذكر والأنثى زوج، لا يقال عليه إنّ الزوجين لا يكونان إلا اثنين فما الفائدة في قوله ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ لأنا نقول هذا على مثال قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] وقوله: ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]، وأمّا على القراءة المشهورة فهذا السؤال غير وارد»[٧٣].

وعليه فإن القراءة بالإضافة جاءت موضحة للقراءة بالتنوين وعلى كلتا القراءتين يصبح معنى الآية: احمل في السفينة من كل صنف زوجين، ذكراً وأنثى. والله أعلم.

١٠ - ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ بفتح الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿مُجْراها﴾ بضم الميم[٧٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

(الجَرْيُ): المَرُّ السريع، يقال: جَرَى يجري جَرياً وجرياناً وجِرْية، وأصله كمَر الماء، ولِما يجري بجريه و﴿مجراها﴾ بالفتح والضم: مصدرا

(٧٢) قال الطبري: «وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين: الزوجان في كلام العرب: الاثنان مطلقاً» (تفسير الطبري ج١٢ص٤١).

(٧٣) تفسير الفخر الرازي ج١٧ص٢٣٥.

(٧٤) انظر: السبعة ص٣٣٣، النشر ج٢ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٤، ١٥٥، وقد تركت الباحثة ذكر اختلاف القراء في الإمالة والفتح والتقليل في هذه الكلمة لأنها لم تتناول الأصول حسب ما بينته في منهج البحث.

جَرى وأَجْرى[٧٥].

التفسير:

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال للذين أُمر بحملهم معه في السفينة: اصعدوا إلى السفينة، بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوها، إنّ ربي لستّار لذنوب من تاب وأناب وهو رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة[٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح الميم مصدر (جرى) الثلاثي من قولهم: جرت السفينة جَرياً ومَجرى، على معنى: بسم الله حين تجري. والقراءة بالضم مصدر (أجرى) الرباعي، على معنى: بالله إجراؤها[٧٧].

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: قال اركبوا فيها بسم الله حين تجري وبالله إجراؤها. والمتأمل لكلا المعنيين يلحظ أنّ القراءة الأولى نسبت (الجري) إلى السفينة، ولا يخفى ما في هذا من إشارة إلى ضرورة الأخذ بالأسباب فلولا إتقان صنعها ـ بفضل الله تعالى ـ ما جرت، أمّا القراءة الثانية فإنها نسبت (الإجراء) إلى الله تعالى، ولا يخفى ما في هذا من الإشارة إلى أنّ مقاليد الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى فلو قضى عدم جري السفينة ـ رغم إتقان صنعها ـ ما جرت، فللّه عز وجل الأمر كله، وفي ذلك تنبيه على ضرورة التوكل على الله في جميع الأمور بعد الأخذ بالأسباب. والله تعالى أعلم.

١١ ـ ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى

(٧٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٩٢، القاموس المحيط ص١٦٣٩.

(٧٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٤٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٦، روح المعاني ج١٢ص٥٦، ٥٧.

(٧٧) انظر: حجة القراءات ص٣٤٠، مفاتيح الأغاني ص٢١٢، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٤٥.

مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم (يا بنيَّ) بفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون (يا بنيِّ) بكسر الياء[٧٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

(البَنيُ): نقيض الهدم، يقال: بَناه يَبْنِيه بَنْياً وبِناءً وبُنْيَاناً وبِنْيَة وبِنَايَة، والابْنُ: الولد، وأصله بَنَيٌ أو بَنُوٌ، والجمع: أبناء، والاسم: البُنُوَّة، وتصغيره: بُنَيٌّ، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥]، ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣][٧٩].

قال الراغب: «وسُمي الابن بذلك لكونه بناءً للأب فإن الأب هو الذي بناه وجعله الله بنَّاءً في إيجاده ويقال لكلِّ ما يَحْصُلُ مِنْ جِهةِ شَيءٍ أَوْ مِنْ تربيته أو بِتَفَقُّدِه أو كَثْرَةِ خِدْمَتِهِ له أو قيامه بأمره: هو ابنه، نحو فلان ابن حرب، وابن سبيل للمسافر، وابن الليل، وابن العلم»[٨٠].

التفسير:

سارت بهم السفينة على وجه الماء ـ الذي قد غطى جميع الأرض ـ حتى طفت على رءوس الجبال. وارتفع الموج ارتفاعاً عظيماً كالجبال الشاهقة واشتد الهول، ولمّا رأى نوح عليه السلام نهاية القوم أخذته عاطفة الأبوة فنادى ابنه، وكان في مكان منعزل عنه، يا بنيّ اركب معنا سفينة النجاة، وإياك يا بنيّ أن تكون مع القوم الكافرين الهالكين[٨١].

(٧٨) انظر: السبعة ص ٣٣٤، النشر ج٢ ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٧٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٢، القاموس المحيط ص١٦٣٢.

(٨٠) المفردات في غريب القرآن ص ٦٢ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٨١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٦، التفسير الواضح ج١٢ ص٣١، التفسير المنير ج١٢ص٧٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿بنيّ﴾ بالكسر على أنّ أصله بني بياء التصغير، وياء هي لام الكلمة، والياء الثالثة ياء المتكلم، لكنها حذفت لدلالة الكسرة عليها، فراراً من توالي الياءات، ولأن النداء موضع التخفيف، والقراءة ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بالفتح فيها وجهان: أحدهما: على إبدال الكسرة فتحة فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها. والثاني: أنّ الألف حذفت من اللفظ لالتقاء الساكنين(٨٢).

قال أبو شامة: «فعلى الكسر أصله: يا بنيّ فحذفت الياء كما تقول يا غلام، والأصل يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفاً لتوالي الياءات والكسرات، ثم حذفت الألف، وبقيت الفتحة دالة عليها»(٨٣).

وبالتأمل المتأني لكلتا الكلمتين نجد أنّ القراءة بالكسر تشعر المرء بحرارة عاطفة الأب، وانكسار قلبه لعدم تلبية ابنه لندائه، أمّا القراءة بالفتح - والفتحة هي أخف الحركات(٨٤) - فقد ناسبت فيها خفة الحركة ما في الابن المنادَى من خفة عقل وسوء تقدير.

١٢ - ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦].

القراءات:

١ - قرأ الكسائي ويعقوب ﴿عَمِلَ غَيْرَ﴾ بكسر الميم وفتح اللام وحذف تنوينها، ونصب راء ﴿غَيْرَ﴾.

---

(٨٢) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص٣٦٥، الكشف ج ١ص٤٢، الياءات المشددات في القرآن وكلام العرب ص٣٠، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢، ص٢٤٦.

(٨٣) إبراز المعاني ص٥١٤.

(٨٤) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَمَلٌ غَيْرُ﴾ بفتح الميم ورفع اللام وتنوينها ورفع راء ﴿غَيْرُ﴾[(٨٥)].

٣ ـ قرأ قالون وابن عامر ﴿فلا تسألَنِّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون مكسورة وحذف الياء في الحالين.

٤ ـ قرأ ورش وأبو جعفر ﴿فلا تسألَنِّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون مكسورة وإثبات الياء وصلاً فقط.

٥ ـ قرأ ابن كثير ﴿فلا تسألَنَّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون مفتوحة من غير ياء بعدها.

٦ ـ قرأ أبو عمرو ﴿فلا تسألْنِ﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وإثبات الياء بعدها وصلاً فقط.

٧ ـ قرأ يعقوب ﴿فلا تسألْني﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وإثبات الياء بعدها في الحالين.

٨ ـ قرأ الباقون ﴿فلا تسألْنِ﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وحذف الياء بعدها في الحالين[(٨٦)].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ﴿عَمَلٌ﴾: (عَمِلَ): فَعَلَ، والعَمَلُ: المِهْنَةُ والفِعْلُ، تقول: أَعْمَلَهُ واسْتَعْمَلَهُ غَيْرُه، واعْتَمَلَ: عَمِلَ بنفسه، وأَعْمَلَ رَأْيَهُ وآلَتَهُ[(٨٧)].

قال الراغب: «(عَمِلَ): العَمَلُ كُلُّ فِعل يكون من الحيوانِ بقصد، فهو أَخَصُّ من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العوامل، والعمل يستعمل

(٨٥) انظر: السبعة ص٣٣٤، النشر ج ٢ ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٨٦) انظر: السبعة ص ٣٣٥، النشر ج٢ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٥.

(٨٧) انظر: القاموس المحيط ص١٣٣٩.

في الأعمال الصالحة والسيئة»[٨٨].

٢ ـ ﴿غير﴾: كلمة يوصف بها ويستثنى، فإن وُصف بها تَبعت ما قبلها، وإن استثني بها أعربت بالإعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد (إلاّ)، وذلك أن أصل ﴿غير﴾ صفة والاستثناء عارض. وقد تكون ﴿غير﴾ بمعنى (لا) فتُنصب على الحال، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] بمعنى: فمن اضطر جائعاً لا باغياً[٨٩].

٣ ـ ﴿تَسْئَلْنِ﴾: (سأل): السؤال استدعاء معرفة أو مال أو ما يؤدي إليهما، تقول: سألَهُ كذا، وعن كذا، وبكَذا، سُؤالاً وسَآلَةً ومَسْأَلَةً، والأمر سَلْ، واسْألْ، ويقالُ سالَ يَسالُ[٩٠].

التفسير:

لما رأى نوح عليه السلام هلاك الكافرين، ومنهم ابنه، ساورته أحاسيس العطف على ابنه، والأسف العميق على نهايته فنادى ربه: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم، وإنّ وعدك الحق فأجابه الله تبارك وتعالى: يا نوح ـ عليه السلام ـ إنّ ابنك هذا ليس من أهلك الذين وَعَدْت بإنجائهم، لأنّي إنما وعدت بنجاة من آمن من أهلك، وابنك هذا ذو عمل غير صالح، حيث تنكر لدعوة الهدى والصلاح، وانضم إلى الكافرين، فهو ليس من أهل دينك ولا ولايتك. وسؤالك إياي في ابنك ـ المخالف دينك الموالي أهل الشرك ـ من النجاة من الهلاك عملٌ غير صالحٍ، فلا تطلب مني شيئاً ليس لك به علم صحيح، ولا تلتمس مني التماساً لا تعلم أصواب هو أم لا حتى تقف على كنهه، إنّي أعظك وأنهاك أن تكون من فئة الجاهلين الذين يسألون بطلان تشريع الله وقانونه وتقديره في خلقه، فهو العليم بهم البصير بشأنهم[٩١].

---

(٨٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٤٨، القاموس المحيط ص١٣٠٧، ١٣٠٨.

(٨٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٦٨، مختار الصحاح ص٢٠٣.

(٩٠) المفردات في غريب القرآن ص٢٥٠.

(٩١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٥٢، ٥٣، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٨، ٤٥٩، التفسير الواضح ج١٢ص٣٢، التفسير المنير ج١٢ص٧٦، ٧٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾:

على قراءة ﴿**إنه عَمِلَ غيرَ صالح**﴾ المراد به ابن نوح عليه السلام المتقدم ذكره، وعلى قراءة الباقين له تقديران:

أحدهما: أن يراد به ابن نوح عليه السلام، بتقدير: إنّه ذو عمل غير صالح.

والثاني: أن يراد به سؤال نوح عليه السلام، بتقدير: إنّ سؤالك إياي أن أنجي كافراً عملٌ غير صالح[٩٢].

وأضاف مكي: «وقيل: تقديره إنّ سؤالك ما ليس لك به علم عمل منك غير صالح. ويجوز أن تكون الهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعود على ما دلّ عليه أول الكلام، وهو قوله ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فيكون التقدير: إنّ كون الكافرين معك عمل منك غير صالح. ويجوز أن يكون الكلام من قول نوح عليه السلام لابنه يخاطبه ويُقَرِّعه وتقديره: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، إنّه عملٌ غير صالح، أي إنّ كونك مع الكافرين عمل منك غير صالح»[٩٣].

قال أبو حيان: «وقرئ ﴿عَمَلٌ غَيْرُ﴾ منوناً، ﴿غَيْرُ﴾ رفعاً صفة له فاحتمل قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أن يكون على حذف مضاف تقديره أي إنّ عمله عمل غير صالح، أو يكون الحذف في ﴿**عمل**﴾ تقديره أنه ذو عمل غير صالح، أو جعله نفس العمل مبالغة في ذمه»[٩٤].

واحتجّ بعض أهل التأويل[٩٥] بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ـ

---

(٩٢) انظر: التذكرة ج٢ ص٣٧٢، المكتفى في الوقف والابتداء ص٣١٦ ـ ٣١٧، إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ ص٤٠.

(٩٣) الكشف ج٢ ص٥٢٠ ـ ٥٢١، وانظر: روح المعاني ج١٢ص٦٩.

(٩٤) النهر الماذ ج٢ ص٧٠، وانظر تفسير البيضاوي ج٢ ص٤٥٨.

(٩٥) منهم: مجاهد والحسن وابن جريج وعبيد ابن عمير. انظر تفصيل أقوالهم في تفسير الطبري ج١٢ص٥٠.

على قراءة التنوين والرفع ـ وبقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] على أنّ هذا الولد الكافر ليس بابن نوح عليه السلام وإنما كان ابن زنية، وقد نصّ غير واحد من الأئمة على تخطئة هذا القول(٩٦)، وقالوا: إنّ هذا الولد الكافر كان ابن نوح عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، لا يراد به الخيانة بالزنا، ولكن كانت امرأة نوح عليه السلام تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط عليه السلام تدل على الأضياف(٩٧).

وعليه يمكن تفسير قراءة التنوين والرفع بما يلي:

خاطب الله نوحاً عليه السلام فقال له:

ـ إنّ سؤالك أن أنجي كافراً عمل منك غير صالح.

ـ إنّ سؤالك ما ليس لك به علم عمل منك غير صالح.

ـ إنّ كون الكافرين معك عمل منك غير صالح.

ـ إنّ عمل ابنك عمل غير صالح.

ـ إنّ ابنك ذو عمل غير صالح.

ـ إنّ ابنك عملٌ غير صالح ـ جعله العمل نفسه مبالغة في ذمه ـ.

أو خاطب نوح عليه السلام ابنه قائلاً:

ـ يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، إنّ كونك مع الكافرين عمل منك غير صالح.

أمّا القراءة الثانية ﴿عَمِلَ غَيْرَ﴾ فإنها أفادت أنّ الله تعالى خاطب نوحاً عليه السلام قائلاً:

إنّ ابنك عمل عملاً غير صالح بمخالفته لدينك فاقتضى ذلك هلاكه.

---

(٩٦) منهم ابن عباس وسعيد ابن جبير وعكرمة والضّحاك. انظر تفصيل أقوالهم في تفسير الطبري ج١٢ ص٥١ ـ ٥٢.

(٩٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٥١.

فالقراءة الثانية أكّدت وجهاً من وجوه تأويل القراءة الأولى، وهو أنّ عَمَلَ ابن نوح عليه السلام عملٌ غير صالح ـ وإن اختلف التقدير وتَنَوَّعَ أسلوبُ التعبير ـ، كما أنها استبعدت وجهاً من وجوه تأويل القراءة الأولى وهو أن يوصف ابن نوح عليه السلام بأنه عملٌ غير صالح بدعوى أنّه ابن زنيّة. والله تعالى أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾:

وجه تشديد النون مع الفتح أنها المُؤَكَّدَة ولذا بُنِي الفعل، ومع الكسر أنها المؤكدة الخفيفة أدغمت في نون الوقاية، ووجه التخفيف مع الكسر أنها نون الوقاية والفعل مجزوم ب(لا) الناهية فسكنت اللام، والفعل هنا غير مؤكد بنون التوكيد، ومعدًّى إلى ياء المتكلم، والياء مفعوله الأول، وما مفعوله الثاني بتقدير (عن)، وحذف الياء للتخفيف، وإثباتها على الأصل(٩٨).

قال الطبري: «اختلف القراء في قراءة قوله ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فقرأ عامة أهل الأمصار ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ بكسر النون وتخفيفها. ونحَوْا بكسرها إلى الدلالة على الياء التي هي كناية اسم الله ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾. وقرأ ذلك بعض المكيين، وبعض أهل الشام ﴿فَلَا تَسْأَلَنَّ﴾ بتشديد النون وفتحها، بمعنى: فلا تسألَنَّ يا نوح ما ليس لك به علم»(٩٩).

وعليه فإنّ الله تعالى نهى نوحاً عليه السلام عن أن يسأل ما ليس له به علم نهياً مطلقاً، سواء أكان هذا السؤال لله عز وجل أم لغيره، في هذا المقام أم فيما يُسْتقبل. وقد تنوع أسلوب التعبير عن هذا النهي تنوعاً ناسب تعدد صور السؤال عما ليس للمرء به علم؛ فقد تكون أموراً عظيمة فناسبها التشديد وقد تكون أموراً هينة فناسبها التخفيف. والله تعالى أعلم.

١٣ ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

(٩٨) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٧، التحرير والتنوير ج١٢ص٨٦، ٨٧.

(٩٩) تفسير الطبري ج١٢ ص٥١.

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ برفع الراء وضم الهاء[١٠٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[١٠١].

التفسير:

يقول تعالى: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هوداً عليه السلام فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له واتركوا ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان، ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غير الله فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالألوهية، ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذّبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه[١٠٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، على أنّ (غير) صفة ل ﴿إِلَٰه﴾ على اللفظ، وليست حرف استثناء. والقراءة ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء، على أنّ (غير) حرف استثناء، يعرب بما يعرب به الاسم بعد إلاّ، وهو على هذا بدل من ﴿إِلَٰه﴾ على الموضع، حيث إنّ (من) هنا زائدة، و﴿إِلَٰه﴾ مبتدأ. ويجوز أن يكون (غير) صفة ل ﴿إِلَٰه﴾ على الموضع[١٠٣].

---

(١٠٠) انظر: النشر ج٢ص٢٧٠، البدور الزاهرة ص١٥٥.

(١٠١) انظر ص٤١ من هذا البحث.

(١٠٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٥٧.

(١٠٣) انظر: حجة القراءات ص٢٨٦، الحجة في القراءات السبع ص١٥٧، الكشف ج١ص٤٦٧، إملاء ما منّ به الرحمن ج١ص٢٥١، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص١٤٠.

قال ابن هشام: «وقرئ ﴿مَالَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرِهِ﴾ بالجر صفة على اللفظ، وبالرفع على الموضع، وتحتمل قراءة الرفع الاستثناء على أنه إبدال على المحل مثل (لا إله إلاّ الله)»(١٠٤).

فعلى القراءة بالخفض يكون المعنى: ما لكم من إله يستحق العبودية من هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله. فهذه القراءة نصّ في ذم آلهتهم، أولاً، فإذا علموا ذلك توجهت عقولهم إلى الإله الحق.

وعلى القراءة بالرفع يكون المعنى على الاستثناء أي: ما لكم من إله إلاّ الله. والاستثناء بعد الجحد تحقيق(١٠٥). أي أنّه نفى الألوهية عن جميع معبوداتهم باستثناء الله تعالى فأثبت الألوهية بهذا الاستثناء لله وحده. فنصت هذه القراءة على ذمّ آلهتهم في نفس الوقت الذي أثبتت فيه الألوهية لله وحده.

وعلى التقدير الآخر بأنّ (غير) صفة ل(إله) على الموضع تشترك هذه القراءة في المعنى مع القراءة الأولى وتؤكد كل قراءة القراءة الأخرى وفي هذا مبالغة في تحقير آلهتهم الباطلة وإثبات الألوهية لله وحده. والله تعالى أعلى وأعلم.

١٤ - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

القراءات:

١ - قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء(١٠٦).

---

(١٠٤) مغني اللبيب ج١ص١٥٨.

(١٠٥) انظر: حجة القراءات ص٢٨٦.

(١٠٦) انظر: النشر ج٢ص٢٧٠، البدور الزاهرة ص١٥٥.

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠](١٠٧).

١٥ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بفتح الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَوْمِئِذ﴾ بكسر الميم(١٠٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

(يوم): اليوم هو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يُعبر به عن مدة من الزمان أيِّ كانت، ويُرَكَّب (يوم) مع (إذ)، وربما يعرب أو يبنى(١٠٩).

التفسير:

يقول تعالى: فلما جاء ثمود عذابنا، نجينا صالحاً ومن آمن معه، بنعمة وفضل من الله ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله. إنّ الله لقوي في بطشه؛ إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها، عزيز فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كلّ شيء ويقهره(١١٠).

العلاقة التفسيرية للقراءات:

وجه القراءة بالكسر أنّ (يوم) أجري مجرى سائر الأسماء، فخفض لإضافة ﴿خِزْىُ﴾ إليه، ولم يُبْنَ لإضافته إلى (إذ) لأنه يجوز أن ينفصل من

---

(١٠٧) انظر: ص٤٤ من هذا البحث.

(١٠٨) انظر: المبسوط ص ٢٤٠، النشر ج٢ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١٠٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٣٣.

(١١٠) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٦٥.

(إذ)، والبناء إنما يلزم إذا لزمت العلة. ووجه القراءة بالفتح أنّ (يوم) بنى على الفتح لإضافته إلى مبني (غير متمكن) وهو (إذ) وعومل اللفظ ولم يُعامل تقدير الانفصال(١١١).

قال العكبري: «يقرأ بكسر الميم على أنه معرب، وانجراره بالإضافة، وبفتحها على أنه مبني مع (إذ) لأن (إذ) مبني وظرف الزمان إذا أضيف إلى مبني جاز أن يبنى لما في الظروف من الإبهام، ولأن المضاف يكتسي كثيراً من أحوال المضاف إليه كالتعريف والاستفهام والعموم والجزاء»(١١٢).

وإذا عُلم أنّ الإعراب هو «اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظاً أو تقديراً»(١١٣)، وأنّ البناء هو «لزوم آخر اللفظ علامة واحدة ـ في كل أحواله ـ، لا تتغير مهما تغيرت العوامل»(١١٤)، فإنه من الممكن القول بأنّ القراءة بالجرّ، على أنّ الاسم معرب، توحي بتنوع أصناف العذاب الذي لحق بالأمم السابقة نتيجة لكفرهم، وقد أصاب قوم صالح ما يناسبهم من العذاب، أما القراءة بالفتح على أنّ الاسم مبني، فقد أوحت بدوام هذا العذاب، واستمراره عليهم حتى أهلكهم جميعاً(١١٥). والله تعالى أعلى وأعلم.

١٦ ـ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦٧، ٦٨].

---

(١١١) انظر: الكشف ج١ص٣٣.

(١١٢) إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٤١، وانظر: مفاتيح الأغاني ص٢١٤، القواعد والفوائد ص١٧٧.

(١١٣) اللباب في علل البناء والإعراب ج١ص٥٢، وانظر: المسائل العسكريات في النحو العربي ص١٠٩، اللمع في العربية ص٩١، ٩٢.

(١١٤) النحو الوافي ج١ص٧٥، وانظر: اللمع في العربية ص ٩٢، لسان العرب ج١ص٣٦٦. قال ابن منظور: «وكأنهم إنّما سموه بناءً من حيث كان البناء لازماً موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره». (لسان العرب ج١ص٣٦٦).

(١١٥) هذا رأي اجتهدته، أملاه تنوع استخدام الكلمة بين البناء والإعراب، وقد ترددت كثيراً في إيراده، ولكنّ المشرف لم ير فيه بأساً فأثبته، والله أعلم بمراده. (الباحثة)

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة ويعقوب ﴿ألا إنّ ثمودَ﴾ بغير تنوين الدال.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَلاَ إِنَّ ثَمُوداً﴾ بتنوين الدال(١١٦).

٣ - قرأ الكسائي ﴿ألا بعداً لثمودٍ﴾ بخفض الدال مع التنوين.

٤ - قرأ الباقون ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ بفتح الدال من غير تنوين(١١٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(ثمود) قيل هو أعجمي وقيل هو عربي وتُرِكَ صرفه لكونه اسم قبيلة، وهو فَعُولٌ من الثمَدِ وهو الماء القليل الذي لا مادَّةَ له، ومنه قيل فلان مَثْمُود ثمدته النساء أي قطعت مادة مائه لكثرة غشيانه لهن، ومَثْمُودٌ إذا كثر عليه السؤال حتى فقد مادة ماله(١١٨)، وسميت قبيلة ثمود بهذا الاسم لقلة مائها(١١٩).

التفسير:

يقول تعالى: وأصبح أمر ثمود أن أخذتهم صيحة العذاب وهي الصاعقة ذات الصوت الشديد المهلك، فصعقوا بها جميعاً، وأصبحوا هامدين موتى لا يتحركون، وكأنهم لسرعة هلاكهم لم يعيشوا في هذه الدنيا ولم يقيموا في ديارهم، ذلك لأنهم كفروا بآيات ربهم فجحدوها، فاستحقوا عقابه الشديد، فسحقاً لهم وبعداً وهلاكاً ولعنة(١٢٠).

---

(١١٦) انظر: المبسوط ص٢٤٠، النشر ج٢ ص ٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١١٧) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١١٨) انظر: القاموس المحيط ص٣٤٥.

(١١٩) انظر: حجة القراءات ص٣٤٥، الكشف ج١ص٥٣٣، مفاتيح الأغاني ص٢١٤، تفسير البيضاوي ج٢ص٤٦٢.

(١٢٠) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٦٨، روح المعاني ج١٢ص٩٢، صفوة التفاسير ج٢ص٢٣، التفسير المنير ج١٢ص١٠٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بالتنوين جعله اسماً للحيّ والأب، وهما مذكران، فصرفه، لأن الصرف أصل الأسماء كلها، ومن قرأ بترك التنوين جعله اسماً للقبيلة فلم يصرفه لاجتماع العَلمية والتأنيث(١٢١).

قال سيبويه: «فأمّا ثمود وسبأ، فهما مرة للقبيلتين، ومرة للحيين، وكثرتهما سواء»(١٢٢).

وقال أحمد بن الزبير الغرناطي: «قرئ ثمود في الموضعين بالوجهين من الصرف وعدمه، إلاّ أنّ أكثر القراء على الصرف في الأول ومنعه في الثاني. فترتب على قراءة الأكثرين سؤال وهو: لم صُرف الأول في قراءة غير حفص وحمزة، ومنع الثاني الصرف في قراءة الجماعة غير الكسائي. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ التفات شيء فيه خفاء يراعى مثله. وذلك أنّ الاسم النكرة إذا كُرِّر، وأريد بالثاني الأول ولم يرد غيره، لزمته الألف واللام التي للعهد، فصار معرفة: تقول: رأيت رجلاً فضربت الرجل، تريد المذكور ولا تعيده نكرة بوجه. ولك أن تأتي به مضمراً فتقول: رأيت الرجل فضربته. فإذا تكلمت بهذا في المعرفة، فالأكثر أن تأتي به مضمراً، أو موصوفاً بقولك: المذكور. أمّا ما لا يخرج عن الأول حتى لا يظن أنك تريد سواه فتقول: رأيت زيداً فكلمته، ولقيت عَمْراً فضربت المذكور، أو فضربت عَمراً المذكور. فالثاني المكرر أبداً، إن كان الأول نكرة، كان هو معرفة بأداة العهد، وإن كان الأول معرفة كان الثاني أمكن في التعريف إذ قد يدخل الأول اشتراك لوجود أمثاله ممن تسمَّى باسمه. وأمَّا الثاني فلا يدخله اشتراك من حيث هو، إلاّ أن يَسْريَ له الاشتراك من الأول فقد ثبت على كل حال أنه أبعد من الاشتراك والالتباس من الأول وذلك شفوف له عليه

(١٢١) انظر: المقتضب ج٣ص٣٦٠، ٣٦١، حجة القراءات ص٣٤٥، الكشف ج١ص٥٣٣، مفاتيح الأغاني ص٢١٤، تفسير البيضاوي ج٢ص٤٦٢، ما انفرد به كل من القراء السبعة ص١١٢.

(١٢٢) الكتاب ج٣ص١٢٧.

فكأنه أَعرف منه. فإذا كرر غير مضمر ولا منعوت، وكان علَما مما يجوز في مثله الوجهان من الصرف وعدمه. وذلك الثلاثي ساكن الوسط، والعرب قد تصرفه لخفته، ومنهم من يمنعه الصرف لوجود علّتين، ولا يراعى خفته، فإذا كان أكثر تعريفاً كان الوجه منع صرفه إشعاراً بتمكّن تعريفه. إذ هذا الضرب من التعريف من موانع الصرف، ولا اعتبار بما دونه من المعارف في منع الصرف، إلا لمانع آخر. فلهذا كان الثاني في قوله: ﴿**أَلا بعداً لِثَمُودِ**﴾ أولى بمنع الصرف. والله أعلم. فالمؤنث الثلاثي الساكن الوسط إذا لم يكن منقولاً من مذكر، فيه الوجهان: الصرف وعدمه. إلاّ أن في اختصاص مكرره بالمنع تأنيساً لما ذكرناه وإن لم تَرد به الشواهد، إذ باب هذا معروف ومفهوم»[١٢٣].

وعليه فإن القراءة بالصرف في الأولى وعدم الصرف في الثانية تشعر بتمكن تعريف القبيلة مبالغة في ذمها، والقراءة بالصرف في الكلمتين تفيد أنّ المراد هنا الحي، والقراءة بعدم الصرف تفيد أن المراد هو القبيلة. وبالجمع بين القراءتين يُعلم أنّ العقوبة قد عمّت القبيلة وشملت الحيّ أيضاً.

ويظهر المعنى جلياً ببيان المراد بالقبيلة والحيّ. أمّا القبيلة في اللغة فهي واحدة قبائل الرأس، وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشئون، وبها سميت قبائل العرب، والقبيلة من الناس بنو أب واحد، وتطلق القبيلة على الواحدة من قبائل العرب وسائرهم من الناس، والشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ[١٢٤]. والحيّ من كل شيء: نقيض الموت، والواحد من أحياء العرب، والحيّ: البطن من بطون العرب، ويقع على بني أب كثروا أم قَلُّوا، وعلى شَعب يَجمع القبائل[١٢٥]. فالقبيلة أصغر من الحيّ، وفيها إشارة إلى اللُحمة والترابط الذي جمع ثمود على الكفر، فكانوا كرجل واحد في مواجهة نبيهم صالح عليه السلام، فاستحقوا البعد

(١٢٣) ملاك التأويل ج٢ ص٥٢٣ ـ ٥٢٥ ـ باختصار.

(١٢٤) انظر: لسان العرب ج٦ص٣٥١٩.

(١٢٥) انظر: لسان العرب ج٢ص١٠٧٨.

والهلاك، أمّا الحيّ فهو أشمل من القبيلة، وفيه إشارة إلى الحياة والنشاط التي كانت تدب في هذه القرية الهالكة، فكانت نهايتها أن أصبحوا ﴿فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٦٧ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾. فتبارك الله ربّ العالمين الذي أنزل هذا القرآن معجزة خالدة لا تنقضي عجائبه. والله تعالى أعلم.

وثمت معنىً لطيف يمكن إضافته إلى ما ذُكر، وهذا المعنى أشار إليه البقاعي رحمه الله وقد استوحاه من الصرف وعدمه في الكلمتين، حيث قال: «﴿ألا إنّ ثموداً﴾ قراءة الصرف دالة على الاستخفاف بهم لطيشهم في المعصية. . .، ﴿ألا بعداً لثمود﴾ ترك صرفهم في قراءة غير الكسائي إيذاناً بدوام لبثهم في الطرد والبعد»(١٢٦).

١٧ - ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ [هود: ٦٩].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي ﴿سِلْمٌ﴾ بكسر السين وإسكان اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿سَلَٰمٌ﴾ بفتح السين واللام وألف بعدها(١٢٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(السِّلم): التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والمُسالِم، والصُّلْح، والسَّلامُ، والإِسْلامُ. و(السَّلام): التحية(١٢٨).

التفسير:

يذكر الله تعالى في هذه الآية طرفاً من قصة إبراهيم عليه السلام حين جاءه رسل

(١٢٦) نظم الدرر ج٣ص٥٥١. وقد فكرت ملياً في هذا التأويل، ولم أهتد إلى وجه الارتباط بين كون الكلمة مصروفة أو غير مصروفة وبين ما أشار إليه البقاعي - رحمه الله - من المعاني، وقد آثرت إيراد ما ذكره تتمة للفائدة.

(١٢٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١٢٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٩، ٢٤٠، القاموس المحيط ص١٤٤٨.

الله الكرام من الملائكة ليبشروه بالولد، فلما دخلوا سلموا عليه، فردّ عليهم السلام، وهو لا يعرف أنهم ملائكة، ثم بادر لبيته فاستحضر عجلاً مشوياً(١٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(السِّلم): بكسر السين وإسكان اللام بلا ألف لغة في السلام: التحية، كحلّ وحلال، أو بمعنى المسالمة التي هي ضد الحرب، و(السلام) هو التحية اتفاقاً(١٣٠).

قال الفراء: «وقوله: ﴿سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ هو في المعنى (سلام) كما قال: حلّ وحلال وحِرم وحرام، لأن التفسير جاء: سلموا عليه فردّ عليهم. فترى أن معنى سلم وسلام واحد. والله أعلم»(١٣١).

وقال مكي: ويجوز أن يكون ﴿سَلَٰمٌ﴾ بمعنى المسالمة التي هي خلاف الحرب. كأن إبراهيم ﷺ لمّا رآهم لا يأكلون طعامه أوجس في نفسه خوفاً منهم، فقال لهم: سِلْم، أي أنا سِلم لكم ولست بحرب لكم، فلا تمتنعوا من أكل طعامي كما يُمتنع من أكل طعام العدو. ومعنى ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي سلام عليكم، فالخبر محذوف، وهو: رد السلام عليهم، إذ سلموا عليه. وهو أبين في التحية وردّ السلام(١٣٢).

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، لأن السِّلم قد يكون بمعنى السلام، والسلام بمعنى السلم، لأن التسليم لا يكاد يكون إلاّ بين أهل السِّلم دون الأعداء، فإذا ذُكِرَ تسليم من قوم على قوم، وردُّ الآخرين عليهم، دلّ ذلك على مسالمة بعضهم بعضاً»(١٣٣).

(١٢٩) انظر: تفسير السعدي ص٣٦٤.

(١٣٠) انظر: شرح طيبة النشر للنويري ج٤ص٣٧٠.

(١٣١) معاني القرآن للفراء ج٢ص٢٠، ٢١ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٣٢) الكشف ج١ص٥٣٤ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٣٣) تفسير الطبري ج١٢ص٦٩.

وبالجمع بين القراءتين يُفهم أنّ إبراهيم عليه السلام ردّ التحية على الملائكة بأحسن منها[(١٣٤)] وقال لهم: أنا سِلم لكم ولست بحرب لكم.

١٨ ـ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة وابن عامر ﴿يَعۡقُوبَ﴾ بنصب الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَعۡقُوبُ﴾ برفع الباء[(١٣٥)].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يعقوب﴾: اسم إسرائيل أبي يوسف عليهما السلام. وهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام، لا ينصرف للعجمة والتعريف. ويقال: إنما سمي يعقوب لأنه كان هو وأخوه عيصو توأمين، فخرج من بطن أمه آخذا بعقب أخيه عيصو[(١٣٦)]. قال القرطبي: «وفي ذلك نظر، لأنّ هذا اشتقاق عربي، ويعقوب اسم أعجمي، وإن كان قد وافق العربية في التسمية به كَذَكَرِ الحَجَل[(١٣٧)]»[(١٣٨)].

التفسير:

يخبر الله تعالى عن سارة زوج إبراهيم عليه السلام أنها كانت قائمة ـ على

---

(١٣٤) «رد إبراهيم عليه السلام التحية بخير من تحيتهم، فإنهم حيّوه بالنصب (سلاماً)، وحياهم بالرفع (سلامٌ). فهم حيوه بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، أي نسلم سلاماً، وهو قد حياهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت. والاسم أقوى وأثبت من الفعل» لمسات بيانية في نصوص التنزيل ص٨٤.

(١٣٥) انظر: المبسوط ص ٢٤١، النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٧.

(١٣٦) انظر: لسان العرب ج٤ص٣٠٣٠، تفسير القرطبي ج٢ص١٣٦.

(١٣٧) «الحجل بالتحريك: جمع حجلة، طائر وردي أحمر الرجلين والمنقار، في حجم الحمام، طيب اللحم» (الإفصاح في فقه اللغة ج٢ص٨٧٨)

(١٣٨) انظر: تفسير القرطبي ج٢ص١٣٦.

خدمة الأضياف أو من وراء الستر تسمع محاورة إبراهيم عليه السلام وضيفه من الملائكة ـ فضحكت سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد ـ قوم لوط عليه السلام، فبشرتها الملائكة بإسحق عليه السلام ولداً لها، وبيعقوب ابناً لولدها(١٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب على تقدير: (ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب)، ودلّ عليه معنى قوله تعالى: ﴿فبشرناها بإسحق﴾ لأنه في معنى وهبنا(١٤٠). وذُكِرَ أيضاً في توجيه هذه القراءة وجهان آخران، أحدهما: أنه معطوف على لفظ ﴿إسحق﴾، وفتحته للجر لأنه غير مصروف للعلمية والعجمة، وعلى هذا دخوله في البشارة ظاهر(١٤١)، والثاني: أن يكون ﴿يَعْقُوبَ﴾ معطوفاً على محل ﴿بإسحق﴾، أي: فبشرناها، لأنه في محل نصب، حيث إنّه مفعول به في المعنى(١٤٢).

و﴿يَعْقُوبُ﴾ بالرفع على الابتداء والظرف المقدم ﴿ومن وراء﴾ الخبر، كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوب كائن أو موجود أو مولود(١٤٣). «ويجوز أن يكون مرفوعاً بالفعل الذي يعمل في قوله ﴿من وراء﴾ كأنه قال: «ويثبت لها من وراء إسحق يعقوب»(١٤٤). ويجوز أن يكون فاعلاً لفعل محذوف،

---

(١٣٩) انظر: تفسير البيضاوي ج١ص٤٦٣، روح المعاني ج١٢ص٩٨، صفوة التفاسير ج٢ص٢٤.

(١٤٠) انظر: الكشف ج١ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧.

(١٤١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ ص٦٢، الكشف ج١ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧، روح المعاني ج١٢ ص٩٨.

(١٤٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ص٦٢، الكشف ج١ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧، روح المعاني ج١٢ ص٩٨.

(١٤٣) انظر: الكشف ج١ص٥٣٥، حجة القراءات ص٣٤٧، مفاتيح الأغاني ص ٢١٥، إبراز المعاني ص٥١٦، روح المعاني ج١٢ ص٩٩.

(١٤٤) حجة القراءات ص٣٤٧، وانظر: إبراز المعاني ص٥١٨، روح المعاني ج١٢ص٩٩.

أي: ويحدث من وراء إسحق يعقوب[١٤٥].

مما سبق يتبين أنّ القراءتين تتفقان في المعنى النهائي أنّه سيولد لإسحق عليه السلام ولد وهو يعقوب عليه السلام. وبين الفتح وما به من خفة ناسبت مشاعر الأمومة المرهفة، وبين الضم وما به من قوة ناسبت صدق البشارة، تنساب الألفاظ عذبة قوية تعبر عن المعنى، فطوبى لمن عقل فتدبر. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨١].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ﴿**فاسر**﴾ بهمزة وصل فتسقط في الدرج، وحينئذٍ يصير النطق بسين ساكنة بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿**فأسر**﴾ بهمزة قطع مفتوحة بعد الفاء[١٤٦].

٣ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿**إلاّ امرأتُك**﴾ برفع التاء.

٤ - قرأ الباقون ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ بنصب التاء[١٤٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿**فأسر**﴾، ﴿**فاسر**﴾: (سرى): السُرى سير الليل، يقال سرى وأسرى، وقيل إنّ (أسرى) ليست من لفظة (سرى يسري)، وإنّما هي من

(١٤٥) انظر: حجة القراءات ص٣٤٧، مفاتيح الأغاني ص ٢١٥، إبراز المعاني ص٥١٦، روح المعاني ج١٢ ص٩٩.

(١٤٦) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج ٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٧.

(١٤٧) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج ٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٧.

السَّراة وهي أرض واسعة، وسَراة كلِّ شيء أعلاه ومنه سراة النهار أي ارتفاعه[(١٤٨)].

٢ ـ ﴿ٱمْرَأَتَكَ﴾: (امرأة): تأنيث امرئ، والامرؤ هو الرجل، والمروءة كمال الرجولة[(١٤٩)]. «وللعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امْرَأَتُه، وهي مَرْأَتُهُ، وهي مَرَتُهُ»[(١٥٠)].

التفسير:

أخبرت الملائكةُ لوطاً عليه السلام بأنهم رسل من الله عز وجل أُرسلوا لإهلاك القوم الكافرين، وأنّ هؤلاء الكافرين لن يصلوا إليه وإلى ضيفه بمكروه، وأبلغوه بأمر الله تعالى إليه أن يخرج من بين أظهرهم هو وأهله ببقية من الليل، ولا يلتفت منهم أحد، فستكون لهم النجاة، وسيكون الهلاك للقوم الكافرين ومن بينهم امرأة لوط عليه السلام، والتي سيصيبها ما أصاب قومها؛ لأنّ هواها معهم. وأخبرت الملائكة لوطاً عليه السلام بأن الصبح هو موعد نزول العذاب بقومه، فكأن لوطاً عليه السلام استبطأ ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟[(١٥١)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطبري: «واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿فأسر﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين ﴿فاسر﴾ وَصْلٌ بغير همز الألف، من سرى. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة ﴿فأسر﴾ بهمز الألف، من أسرى، والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة في القراءة، وهما لغتان مشهورتان في العرب، معناهما واحد»[(١٥٢)].

---

(١٤٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٣١.

(١٤٩) انظر: معجم مقاييس اللغة ج٥ص٣١٥، لسان العرب ج٦ص٤١٦٦.

(١٥٠) لسان العرب ج٦ص٤١٦٦.

(١٥١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٨٩، تفسير السعدي ص٤٠٧.

(١٥٢) تفسير الطبري ج١٢ص٨٩.

قلت: المتأمل لكلتا القراءتين يجد أنّ كل قراءة تلقي بظلالها على المعاني، فالقراءة ﴿فاسر﴾، بقلة حروفها توحي بسرعة حدوث الفعل، أمّا القراءة ﴿فأسر﴾، بزيادة مبناها على سابقتها، وبالهمز فيها، وما في الهمز من شدة وجهر، توحي بالاجتهاد وبذل الطاقة في سبيل تحقيق الأمر. والله تعالى أعلم.

﴿إلاّ امرأتك﴾: اختلف العلماء في توجيه القراءتين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾، وذكروا أقوالاً شتى، أذكر منها:

١ ـ أنّ ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ بالنصب اعتباراً بأنه مستثنى من ﴿أَهۡلَكَ﴾ فهو استثناء من مُوجَب، فحقه النصب، والمعنى: لا تسْر بها، أي: لا يعلمها بخروجه لأنها كانت مخلصة لقومها فتخبرهم عن زوجها. والقراءة ﴿إلاّ امرأتُك﴾ بالرفع، على أنه استثناء من ﴿أَحَدٌ﴾ الواقع في سياق النهي، وهو في معنى النفي. والمعنى أنه نهاهم عن الالتفات فامتثلوا ولم تمتثل امرأتُه للنهي فالتفتت[١٥٣]. فاختلاف القراءتين على هذا التأويل نبّه على اختصار، «فكأنه قيل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، على أن استثناءها من المسرى بهم، ثم كأنه سبحانه قال: فإن خرجت معكم وتبعتكم من غير أن تكون أنت سريت بها، فَانْهَ أهلك عن الالتِفَاتِ غَيْرَهَا، فإنها ستهلك ويصيبها ما يصيب قومها. فكانت قراءة النصب دالة على ذلك المعنى المتقدم، وقراءة الرفع دالة على هذا المعنى المتأخر، ومجموعهما دال على جملة المعنى المشروح»[١٥٤].

٢ ـ أنّ الاستثناء على القراءتين منقطع[١٥٥]، ولم يقصد به إخراجها

(١٥٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٨٩، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ص٧٠، حجة القراءات ص٣٤٧ ـ ٣٤٨، الكشف ج١ص٥٣٦، مفاتيح الأغاني ص٢١٦، التسهيل ج٢ص١١٠، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٦٨، منار الهدى ص١٣٩.

(١٥٤) إبراز المعاني ص٥٢١ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٥٥) لمزيد بيان ينبغي التعريف بالاستثناء المتصل والمنقطع:

«الاستثناء المتصل: هو إخراج بعض الشيء من كلّه، أو الحكم على جنس ما حكم=

من المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهيين عن الالتفات، ولكن استؤنف الإخبار عنها بمعنى: لكن امرأتك يجري لها كيت وكيت. والقراءتان واردتان على ما تقتضيه العربية في الاستثناء المنقطع، ففيه لغتان، النصب والرّفع، والنصب لغة أهل الحجاز، والرفع لبني تميم(١٥٦). قال الألوسي: «وبالجملة، القول بالانقطاع أقل تكلفاً فيما يظهر والقول بأنه حينئذ لا يبقى ارتباط لقوله سبحانه ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ ناشيء عن عدم الالتفات، فلا ينبغي أن يلتفت إليه»(١٥٧). وهذا ما ترجحه الباحثة. والقراءاتان معاً تؤكدان ما سيصيب امرأة لوط عليه السلام من العذاب. والله تعالى أعلم.

٢٠ ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود: ٨٤].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُۥ﴾ برفع الراء وضم الهاء(١٥٨).

= به أولاً بنقيض ما حكم به أولاً. فإذا لم يتحقق أحد هذين الشرطين، كان الاستثناء منقطعاً. وبذلك يكون الاستثناء المنقطع هو الحكم على جنس ما حكم به أولاً، أو بغير نقيض ما حكم به أولاً. فإذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه، وحكم عليه بنقيض ما حكم على المستثنى منه، كان الاستثناء متصلاً، وإلاّ كان الاستثناء منقطعاً، أي أنّ المنقطع يتحقق بأحد شرطين:

١.أن لا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

٢. أن لا يحكم عليه بنقيض ما حكم على المستثنى منه.

كما يكون الاستثناء منقطعاً إن أريد باللفظ العام بعض أنواعه، ثمّ استثنى النوع الآخر، وإن كان الجنس واحد. (معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ج١ص٣٣٦، بتصرف يسير، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن ق١ج١ص١٣٦)

(١٥٦) انظر: إبراز المعاني ص٥٢٠.

(١٥٧) روح المعاني ج١٢ص١١٢.

(١٥٨) انظر: النشر ج٢ص٢٧٠، البدور الزاهرة ص١٥٥.

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠][١٥٩].

٢١ ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: ٨٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ بالإفراد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَصَلَوَاتُكَ﴾ بالجمع[١٦٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

(الصلاة): الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال صَلَّيت عليه، أي دعوت له وزكيت، قال ﷺ: «إذا دُعي أحدُكم فَلْيُجب، فَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِ»[١٦١]. أي لِيَدْعُ لأهله. والصلاةُ التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء وسُمِّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه، والصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها وإن اختلفت صورها من شريعة لأخرى[١٦٢].

التفسير:

لمّا أمر شعيب عليه السلام قومه بعبادة الله تعالى وترك عبادة الأوثان، وبإيفاء الكيل والميزان ردوا عليه قائلين: أصلاتك تدعوك لأن تأمرنا بترك عبادة الأصنام التي عبدها آباؤنا؟، وتأمرك بأن نترك التطفيف في الكيل والميزان؟، إنك لأنت العاقل المتصف بالحلم والرشد. قالوا ذلك له استهزاءً

(١٥٩) انظر: ص٤٤ من هذا البحث.

(١٦٠) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٨.

(١٦١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة ح(٣٤١٠) ص٦٧٣.

(١٦٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٥ ـ باختصار.

به، حيث أرادوا بذلك وصفه بضديهما[163].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من قرأ ﴿أصلواتك﴾ على الإفراد، أنّ (الصلاة) بمعنى الدعاء، والدعاء صنف واحد، وهي مصدر، وتحمل من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قراءة الجمع، إذ إنّ المصدر يقع للقليل والكثير بلفظه من غير تحديد، أمّا (الصلوات) فهي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك[164]. «وحجة من قرأ ﴿أصلواتك﴾ على الجمع أنه قدّر أنّ الدعاء تختلف أجناسه وأنواعه، فجمع المصدر لذلك»[165]، والقراءة بالجمع تحمل أيضاً معنى ترداد الدعاء ومعاودته[166].

فالقراءتان بمجموعهما أفادتا كثرة الدعاء، وكثرة ترداده، واختلاف أجناسه وأنواعه. والله تعالى أعلم.

٢٢ ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ [هود: ٩٣].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿مكاناتكم﴾ بألف بعد النون على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير ألف بعد النون على الإفراد[167].

---

(١٦٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٠٣، تفسير أبي السعود ج٣ص٥٩، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧١، التسهيل ج٢ص١١٠، صفوة التفاسير ج٢ص٢٩، التحليل اللغوي ص١١٤.

(١٦٤) انظر: تفسير الطبري ج١١ص١٨.

(١٦٥) الكشف ج١ص٥٠٦ ـ باختصار، وانظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٥٧.

(١٦٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٧٧.

(١٦٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

(مكن): المكان هو الموضع الحاوي للشيء، ويقال مكان ومكانة(١٦٨).

«والمكانة هنا مستعارة للحالة التي تَلبس بها المرء، تَشَبَّه الحالة في إحاطتها وتلبُّس صاحبها بها بالمكان الذي يحوي الشيء، أو تكون المكانة كناية عن الحالة لأن أحوال المرء تظهر في مكانه ومقره(١٦٩).

التفسير:

لمّا يئس نبيّ الله شعيب عليه السلام من استجابة قومه له قال: يا قوم اعملوا على طريقتكم إنّي عامل على طريقتي، كأنه يقول: اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة، فأنا ثابت على الإسلام والمصابرة ـ وهذا تهديد شديد ـ، سوف تعلمون من الذي يأتيه عذاب يذله ويهينه، وستعلمون من هو الكاذب في قيله وخبره منا ومنكم، وانتظروا عاقبة أمركم إنني منتظر معكم(١٧٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ ـ بغير ألف ـ على الإفراد لأنّ (مكانة) مصدر، والمصدر يدل على القليل والكثير من صنفه، من غير جمع ولا تثنية، والأصل في المصدر ألاّ يُثَنى ولا يجمع لأن فائدته فائدة الفعل، إذ الفعل منه أُخذ، فكما لا يُجمع الفعل كذلك لا يجمع المصدر، إلاّ أن تختلف أنواعه، فيشابه المفعول، فيجوز جمعه(١٧١). والقراءة ﴿مكاناتكم﴾ ـ بألف بعد النون ـ على الجمع فيها ليطابق المضاف إليه ـ وهو ضمير الجماعة ـ،

---

(١٦٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٧١.

(١٦٩) التحرير والتنوير ج٨ص٩٠، ٩١. باختصار.

(١٧٠) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٠٨، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٤، صفوة التفاسير ج٢ص٣٠.

(١٧١) انظر: الكشف ج١ص٤٥٢، ٤٥٣، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص١٠٣.

فقابل جمع المخاطبين من الكفار بجمع المصدر فلكل كافر لون من الكيد للدعوة يحبطه الله ﷻ، كما أنّ فيه إشارة إلى أنواع مختلفة تندرج تحت جنس التمكن المسند إلى الكفار مجتمعين، إذ يتأتى منهم أحوال مختلفة من صد عن سبيل الله، وافتراء وتكذيب وتعذيب إلى غير ذلك، والمعنى: اعملوا على جميع أحوالكم التي أنتم عليها فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد بمنزلة قوله تعالى ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ [المرسلات: ٤٦](١٧٢).

مما سبق يتبين أنّ القراءة بالإفراد تشمل الواحد والجمع، لأن المصدر يدل على الكثير والقليل من صنفه، فهي تشمل في معناها القراءة الأخرى «لأن الواحد ينوب عن الجمع»(١٧٣)، كما أنها تفيد اجتماعهم على الكفر والتكذيب ووقوفهم كرجلٍ واحد في محاربة الحق. أمّا القراءة على الجمع فإنها تفيد ضلوع كل واحد منهم في الضلال والتكذيب على أحوال مختلفة، حيث جعل لكل واحد منهم (مكانة) أي حالة من الكفر والتكذيب، وهذا يوحي بشدة تكذيبهم وضلالهم، وتنوع أساليبهم في الصدّ عن سبيل الله. والله تعالى أعلم.

٢٣ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿سُعِدُوا۟﴾ بضم السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين(١٧٤).

(١٧٢) انظر: الكشف ج١ ص ٤٥٢، طلائع البشر ص٩١، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص١٧١، ١٧٢.

(١٧٣) حجة القراءات ص٢٧٢.

(١٧٤) انظر: غاية الاختصار ص٥٢٣، النشر ج٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

سعد: السَّعد والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ويضاده الشقاوة، يقال سَعِد وأسعده الله، ورجل سعيد وقوم سعداء، وأعظم السعادات الجنة لذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾(١٧٥).

التفسير:

يبين الله تعالى حال الذين سعدوا برحمته جلّ شأنه، وهم أتباع الرسل ـ اللهم اجعلنا منهم ـ فيقول تعالى: وأمّا السعداء الأبرار فمأواهم الجنة ماكثين فيها أبداً، ما دامت السماوات والأرض، أو ما دامت سماوات الجنة وأرض الجنة، بحسب مشيئته تعالى، وقد شاء تعالى لهم الخلود والدوام، عطاءً من الله ﷻ غير مقطوع عنهم، بل هو ممتد إلى غير نهاية(١٧٦).

قال ابن كثير: «ومعنى الاستثناء هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائماً، ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس. وقيل: هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها»(١٧٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن قرأ ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين: أنه بنى الفعل لهم فرفعهم به. والحجة لمن قرأ ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم السين: أنه بنى الفعل لما لم يسم فاعله، وذلك أنّ (سَعِد) يصلح أن يتعدَّى إلى مفعول، وألاّ يتعدى، كقولك سَعِد زيد وسَعَدَه الله(١٧٨). وقيل هما لغتان بمعنًى. «قال الكسائي: سُعد الرجل

---

(١٧٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٣٢.

(١٧٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص١٢٠، ١٢١، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٧، صفوة التفاسير ج٢ص٣٥.

(١٧٧) تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٧، ٦٧٨ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٢٠.

(١٧٨) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٠، حجة القراءات ص٣٤٩.

وأُسعد لغتان»(١٧٩).

والحقيقة أنّ هناك ثمت معانيَ تضيفها كل قراءة، حيث إنّ القراءة ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين ـ والتي أسند فيها الفعل لأهل السعادة، فرفعهم به ـ توحي بأنهم استأهلوا هذه السعادة بما عَملوا، وأمّا القراءة ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم السين، ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، فإنها تلفت نظر المؤمنين إلى قضية مهمة، وهي أنّ الأمر كله لله، وما كان لأهل السعادة أن يتحقق لهم ذلك حتى أسعدهم الله تعالى فَسُعِدوا. والله تعالى أعلم.

قال الألوسي: «وما ألطف الإشارة في (شقوا وسُعدوا) على قراءة البناء للفاعل في الأول والبناء للمفعول في الثاني فمن وجد ذلك فليحمد الله تعالى ومن لم يجد فلا يلومن إلا نفسه»(١٨٠).

٢٤ ـ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود: ١١١].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير ﴿وإنْ﴾ بنون مخففة، و﴿لَمَا﴾ بميم مخففة.

٢ ـ قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف ﴿وإنّ﴾ بنون مشددة، و﴿لَمَا﴾ بميم مخففة.

٣ ـ قرأ شعبة ﴿وإنْ﴾ بنون مخففة، و﴿لَمّا﴾ بميم مشددة.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿وإنّ﴾ بنون مشددة، و﴿لَمّا﴾ بميم مشددة(١٨١).

(١٧٩) مفاتيح الأغاني ص ٢١٦، وانظر: حجة القراءات ص٣٤٩، الكشف ج١ ص٥٣٦.

(١٨٠) روح المعاني ج١٢ص١٤٦. ولعل المفسر ـ رحمه الله ـ أراد الإشارة إلى أنّ الله تعالى نسب الشقاوة لأصحابها حيث أنهم أشقوا أنفسهم بأيديهم بابتعادهم عن الصراط المستقيم. وأما السعادة فنسبت لله فهو بفضله ومنته ينعم على من يشاء من عباده فيوفقه للخير ويجعله من السعداء. والله أعلم.

(١٨١) انظر: غاية الاختصار ص ٥٢٣، ٥٢٤، النشر ج ٢ ص٢٩١.

التفسير:

كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد ﷺ في هذه السورة، والله ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم، لا يظلم منهم أحداً، وكلهم سوف يلاقون جزاء أعمالهم لا يفلت منهم أحد، إنّ الله عليم بأعمالهم جميعها، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها(١٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ وجه القراءة ﴿وإنْ﴾ بالتخفيف: أنها المخففة من (إنّ) الثقيلة، وأُعملت في اسمها فانتصب بعدها. و(إن) المخففة إذا وقعت بعدها جملة اسمية يكثر إعمالها، ويكثر إهمالها(١٨٣). قال سيبويه: «وحدثنا من نثق به، أنه سمع من العرب من يقول: إن عمراً لمنطلق. وأهل المدينة يقرؤون: ﴿وإنْ كُلاً﴾ يخففون وينصبون، وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل، فلمّا حذف من نفسه شيء لم يغير عمله كما لم يغيِّر عمل (لم يك). وأمّا أكثرهم فأدخلوها في حروف الابتداء حين حذفوا كما أدخلوها في حروف الابتداء حين ضَمّوا إليها مَا»(١٨٤).

والقراءة ﴿وإنَّ﴾ بالتشديد على الأصل(١٨٥).

٢ ـ وجه قراءة ﴿لَمَا﴾ مخففة: أنّ اللام الداخلة على (ما) لام الابتداء، واللام الثانية الداخلة على ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ لام جواب القسم. و(ما) مزيدة للتأكيد، والفصل بين اللامين دفعاً لكراهة توالي مثلين. والمعنى: (وإنّ

---

(١٨٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٢٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٩، التسهيل ج٢ص١٢٢، التحرير والتنوير ج١٢ص١٧٤، التفسير الواضح ج١٢ص٥٣، ٥٤.

(١٨٣) انظر: تفسير ابن عطية ج٣ص٢١٠، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٢، التحرير والتنوير ج١٢ ص١٧٣.

(١٨٤) الكتاب ج٢ ص١٤٠ ـ باختصار، وانظر: المفضل شرح المفصل ص١٧٤.

(١٨٥) انظر: الكشاف ج٢ص٢٩٥، تفسير ابن عطية ج٣ص٢١٠، التحرير والتنوير ج١٢ ص١٧٣.

جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم)[١٨٦].

وقراءة ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد على أن أصله (لمِن ما) فقلبت النون ميما للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن، و(مِن) هنا هي الجَارّة التي تستعمل في معنى كثرة تكرر الفعل كالتي في الحديث عن ابن عباس قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنْ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ... فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]»[١٨٧]، ولام ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ لام القسم. والمعنى: (لمِن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم)[١٨٨]، ومعنى الكثرة في هذه الآية الكناية عن عدم إفلات فريق من المختلفين في الكتاب من إلحاق الجزاء عن عمله به[١٨٩].

وبالجمع بين القراءات في الآية يصبح المعنى:

والله ليوفينهم الله ﷻ أعمالهم، فإنّ ذلك محقق لا محالة، كما أنّ جميعهم بلا استثناء سيلقون جزاء أعمالهم لا يفلت منهم أحد.

واختلاف الأسلوب في التعبير عن المعنى مرة باستخدام (إن) المخففة ـ مع إعمالها ـ ومرة باستخدام (إنّ) المثقلة وكلتاهما مع (لمّا) مخففة أو مثقلة، ناسب موعدة الله تعالى بأنه سيحاسب هؤلاء المذكورين على جميع أعمالهم، جليلها ـ ناسبه تشديد النون ـ وحقيرها ـ ناسبه تخفيف النون ـ. والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٥ ـ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

(١٨٦) انظر: الكتاب ج٢ ص ١٣٩، الكشاف ج٢ص٢٩٥، ، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٢، إبراز المعاني ص٥٢٢.

(١٨٧) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ ح(٧٥٢٤) ص١٤٣٦، ١٤٣٧.

(١٨٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٧٣.

(١٨٩) انظر: الكشف ج١ص٥٣٧، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٢، التحرير والتنوير ج١٢ ص ١٧٤.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿وَزُلُفاً﴾ بضم اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَزُلَفًا﴾ بفتح اللام(١٩٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: ساعات من الليل؛ وهي ساعاته القريبة من آخر النهار، من أزلفته إذا قَرَّبته وأَدْنيته(١٩١).

قال ابن فارس: «زلف: الزاء واللام والفاء يدل على اندفاع وتقدم في قرب إلى شيء، يقال من ذلك ازدلف الرجل تقدم، وسميت مُزدلِفة بمكة، لاقتراب الناس إلى مِنى بعد الإفاضة من عرفات، ويقال: لفلان عند فلان زلفى، أي قربى، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ [ص: ٤٠]، والزَّلَف والزُّلفة: الدرجة والمنزلة، وأزلفت الرجل إلى كذا: أدنيته»(١٩٢).

التفسير:

يقول تعالى ذكره: أدِّ الصلاة كاملة مقومة تامة الأركان مستوفية الشروط والهيئات، غدوة وعشية، ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي وساعات من الليل جمع (زلفة) وهي ساعاته القريبة من آخر النهار ـ صلاة الغدوة الفجر، وصلاة العشية الظهر والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء(١٩٣) ـ ، إنّ فعل الخيرات يُكَفِّر الذنوب السالفة(١٩٤). جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أنّه توضأ كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ وضوئي هذا ثم صلى**

(١٩٠) انظر النشر ج٢ص٢٩١، ٢٩٢، البدور الزاهرة ص١٥٩.

(١٩١) انظر: الكَشاف ج٢ص٢٩٦.

(١٩٢) معجم مقاييس اللغة ج٣ص٢١.

(١٩٣) انظر: تفسير النسفي ج٢ص٥٠٥، التفسير الواضح ج١٢ص٥٦.

(١٩٤) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٦٨٠.

ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه»[195].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرِ**»[196].

وعن ابن مسعود ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ قَالَ الرَّجُلُ أَلِي هَذِهِ؟، قَالَ: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»[197].

﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي ذلك المذكور من الأمر بالاستقامة والمحافظة على الصلاة أو ذلك القرآن عظة للمتعظين، وإرشاد للمسترشدين[198].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿**زُلُفاً**﴾ بضم اللام، جمع ﴿**زُلُفة**﴾ بضم اللام، و﴿**زُلَفاً**﴾ بفتح اللام، جمع ﴿**زُلْفَةٌ**﴾ بسكون اللام[199]، وهما على لغتين من لغات العرب[200].

قال عبده الراجحي: «الفتح أخف الصوائت القصيرة في العربية، والضم أثقلها، وتدلنا القراءات على أنّ هناك لهجات تستعمل الفتح حيث تستعمل الضم لهجات أخرى. أمّا لهجات القبائل في هذه الظاهرة فإنهم

(١٩٥) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، ح(٤٢٧) ص١٣٥.

(١٩٦) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، ح(٤٤٠) ص١٣٨.

(١٩٧) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾، ح(٤٦٨٧) ص٨٩٧.

(١٩٨) انظر: تفسير النسفي ج٢ص٥٠٥، صفوة التفاسير ج٢ص٣٦.

(١٩٩) انظر: إتحاف فضلاء البَشَر ص٣٢٦، طلائع البِشر ص١٢٣، الهادي ج٢ص٣١٩.

(٢٠٠) النشر ج٢ص٢٩٢.

ينسبون الفتح إلى أهل الحجاز، وينسبون الضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد، والفتحة تلائم البيئة الحضرية لما فيها من خفة بينما تناسب الضمة أهل البادية لثقلها. لكنهم ينسبون الضم في (ميسرة) إلى أهل نجد، وقد وردت عليه كلمات أخرى نحو مقبُرة ومشرُبة، فلعل ذلك ـ شأن الظواهر الأخرى ـ انتقال لهجة إلى لهجة أخرى»(٢٠١).

وهذا اللون من اختلاف الصيغة والذي يرجع إلى أصوات الحركات، يؤدي إلى اختلاف في المسموع. ويغير في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه، ولا يخفى أثر ذلك على السامع(٢٠٢).

وعليه فإنّ القراءتين جاءتا على لغتين من لغات العرب. وقد ناسب الفتح وما به من خفة سرعة انقضاء الأوقات، وناسب الضم وما به من ثقل، أمانة التكليف بالمحافظة على الصلوات، كما أنّ اختلاف القراءة أدى إلى اختلاف في المسموع، وغيّر في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه، فجعل لكل قراءة تأثيراً خاصاً في أذن السامع. والله تعالى أعلم.

٢٦ ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَآ أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن جماز ﴿بِقْيَة﴾ بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء(٢٠٣).

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بَقِيَّةٍ﴾ بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء(٢٠٤).

---

(٢٠١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠، ١٢٢ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٢٠٢) انظر: وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ص٧٠.

(٢٠٣) قال ابن الجزري: «وقد ترجمها أبو حيان بضم الباء فوهم» (النشر ج٢ص٢٩٢)، قلت: وقد نقلها عدد من المفسرين عن أبي حيان ونسبوها إلى أبي جعفر.

(٢٠٤) انظر: النشر ج ٢ص٢٩٢، إتحاف فضلاء البشر ص٣٢٧، البدور الزاهرة ص١٥٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

(بقي): البقاء ثبات الشيء على حاله الأولى وهو يضاد الفناء، وقد بقي بقاءً، وقيل بقى في الماضي مَوضِع بَقِيَ، وفي الحديث: «بَقَيْنا النَّبي ﷺ في صلاة العتمة»[(٢٠٥)]. أي انتظرناه وترصَّدنا له مدة كثيرة، وقوله تعالى: ﴿أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ معناه أُولو تمييز وفَهْم، أو أُولو طاعة، وفُسّر بأَنه من الإِبْقاء كأَنه أَراد فلولا كان من القرون قوم أُولو إبقاء على أَنفسهم لتمسكهم بالدين المرضي[(٢٠٦)].

قال الفيروزآبادي: «بَقِيَ يبقى بقاءً، وبَقَى بَقْياً: ضد فَنِيَ، وأبقاه وبقّاه واستبقاه، والاسم: البَقوى، ويُضم، والبُقيا بالضم، والبَقِـيَّة، وقد توضع الباقية موضع المصدر»[(٢٠٧)].

التفسير:

يقول تعالى: كان من الواجب أن يكون من الأمم الماضية قبلكم جماعة أولو عقل وفضل وعلم بالشريعة، لهم كلمة مسموعة، ينهون أقوامهم عن الكفر والمعاصي، لكنّ الذي حدث أنه كان في تلك الأمم قليل من المؤمنين، ولم يُسمع لهم من أقوامهم رأي، وقد كانت النجاة لهؤلاء المؤمنين، وكان الهلاك والدمار للمعاندين الذين أصروا على ما تعوَّدوه من قبل من حياة الترف والفساد، ولم يبغوا به بدلاً، ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ أي: ظالمين باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العذاب[(٢٠٨)].

---

(٢٠٥) أخرجه أبو داوود: كتاب الصلاة، باب في وقت العشاء الآخرة، ح(٤٢١) ج١ص(١٧٣) وهو ضمن حديث طويل، والحديث صححه الألباني.

(٢٠٦) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٧، عون المعبود ج٢ص٧٠، القاموس المحيط ص١٦٣١، لسان العرب ج١ص٣٣٠.

(٢٠٧) القاموس المحيط ص١٦٣١.

(٢٠٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٨٢، الأساس في التفسير ج٥ص٢٦٠٩، صفوة التفاسير ج٢ص٢٦، تفسير السعدي ص٣٦٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان على لغتين من لغات العرب(٢٠٩). وقراءة ابن جماز أجريت مجرى الهيئة لما فيها من تخيل السمت والوقار. قال ابن عاشور: «وقرأ ابن جماز عن أبي جعفر ﴿بِقْيَة﴾ بكسر الباء الموحدة وسكون القاف وتخفيف التحتية، فهي لغة، ولم يذكرها أصحاب كتب اللغة، ولعلها أجريت مجرى الهيئة؛ لما فيها من تخيل السمت والوقار»(٢١٠). والله أعلم.

٢٧ ـ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [هـود: ١٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿مكاناتكم﴾ بألف بعد النون على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير ألف بعد النون على الإفراد(٢١١).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ [هود: ٩٣](٢١٢).

٢٨ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وحفص ﴿يُرْجَع﴾ بضم الياء وفتح الجيم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَرْجِعُ﴾ بفتح الياء وكسر الجيم(٢١٣).

(٢٠٩) انظر: قلائد الفكر ص٦٣، طلائع البشر ص١٢٣.
(٢١٠) التحرير والتنوير ج١٢ ص١٨٤.
(٢١١) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٨.
(٢١٢) انظر ص٦١ من هذا البحث.
(٢١٣) انظر: المبسوط ص ٢٤٢، والنشر ج٢ص٢٠٨، ٢٠٩، البدور الزاهرة ص١٥٤.

٣ ـ قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بياء الغيبة(٢١٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿يُرْجَع﴾: سبق بيانه(٢١٥).

٢ ـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾: سبق بيانه(٢١٦).

التفسير:

يخبر الله تعالى أنّه عالم غيب السماوات والأرض وأنّه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فللّه الخلق والأمر، فاعبد ربك يا محمد ـ ﷺ ـ وفوض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، ، فإنّه كاف من توكل عليه وأناب إليه، وليس يخفى عليه ما تعمله أيها النبي ـ ﷺ ـ والمؤمنون من إخلاص العبادة والتوكل والصبر على أذى المشركين، فهو يوفيكم أجوركم في الدنيا والآخرة، كما لا يخفى عليه ما يعمله مكذبوك يا محمد ـ ﷺ ـ من الكفر والكيد لكم، بل هو عليمٌ بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتمّ الجزاء في الدنيا والآخرة(٢١٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾:

﴿يَرْجِعُ﴾ من الفعل رجع اللازم و﴿الأَمْرِ﴾ فاعل، والمعنى: يَرجِع الأمرُ إلى الله، أما ﴿يُرْجَع﴾ فهو على ما لم يسمَّ فاعله، وهو متعدٍ على

(٢١٤) انظر النشر ج ٢ ص٢٦٢، ٢٦٣، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٢١٥) انظر ص٣٣ من هذا البحث.

(٢١٦) انظر ص٤٠ من هذا البحث.

(٢١٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٤٨، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٤، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٧٧، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٤، ١٩٥.

هذا الوجه ولولا ذلك لما بني لما لم يسم فاعله. والعرب تقول: رجعتُهُ فرجع، لفظ اللازم والمتعدي سواءً كقولك: نقصته فنقص، والمعنى: يُرجِع كلُ ذي أمر أمرَه إلى الله(٢١٨)، والمعنيان يتداخلان، وذلك أنّ الله هو الذي يُرْجِع الأمرَ، فإذا رجعه رجع، فالأمر مرجوع وراجع(٢١٩).

قال مكي: «وحجة من ضمّ أنه حمل الفعل على ما لم يسم فاعله، فأقام الأمر مقام الفاعل، كما قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [فصلت: ٧]، وحجة من فتح أنه أضاف الفعل إلى ﴿ٱلْأَمْرُۚ﴾ فرفعه بفعله كما قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]»(٢٢٠).

مما سبق يتبين أنّ القراءتين معاً تؤكدان أنّ مآل الأمور إلى الله، وتدبيرها وتصريفها بيده لا بيد أحد غيره. فالقراءة بالبناء للمفعول تخبر أنّ الله تعالى يُرجع الأمور إليه ـ هذا على معنًى ـ وعلى معنًى آخر تصور هيئةَ عجز الناس عن التصرف في الأمور بحسب رغباتهم بهيئة من تناول شيئاً للتصرف فيه ثم عجز عن هذا التصرف فأرجعه إلى من هو حريّ بالتصرف به. والقراءة بالبناء للفاعل تمثيل لهيئة خضوع الأمور إلى تصرف الله، دون تصرف المحاولين التصرف فيها، بهيئة المتجول الباحث عن مكان يستقر به، ثم إيوائه إلى المقر اللائق به، ورجوعه إليه(٢٢١). وعلى كل الأحوال فمرجع الأمور إلى الله ﷻ. والله تعالى أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

حجة من قرأ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء أنه جعله على الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه، فردّه على ما قبله من الخطاب في قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾

---

(٢١٨) انظر: معاني القراءات ص٧٤، ٧٥، إملاء ما منّ به الرحمن ج١ص١١٨، التحرير والتنوير ج١٢ ص١٩٤.

(٢١٩) انظر: حجة القراءات ص١٣١.

(٢٢٠) الكشف ج١ص٥٢٨.

(٢٢١) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٥.

وهو أمر للنبي ﷺ والمراد به هو وأمته[٢٢٢]، وهي على هذا وعد للمؤمنين بحسن الجزاء، ويجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين والكافرين والمعنى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ جميعاً: ما تعمله أنت أيها النبي والمؤمنون من عبادته والتوكل عليه، والصبر على أذى المشركين، فهو يوفيكم جزاءه في الدنيا والآخرة، وما يعمله المشركون من الكفر والكيد لكم، فتكون هذه القراءة وعداً للمؤمنين ووعيداً للكافرين[٢٢٣]. وحجة من قرأ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياء أنه رَدّه على لفظ الغيبة الذي قبله في قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود: ١٢١]، وقوله: ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود: ١٢٢]، وفيه معنى التهديد والوعيد للكفار، والتقدير: وما ربك يا محمد بغافل عمّا يعمل هؤلاء الذين لا يؤمنون[٢٢٤]. فهذه القراءة نص في وعيد المشركين بالجزاء على إجرامهم[٢٢٥].

وعليه فإنّ القراءة بتاء الخطاب شملت الحديث عن المؤمنين والكافرين، بأنّ الله تعالى سيعطي كل عامل جزاء عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فهي بشارة وتسلية للنبي ﷺ ومن معه، أمّا القراءة الثانية بياء الغيبة فهي نصّ في تهديد الكفار. والله تعالى أعلم.

---

(٢٢٢) انظر: حجة القراءات ص٣٥٣، الكشف ج١ص٥٢٨.
(٢٢٣) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٦، تفسير المنار ج١٢ ص١٩٧.
(٢٢٤) انظر: حجة القراءات ص٣٥٣، الكشف ج١ص٥٢٨، ٥٢٩.
(٢٢٥) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٦، تفسير المنار ج١٢ ص١٩٧.

المبحث الثاني
سورة يوسف عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة يوسف عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام

اسمها:

الاسم الوحيد لهذه السورة هو: سورة يوسف عليه السلام، فقد ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في ترجمة رافع بن مالك الزرقي(٢٢٦): أنّ رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف(٢٢٧)، يعني بعد أن بايع النبي ﷺ يوم العقبة. ووجه تسميتها ظاهر، حيث وردت فيها قصة يوسف عليه السلام كلها(٢٢٨).

---

(٢٢٦) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُريق الأنصاري، شهد العقبة، وكان أول من أسلم من الخزرج. (الإصابة ج٢ص٣٦٩)

(٢٢٧) انظر: الإصابة ج٢ ص٣٧٠.

(٢٢٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٧.

نزولها:

سورة يوسف عليه السلام كلها مكية على المعتمد(٢٢٩). وقيل: إلاّ ثلاث آيات من أولها، واستثنى بعضهم رابعة وهي قوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧] وكل ذلك واه جداً لا يلتفت إليه(٢٣٠). فالسورة كلها لُحمة واحدة يظهر عليها الطابع المكي جلياً في موضوعها، وفي جوها، وفي إيحاءاتها(٢٣١). وقد نزلت سورة يوسف عليه السلام بعد سورة هود عليه السلام، في فترة حرجة من تاريخ الدعوة حيث توالت الشدائد والنكبات على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها وأبي طالب، كأن الله عز وجل يقص على نبيه محمد ﷺ قصة أخ له كريم، وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات، فيصبر عليها، مستمراً في دعوته إلى الله عز وجل، فجاءت هذه السورة مبشرة بقرب النصر لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين، وكانت تسرية وتسلية وتخفيفاً لآلام المسلمين، وتحمل الأنس والراحة لمن سار على هذا الدرب، فلا بد من الفرج بعد الضيق، ومن اليسر بعد العسر(٢٣٢).

عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية باتفاق أصحاب العدد في الأمصار(٢٣٣).

---

(٢٢٩) انظر: الإتقان ج١ص٢٠، روح المعاني ج١٢ص١٧٠، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٧، تفسير المنار ج١٢ ص ٢٥٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص٢٦.

(٢٣٠) انظر: الإتقان ج١ص١٥، روح المعاني ج١٢ص١٧٠، تفسير المنار ج١٢ ص ٢٥٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص٢٦.

(٢٣١) انظر: في ظلال القرآن ج٤ص٦٦٠.

(٢٣٢) انظر: في ظلال القرآن ج٤ص٦٦٠، صفوة التفاسير ج٢ص٤٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص ٢٨.

(٢٣٣) انظر: فنون الأفنان ص٥٢، جمال القراء وكمال الإقراء ج١ص٢٠٤، روح المعاني ج١٢ص١٧٠، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٨، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص٩٨.

وجه اتصالها بما قبلها (سورة هود عليه السلام):

وجه اتصالها بالتي قبلها - وهي سورة هود عليه السلام - أنَّ في آخر سورة هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، وكان في سورة يوسف عليه السلام تلك الأنباء المقصوصة، وقد جاء في سورة هود عليه السلام ذكر ما لاقى الأنبياء عليهم السلام من أقوامهم، وتبعه في سورة يوسف عليه السلام ذكر قصة يوسف عليه السلام، وما لاقاه من إخوته، وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة، ليحصل للرسول ﷺ التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب. وأيضا قد ورد في سورة هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وجاء في سورة يوسف عليه السلام ذكر حال يعقوب عليه السلام مع أولاده وما صارت إليه عاقبة أمرهم، ممّا هو أقوى شاهد على الرحمة[٢٣٤].

ما اشتملت عليه السورة:

تضمنت هذه السورة قصة يوسف عليه السلام بجميع فصولها المثيرة. وهي أطول قصة في كتاب الله تعالى تضمنت مشاهد كثيرة متوالية[٢٣٥]:

١ - طفولة يوسف عليه السلام إذ يقص رؤياه على أبيه يعقوب عليه السلام.

٢ - تآمر إخوة يوسف عليه السلام عليه للتخلص منه.

٣ - تنفيذ المؤامرة بيوسف عليه السلام وتغطيتها وتلبيس الأمر على يعقوب عليه السلام.

---

(٢٣٤) انظر: تناسق الدرر ص٩٤، ٩٥، البحر المحيط ج٥ص٢٧٨، روح المعاني ج١٢ص١٧٠.

(٢٣٥) انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية ص٢٩، ٣٠ - بتصرف، وقد أحاله المؤلف إلى كتاب دراسة أدبية لنصوص من القرآن لمحمد المبارك ص٨٣ - ٨٦، وانظر: التفسير المنير ج١٢ص١٨٩، ١٩٠.

٤ ـ التقاط يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وخروجه من البئر.

٥ ـ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في مصر في بيت العزيز، ومحنته مع امرأة العزيز.

٦ ـ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في السجن، داعية، ويُؤَوِّل الرؤى.

٧ ـ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في بلاط الملك بعد خروجه من السجن وتوليته خزائن مصر.

٨ ـ يتلو ذلك مشاهد متعددة تنتهي بلقاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بإخوته وتعارفهم وانتقالهم جميعاً مع أبيهم إلى مصر، وتفتح أبواب الفرج على مصراعيها، وينتهي ذلك بتعبير يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عن شكره لله عَزَّ وَجَلَّ على نعمه كلها.

قال ابن عاشور: «وفيها: إثبات أنّ بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوات . . .، وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده، وتحاسد القرابة بينهم، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، وأنّ العبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وفيها سكنى إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنيه بأرض مصر، وتسلية النبي ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلهم من الأذى . . .، وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها، واسترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل»(٢٣٦).

المطلب الثاني: تفسير سورة يوسف بالقراءات القرآنية العشر.

١ ـ ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

القراءات:

(٢٣٦) التحرير والتنوير ج١٢ ص١٩٨، ١٩٩ ـ باختصار، وتصرف يسير.

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿يَا أَبَتَ﴾ بفتح التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بكسر التاء.

ويقف ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالهاء والباقون بالتاء(٢٣٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

الأب: الوالد، وزادت العرب في النداء فيه تاءً فقالوا: يا أبتِ، ويسمى كلُّ من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أباً، ويقال: أَبَوتُ القومَ كنت لهم أباً، أَبوهم، وفلانٌ يَأبُو بَهْمَه أي يتفقدها تفقد الأب(٢٣٨).

التفسير:

يقول تعالى: اذكر يا محمد ـ ﷺ ـ في قصصك عليهم قصة يوسف عليه السلام إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحق عليهما السلام: يا أبت إني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم في منامي ساجدين لي. قيل: إنّ رؤيا الأنبياء كانت وحياً، والكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشمس والقمر أبويه(٢٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«حجة من قرأ ﴿يَا أَبَتَ﴾ بفتح التاء أنه قدّر إثبات ياء الإضافة في النداء، وهي لغة مستعملة، فلمّا أثبت الياء في المنادى أبدل الكسرة التي قبل الياء فتحة فانقلبت الياء ألفاً ثم حذفت الألف لدلالة الفتحة عليها»(٢٤٠).

---

(٢٣٧) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠، مصحف الصحابة ص٢٣٥.

(٢٣٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٧.

(٢٣٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥١، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٨٨، تفسير القرطبي ٩ص١٢١، صفوة التفاسير ج٢ص٤٢.

(٢٤٠) الكشف ج٢ص٣ ـ باختصار وتصرف يسير.

وحجة من قرأ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر أنه أبقى الكسرة تدل على الياء المحذوفة في النداء، وأصله (يا أبتي)، كما تقول: يا غلامِ أقبل، وهي لغة فاشية مستعملة»[٢٤١].

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالكسر فعلى الإضافة إلى نفسه، وحذف الياء، لأن ياء الإضافة قد تحذف في النداء، وقيل: التاء بدل من ياء الإضافة، ولا يجوز اجتماعهما، وكسرت لتدل على أنه موضع إضافة، ومن قرأ بالفتح، فعلى أنه أبدل من ياء الإضافة ألفاً، ثم حذف الألف كما تحذف الياء»[٢٤٢].

«ومن وقف بالهاء فلأنها تاء التأنيث لحقت الأب في باب النداء خاصة، فكان الوقف عليها بالهاء، ومن وقف بالتاء فلاتباع المصحف، لأنها مكتوبة فيه بالتاء، ولأن ياء الإضافة مقدرة بعدها»[٢٤٣].

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلتاهما تدلان على شدة التصاق يوسف عليه السلام بأبيه يعقوب عليه السلام حيث ناداه بلفظ الأبوة، وأضاف يوسف عليه السلام لفظ الأبوة إلى نفسه كعادة الابن البار في نداء أبيه. والفتحة دلت على الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء الإضافة، والكسرة دلت على ياء الإضافة المحذوفة، ومعلوم أنّ الكسرة والياء أقوى من الفتحة والألف[٢٤٤]، فناسب تنوع الخطاب بين القوة واللين، ما في الرؤيا من صدق ويقين؛ لصدق يوسف عليه السلام في قوله، ولأنها رؤيا حقّ، وما في الصبي القاص لرؤياه من طفولة وبراءة وصفاء، حيث لجأ إلى كنف أبيه يلتمس عنده الدفء والحبّ والعطف ويقص عليه ما رأى في منامه. والله تعالى أعلم.

---

(٢٤١) الكشف ج٢ص٣.

(٢٤٢) الملخص في إعراب القرآن ص٣٢.

(٢٤٣) المرجع السابق نفس الصفحة، وانظر: الكشف ج٢ص٤.

(٢٤٤) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠.

٢ - ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ [يوسف: ٥].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَا بُنَيِّ﴾ بكسر الياء[٢٤٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[٢٤٦].

التفسير:

حين قصّ يوسف عليه السلام الرؤيا التي رآها على أبيه يعقوب عليه السلام، علم يعقوب عليه السلام أنّ تعبير هذه الرؤيا خضوع إخوة يوسف عليه السلام له، وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يخرون له ساجدين إجلالاً واحتراماً، فخشي عليه السلام أن يُحدِّث يوسفُ عليه السلام أحداً من إخوته بهذه الرؤيا فيحسدونه على ذلك ويبغون له الغوائل ولهذا قال: يا بنيّ لا تخبر إخوتك بهذه الرؤيا فيناصبوك العداوة، ويحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة لا تقدر على ردّها، ويطيعوا فيك الشيطان، إنّ الشيطان لآدم وبنيه عدوّ ظاهر العداوة فاحذره أن يُغري إخوتك بك[٢٤٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«﴿بُنيِّ﴾ بكسر الياء المشددة تصغير (ابن) مع إضافته إلى ياء المتكلم وأصله بُنَيوي أو بُنَيْيي على الخلاف في أنّ لام ابن الملتزم عدم ظهورها هي واو أم ياء. وعلى كلا التقديرين فإنها أدغمت في ياء التصغير بعد قلب الواو

(٢٤٥) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠.
(٢٤٦) انظر ص٣٨ من هذا البحث.
(٢٤٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥٢، الكشاف ج٢ص٣٠٣، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٩٠، ٦٩١، صفوة التفاسير ج٢ص٤٢.

ياء لتقارب الياء والواو، أو لتماثلهما فصار (بنيّي). وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها فحذفت ياء المتكلم لزوماً وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على ياء التصغير دلالة على الياء المحذوفة. وحذف ياء المتكلم من المنادى المضاف شائع، وبخاصة إذا كان في إبقائها ثقل كما هنا، لأن التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل»(٢٤٨). ويُقرأ بالفتح ووجه ذلك أنه أبدل الكسرة فتحة فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها(٢٤٩).

قال أبو شامة: «فعلى الكسر أصله: يا بنيّ فحذفت الياء كما تقول يا غلام، والأصل يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفاً لتوالي الياءات والكسَرات، ثم حذفت الألف، وبقيت الفتحة دالة عليها»(٢٥٠).

وكلتا القراءتين ألقت بظلالها على المعاني، فالقراءة بالكسر تشعر المرء بحرارة عاطفة الأب، وشفقته على ابنه، أمّا القراءة بالفتح ـ والفتحة هي أخف الحركات(٢٥١) ـ فقد ناسبت فيها خفة الحركة ما في الابن المنادى من براءة وطفولة. والله أعلم.

٣ ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير **﴿ءايتٌ للسائلين﴾** بحذف الألف بعد الياء على الإفراد.

---

(٢٤٨) التحرير والتنوير ج١٢ ص٢١٢، ٢١٣، وانظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٣٦٥، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩.

(٢٤٩) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٣٦٥، الكشف ج ١ ص٤٢، الياءات المشددات في القرآن وكلام العرب ص٣٠، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٤٦.

(٢٥٠) إبراز المعاني ص٥١٤، وانظر: حجة القراءات ص٣٤٠، مفاتيح الأغاني ص٢١٢.

(٢٥١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ بإثبات الألف على الجمع[٢٥٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(الآية): هي العلامة الظاهرة، واختلف في اشتقاقها، والصحيح أنها مشتقةٌ من التَّأيِّي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء. يُقَالُ: تَأَيَّ، أي ارفُق»[٢٥٣].

التفسير:

يقول الله تبارك وتعالى: لقد كان في شأن يوسف وإخوته الأحد عشر علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة، وعِبَرٌ وذكر للسائلين عن أخبارهم وقصصهم أو للطالبين للآيات المعتبرين بها[٢٥٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأها على التوحيد فلأنها رويت في غير هذا المصحف (عبرة للسائلين)[٢٥٥] ومن قرأ على الجمع فلأن عبراً قد كانت فيه»[٢٥٦].

قال الألوسي: «وجمع الآيات حينئذ قيل للإشعار بأنّ اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته ﷺ، وقيل لتعدد جهة الإعجاز لفظاً ومعنىً»[٢٥٧].

فالقراءة بالإفراد أشارت إلى أن شأن يوسف ـ عليه السلام ـ العظيم كله

(٢٥٢) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٢٥٣) المفردات في غريب القرآن ص٣٣، ٣٤ ـ باختصار، وانظر: لسان العرب ج١ ص ١٨٥.

(٢٥٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥٤، روح المعاني ج١٢ص١٨٨، ١٨٩.

(٢٥٥) وذلك في مصحف أبيّ. (انظر: روح المعاني ج١٢ص١٨٩).

(٢٥٦) الملخص في إعراب القرآن ص٣٥.

(٢٥٧) روح المعاني ج١٢ص١٨٩.

آية، والقراءة بالجمع أشارت إلى أنّ كل حال من أحوال يوسف عليه السلام آية وعبرة بذاته[(٢٥٨)].

وعليه يصبح معنى الآية: لقد كان شأن يوسف عليه السلام بمجمله، عبرة للسائلين كما أنّ كلّ حال من أحواله هو آية وعبرة في ذاته. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر ﴿غيابات﴾ بألف بعد الباء الموحدة على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غَيَٰبَتِ﴾ بغير ألف بعد الباء الموحدة على الإفراد[(٢٥٩)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الغيابة: ما غَيَّب عنك شيئاً[(٢٦٠)]، «وغيابة كل شيء ما سترك منه. ومنه غيابة الجبّ»[(٢٦١)]. قال ابن منظور: «ووقعوا في غيابة من الأرض، أي في منهبط منها. وغيابة كل شيء: قعره منه، كالجب والوادي وغيرهما، تقول: وقعنا في غيبة وغيابة، أي هبطة من الأرض، وفي التنزيل العزيز: ﴿في غيابات الجب﴾»[(٢٦٢)].

---

(٢٥٨) انظر: حجة القراءات ص٣٥٥.

(٢٥٩) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٦٠) انظر: غريب القرآن وتفسيره ص٨٣، تحفة الأريب ص٢٣٦، التبيان في تفسير غريب القرآن ص ٢٤٠.

(٢٦١) القاموس المحيط ص١٥٦.

(٢٦٢) لسان العرب ج٥ ص٣٣٢٢، ٣٣٢٣.

التفسير:

قال قائل من إخوة يوسف عليه السلام: لا تَصِلُوا في عداوة يوسف ـ عليه السلام ـ وبغضه إلى قتله، بل ألقوه في قعر البئر وغوره يأخذه بعض مارة الطريق من المسافرين إن كنتم عازمين على التخلص منه(٢٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿غيابات﴾ على الجمع كأنّه كان لتلك الجب غيابات، والقراءة ﴿غَيَٰبَتِ﴾ بالإفراد لأنه لم يلق إلا في واحدة، وغيابة الجبّ قعره أو حفرة في جانبه(٢٦٤).

قال الألوسي: «﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ أي في قعره وغوره، سُمي به لغيبته عن عين الناظر، ومنه قيل للقبر غيابة. وقرأ نافع ﴿في غيابات﴾، كأن لتلك الجبّ غيابات، ففيه إشارة إلى سعتها»(٢٦٥).

وعليه فالآية تبين أنّ يوسف عليه السلام ألقي في قعر البئر أو حفرة في جانبه وهذا ما أفادته القراءة بالإفراد نصاً وأفادته القرءاة بالجمع عقلاً، حيث إنّ الشخص يستحيل وجوده في أكثر من مكان في آن واحد، كما أنّ القراءة بالجمع أشارت إلى سعة تلك البئر. وأنها كانت موحشة إلى درجة كبيرة حيث كانت لها غيابات كثيرة، وهذا يبين شدة الموقف الذي وضع فيه يوسف عليه السلام في صغره. والله تعالى أعلم

٥ ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ⑪﴾ [يوسف: ١١].

---

(٢٦٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٩٢، صفوة التفاسير ج٢ص٤٢.

(٢٦٤) انظر: شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٢٥٤، إتحاف فضلاء البشر ص٢٦٢، تفسير أبي السعود ج٣ص٨٤.

(٢٦٥) روح المعاني ج١٢ص١٩٢ ـ بتصرف يسير.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿لَا تَأۡمَنَّا﴾ بالإدغام المحض[٢٦٦].

٢ ـ قرأ كلٌ من الباقين بوجهين: الأول: إدغام النون الأولى في الثانية مع الإشمام[٢٦٧]، والثاني: اختلاس[٢٦٨] ضمة النون الأولى وحينئذٍ لا يكون فيها إدغام[٢٦٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

(أمن): أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويُجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يُؤمَن عليه الإنسان. و(آمَنَ) يقال على وجهين: أحدهما: متعدياً بنفسه، تقول آمَنْتُه، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن، والثاني: غير مُتَعَد، ومعناه صار ذا أمن[٢٧٠].

---

(٢٦٦) يكون ذلك بلفظ نون مشددة مفتوحة من غير رَوْم ولا إشمام. (انظر: البدور الزاهرة ص١٦١).

(٢٦٧) الإشمام هنا عبارة عن ضم الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام الصريح كما يشير إليها الواقف، وتكون الإشارة إلى الضمة بعد الإدغام أو قبل كماله، والإشمام يقع بإزاء معانٍ هذا من جملتها، ومنها إشراف الكسرة شيئاً من الضمّ نحو: قيل، غيض وبابه، ومنها إشمام أحد حرفين شيئاً من الآخر كإشمام الصاد زاياً في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ﴾ وبابهما، فهذا خلط حرف بحرف، كما أنّ ما قبله خلط حركة بحركة، ومنها الإشارة إلى الضّمة في الوقف خاصة، وإنّما يراه البصير دون الأعمى. (الدر المصون ج٤ص١٥٩ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: القواعد والإشارات ص٥١، أحكام قراءة القرآن الكريم ص٢٣٤، ٢٣٥).

(٢٦٨) الاختلاس ـ ويعبر عنه البعض بالإخفاء أو الرّوْم ـ هنا: «عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة، والفصل بين النونين، إلاّ أنّ النون تكون رأساً فيكون ذلك إخفاء لا إدغاماً». (الدر المصون ج٤ص١٥٨، ١٥٩).

(٢٦٩) انظر: النشر ج١ ص٣٠٣ ـ ٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٦١.

(٢٧٠) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٥، ٢٦.

التفسير:

قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم يعقوب عليه السلام بعد إذ تآمروا بينهم، وأجمعوا على الفرقة بين يوسف عليه السلام وبين والده يعقوب: ﴿يَتَأَبَانَا﴾ خاطبوه عليه السلام بذلك تحريكاً لسلسلة النسب وتذكيراً لرابطة الأخوة ليتسببوا بذلك استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما أحس بحسدهم، ﴿مَالَكَ﴾ أي أيُّ شيء لك ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ لا تجعلنا أمناء ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ مع أنك أبونا ونحن بنوكم وهو أخونا ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَاصِحُونَ﴾ مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخلّ بذلك[٢٧١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿تَأْمَنَّا﴾ أصله (تأمننا) ثم أدغمت النون الأولى في الثانية، ومن قرأ بالإشمام أو بالاختلاس؛ فللدلالة على ضمة النون الأولى[٢٧٢].

قال الكرماني: «﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ قرئت بإشمام الضم في النون[٢٧٣]، وقرئت بالإدغام وترك الإشمام ...، ويشبه أنهم راودوه في أمره غير مرة فأبى عليهم»[٢٧٤].

قلت: ولا شكّ أنهم نوّعوا أسلوبهم في كل مرة.

وبالجمع بين القراءات في هذه الكلمة يستفاد أنّ إخوة يوسف عليه السلام راودوا أباهم أكثر من مرة، وبأساليب مختلفة، وهو يأبى عليهم.

لطيفة:

أشار البقاعي إلى نكتة بديعة في القراءات في هذه الكلمة حيث قال: «وأجمع القراء على حذف حركة الرفع في (تأمن) وإدغام نونه بعد إسكانه

(٢٧١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص ١٥٩، روح المعاني ج١٢ ص١٩٣.

(٢٧٢) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص٣٨٠.

(٢٧٣) في متن الكتاب (الميم) والصواب كما أثبت.

(٢٧٤) مفاتيح الأغاني ص٢٢٠.

تبعاً للرسم، بعضهم إدغاماً محضاً وبعضهم مع الإشمام، وبعضهم مع الرَّوْم(٢٧٥)، دلالة على نفي سكون قلبه عليه ـ عليهما الصلاة والسلام ـ بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون، ولو ظهرت ضمة الرفع عند أحد من القراء فات هذا الإيماء والنكتة اللطيفة»(٢٧٦).

٦ ـ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء في الفعلين وكسر العين في ﴿يَرْتَعِ﴾.

٢ ـ قرأ ابن كثير ﴿نرتعِ ونلعبْ﴾ بالنون في الفعلين مع كسر العين في ﴿نرتعِ﴾، وأثبت قنبل ياءً في آخرها في الحالين بخلف عنه.

٣ ـ قرأ أبو عمرو وابن عامر ﴿نرتعْ ونلعبْ﴾ بالنون في الفعلين مع سكون العين في ﴿يَرْتَعْ﴾.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء في الفعلين مع سكون العين(٢٧٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿يَرْتَعْ﴾: «(رتع): الراء والتاء والعين كلمة واحدة، وهي تدل على الاتساع في المأكل. تقول: رَتَعَ يَرْتَع، إذا أكل ما شاء ولا يكون ذلك

---

(٢٧٥) الروم في مصطلح القراء: هو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صوتاً خفياً، وقد عبّر الإمام الشاطبي عن الرَّوم في هذا الموضع بالإخفاء ـ أي بإخفاء حركة النون الأولى ـ ويكون ذلك بإظهار النون واختلاس حركتها، ولذا يعبر عنه بعضهم بالاختلاس. (انظر: غاية المريد ص١٨١، ١٨٢).

(٢٧٦) نظم الدرر ج٤ ص١٥.

(٢٧٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣.

إلاّ في الخصب»[٢٧٨].

قال الراغب: «الرتع أصله أكل البهائم، يقال رَتَعَ يرتع رتوعاً ورِتاعاً، قال تعالى: ﴿نرتع ونلعب﴾ ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير، وعلى طريق التشبيه»[٢٧٩].

٢ - **﴿نرتع، يرتع﴾**: قال ابن منظور: «(رعى): الرَّعي مصدر رعى الكلأ ونَحْوَه يَرْعَى رَعْياً. والرَّاعي يَرْعَى الماشية أي يحوطها ويحفظها. والماشية تَرعى، أي تَرتع وتأكل. ورَاعِي الماشيةِ حافِظُها. . . . ويُقال للنَّعم هي تَرْعَى وتَرْتَعي. وقرأ بعض القراء: **﴿أرسله معنا غدا نرتعي ونلعب﴾**، وهو افتعال من الرَّعي، وقيل: معنى نَرْتَعي أي يَرْعى بعضُنا بعضاً»[٢٨٠].

٣ - **﴿وَيَلْعَبْ﴾**: «(لعب): اللام والعين والباء كلمتان منهما يتفرع كلمات. إحداهما اللَّعِب: معروف . . . والكلمة الأخرى اللُّعاب: ما يسيل من فم الصبي. . .، وقيل: إنّ أصل الباب هو الذهاب على غير استقامة»[٢٨١].

قال الراغب: «(لعب): أصل الكلمة اللُّعاب وهو البزاق السائل، وقد لَعَبَ يَلْعَبُ لَعْباً سال لُعابه، ولَعِب فلان إذا كان فعله غير قاصدٍ به مقصداً صحيحاً يَلْعَبُ لَعِباً»[٢٨٢].

التفسير:

قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: أرسله معنا غداً إلى البادية، يتسع في أكل ما لَذَّ وطاب، ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره، ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه[٢٨٣].

(٢٧٨) معجم مقاييس اللغة ج٣ص٤٨٦.
(٢٧٩) المفردات في غريب القرآن ص١٨٧.
(٢٨٠) لسان العرب ج٣ص١٦٧٦.
(٢٨١) معجم مقاييس اللغة ج٥ص٢٥٣، ٢٥٤.
(٢٨٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٥٠.
(٢٨٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص ١٥٩، صفوة التفاسير ج٢ص٤٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿**نرتعْ ونلعبْ**﴾ من قول العرب رتع الإنسان والبعير إذا أكلا كيف شاءا، والمعنى نتسع في الخصب[٢٨٤]، وكذا يرتعْ بإسكان العين إلاّ أنّه ليوسف عليه السلام وحده. أمّا يرتعِ بكسر العين فهو من رعي الغنم أي ليتدرب بذلك ويترجل[٢٨٥] «وقيل: هو من قولهم: رعاك الله أي حرسك فمعناه على هذا التحارس»[٢٨٦]، وقال ابن عاشور: «هو مضارع ارتعى، وهو افتعال من الرعي للمبالغة فيه فهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم واستعير في كلامهم للأكل الكثير لأنّ الناس إذا خرجوا إلى الرياض والأرياف للعب والسبق تقوى شهوة الأكل فيهم فيأكلون أكلاً ذريعاً فلذلك شبه أكلهم بأكل الأنعام، وإنما ذكروا ذلك لأنه يسر أباهم أن يكونوا فرحين[٢٨٧].

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالنون، فلقولهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ إذ الظاهر أنهم حين أسندوا الاستباق إلى جماعتهم كانوا أسندوا جميع ذلك إليهم، ومن قرأ بالياء فإن القوم لم يريدوا إعلام يعقوب بما لهم من الرفق في خروج يوسف معهم، وإنما أرادوا أن يروه ما ليوسف في ذلك، ليكون داعياً له إلى إرساله معهم، فكان الوجه إسناد ذلك إليه»[٢٨٨].

وبالجمع بين القراءات في الآية يصبح المعنى:

قال إخوة يوسف لأبيهم: أرسل يوسف معنا يلهو ويلعب وينعم وينشط، ويتسع في الخصب، ويرعى غنمه ويعقل وينظر فيعرف ما يعرف الرجل، ونحن نشاركه ذلك فيتحقق له السرور معنا، ونتكالأ جميعاً ويحفظ بعضنا بعضاً ونتحارس، ونحن له حافظون من أن يناله شيء يكرهه. والله أعلم.

---

(٢٨٤) انظر: تفسير القرطبي ج٩ص١٣٩.
(٢٨٥) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص١٣٩، مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٢٧٤.
(٢٨٦) مشكل إعراب القرآن ج١ص٢٧٤، وانظر: تفسير الطبري ١٢ص ١٥٩، تفسير القرطبي ج٩ص٢٧٤ .
(٢٨٧) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٢٨.
(٢٨٨) الملخص في إعراب القرآن ص٣٧.

٧ ـ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يوسف: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع ﴿لَيُحْزِنُنِي أَن﴾ بضم ياء المضارعة وكسر الزاي وفتح ياء الإضافة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ أَن﴾ بفتح ياء المضارعة وضم الزاي وإسكان ياء الإضافة(٢٨٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«حزن: الحزن نقيض الفرح، وهو خلاف السرور. والجمع أحزان. وحَزَنَه الأمر يَحْزُنُه حُزْناً وأَحْزَنه. وحَزَنه لغة قريش، وأَحْزَنه لغة تميم. وقال سيبويه(٢٩٠): أحزنه جعله حزيناً، وحَزَنه جعل فيه حزناً، كأفتنه جعله فاتناً، وفتنه جعل فيه فتنة. قال أبو عمرو(٢٩١): وفي استعمال الفعل منه لغتان: تقول حَزَنني يَحْزُنُنِي حُزْناً فأنا مَحْزون، ويقولون أَحْزنَنِي فأنا مُحْزَنٌ وهو مُحْزِن»(٢٩٢).

قال الراغب: «الحُزن والحَزنُ خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمّ، ويضاده الفَرَح، ولاعتبار الخشونة بالغمّ قيل

---

(٢٨٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٩٠) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو البشر، الملقب بسيبويه، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى: كتاب سيبويه، توفي بالأهواز سنة ١٨٠هـ. (انظر: البداية والنهاية ج١٠ص١٧٦ ـ ١٧٧، الأعلام ج٥ ص٨١).

(٢٩١) أبو عمرو البصري: هو زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله التميمي المازني البصري، مقرئ البصرة، ولد أبو عمرو سنة ثمان وستين بمكة، وأمه من بني حنيفة، أخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة وأهل الكوفة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، انتهت إليه إمامة القراءة بالبصرة، وكان من أعلم الناس بالعربية والشعر وأيام العرب، يروى عنه قوله ـ رحمه الله ـ: «أول العلم الصمت، ثم حُسن السؤال، ثم حسن اللفظ، ثم نشره عند أهله».
توفي ـ رحمه الله ـ بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل خمس وخمسين عن ست وثمانين سنة.

(٢٩٢) لسان العرب ج٢ص٨٦١، ٨٦٢ ـ باختصار، وانظر: القاموس المحيط ص١٥٣٥.

خَشَنَت بصدرِه إذا حزَنَتْه. يقالُ حَزَنَ يَحْزِنُ، وَحَزَنْتُه وأحْزنته»(٢٩٣).

التفسير:

أظهر يعقوب عليه السلام لأبنائه سبب امتناعه من خروج يوسف عليه السلام معهم إلى الأرياف قائلاً لهم: إنه ليؤلمني فراق يوسف - عليه السلام - لقلة صبري عنه، وأخاف أن يفترسه الذئب وأنتم غافلون عنه برعيكم ولعبكم(٢٩٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن فتح الياء: أنه أخذه من: حَزَن يَحْزُن حُزناً، إذا أدخل عليه الحزن، والحجة لمن ضم الياء: أنه أخذه من أحْزن يُحزِنُ حُزناً. وهما لغتان، يقال: حَزنني الأمر يَحْزُنني، وأَحْزَنني يُحزنني بضم الياء لأنه رباعي(٢٩٥).

فالقراءتان على لغتين من لغات العرب. وهما معاً تؤكدان شدة ما سيلاقيه يعقوب عليه السلام من الحزن إذا فارق يوسف عليه السلام.

٨ - ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿غيابات﴾ بألف بعد الباء الموحدة على الجمع.

٢ - قرأ الباقون ﴿غَيَٰبَتِ﴾ بغير ألف بعد الباء الموحدة على الإفراد(٢٩٦).

---

(٢٩٣) المفردات في غريب القرآن ص ١١٥.

(٢٩٤) انظر: الكشاف ج٢ص٣٠٦، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٣٠، صفوة التفاسير ج٢ص٤٣.

(٢٩٥) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١١٦، الكشف ج١ص٣٦٥، حجة القراءات ص١٨١، تفسير القرطبي ج٤ص٢٨٦، ٢٨٧، التحرير والتنوير ج٤ ص١٧٣.

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: ١٠](٢٩٧).

٩ ـ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يوسف: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بغير ياء بعد الألف الأخيرة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يا بُشْرَايَ﴾ بياء مفتوحة ـ بعد الألف الأخيرة ـ وصلاً، وساكنة وقفاً(٢٩٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

«بَشَرَ: البشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطنه، وأَبْشرتُ الرَّجُلَ وبَشَّرته وبَشَرْتُهُ، أخبرته بسارٍ بَسَطَ بَشَرة وجهه، واسْتَبْشَرَ إذا وجد ما يُبَشِّرُهُ من الفرح، ويقال للخبر السار البِشارة والبُشرى، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾»(٢٩٩).

التفسير:

بعد أن ألقى إخوة يوسف عليه السلام به في الجب وتركوه وانصرفوا، جاءت مارة الطريق من المسافرين، فأرسلوا مَن يستقي لهم الماء، فألقى الوارد دلوه في البئر ورفعه منه فإذا يوسف عليه السلام متعلق به، قال الوارد

---

(٢٩٦) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٩٧) انظر ص٨٥ من هذا البحث.

(٢٩٨) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص١٦١.

(٢٩٩) المفردات في غريب القرآن ص٤٨ ـ باختصار.

يعلن ابتهاجه وفرحه: يا للخير ويا للبشرى، يا للخبر السار، هذا غلام، وأوقع النداء على البشرى، للتعبير عن ابتهاجه وسروره، حتى لكأنها شخص عاقل يستحق النداء، أي: يا بشارتي أقبلي فهذا أوان إقبالك. وأخفى الوارد وجماعته أمر يوسف عليه السلام عن الناس، وعزموا على بيعه، والله عز وجل لا يخفى عليه شيء، ويعلم ما فعلوا وما عزموا عليه في أمر يوسف عليه السلام(٣٠٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة بياء بعد الألف، أنّ المُدْلِي أضاف البشرى إلى نفسه، فيكون لفظ (بشرى) نداءً مضافاً منصوباً. ووجه القراءة بحذف الياء أنّ المُدْلِي نادى ﴿**بشرى**﴾ ولم يضف، فيكون لفظ ﴿**بشرى**﴾ في موضع نصب، لأنه نداء مفرد شائع، لا يراد به شيء بعينه، وقيل: إنّه أراد يا بشراي، ثم حذف ياء الإضافة للنداء فتكون القراءتان بمعنًى واحد. وقيل: إنّ ﴿**بشرى**﴾ اسم رجل كان معهم، فناداه المُدْلِي(٣٠١).

قال الخطيب التبريزي: «وقرأ أهل الكوفة ﴿**بشرى**﴾ على وزن (فعلى) من غير إضافة، وقرأ الباقون: (بشراي) بياء مفتوحة بعد الألف على الإضافة، فمن قرأ بهذه القراءة فعلى أنّ المراد: (يا بشارتي).... ومن قرأ بالقراءة الأخرى فعلى أنه اسم إنسان، أي: فنادى المُدْلي صاحبه، وكان اسمه بُشرى، وقيل: يجوز أن يكون أضاف البشرى إلى نفسه ثم حذف ياء الإضافة وهو يريدها، فيكون فيها الاحتواء على المعنيين»(٣٠٢).

«ونداء البشرى مجاز، لأن البشرى لا تنادى، ولكنها شبهت بالعاقل

(٣٠٠) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٦٦، تفسير أبي السعود ج٣ص٨٩، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٤٣، التفسير الواضح ج١٢ص٢٠، صفوة التفاسير ج٢ص٤٤، التفسير الوسيط ج٢ص١٠٩٩.

(٣٠١) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٤، حجة القراءات ص٣٥٧، الكشف ج٢ص٧، ٨.

(٣٠٢) الملخص في إعراب القرآن ص٤٠، ٤١ ـ بتصرف يسير.

الغائب الذي احتيج إليه فينادى»[٣٠٣]. «ونداؤها معناه أنّ هذا وقتها وموجبها فقد آن لها أن تحضر، ومثله قولهم: يا أسفا ويا أسفي، ويا حسرتا ويا حسرتي، إذا وقع ما هو سبب لذلك»[٣٠٤]، «والمعنى: أنّ الوارد فرح وابتهج بالعثور على الغلام»[٣٠٥].

وعليه فإن كلتا القراءتين أفادتا أنّ الوارد سُرَّ سروراً كبيراً بالعثور على الغلام، وكان من علامات سروره أنه نادى البشرى مرة مضيفها إلى نفسه ـ فخصّ بها نفسه ـ، ومرة من غير إضافة. وعلى القول إنّ ﴿بشرى﴾ هو اسم رجل تكون القراءة بغير الإضافة على أنّ الوارد نادى صاحبه، والقراءة بالإضافة على أنه نادى البشرى مضيفها إلى نفسه، تعبيراً عن بالغ سروره. والله تعالى أعلم.

١٠ ـ ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن ذكوان وأبو جعفر ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها وفتح التاء.

٢، ٣ ـ قرأ هشام بوجهين ﴿هِئْتَ﴾، ﴿هِئْتُ﴾ بكسر الهاء وهمزة ساكنة بعدها مع فتح التاء وضمها.

٤ ـ قرأ ابن كثير ﴿هَيْتُ﴾ بفتح الهاء وياء ساكنة لينة بعدها مع ضم التاء.

٥ ـ قرأ الباقون ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وياء ساكنة لينة بعدها مع فتح

(٣٠٣) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٤١.
(٣٠٤) تفسير المنار ج١٢ ص٢٧٠ ـ بتصرف يسير.
(٣٠٥) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٤١ ـ بتصرف يسير.

التاء[٣٠٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿هَيْتَ لَكَ﴾: قيل هي عبرانية، (هيتلخ) أي: تعال، فأعربه القرآن، وقيل: سريانية، وقيل: قبطية: هلمّ لك[٣٠٧]، وقيل: عربية تدعوه بها إلى نفسها[٣٠٨]، وقيل غير ذلك. «ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظ، فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم»[٣٠٩].

قال ابن جني: «وفيها لغات ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء، و﴿هِيتَ لك﴾ بكسر الهاء وفتح التاء و﴿هَيْتُ لك﴾ بفتح الهاء وَضم التاء. وأمّا ﴿هِئْتُ﴾ بالهمز وضم التاء ففعل، يقال فيه: هِئْتُ أَهِيءُ هَيْئة، كجئت أجيء جَيئة أي تهيأت»[٣١٠].

وقال الراغب: «﴿هَيْتَ﴾ قريب من هَلُمّ، وقرئ ﴿هَيْتُ لَكَ﴾: أي: تهيَّأت لك[٣١١].

التفسير:

هذه المحنة الثالثة التي مرّ بها يوسف عليه السلام بعد محنة الإلقاء في الجبّ، والاسترقاق، حيث طلبت امرأة العزيز التي كان يوسف عليه السلام في بيتها منه أن يواقعها، وغلّقت الأبواب عليها وعلى يوسف لِمَا أرادت منه[٣١٢].

قال الرافعي: «وأعجب من هذا كلمة راودته، وهي بصيغتها المفردة

---

(٣٠٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤، شرح طيبة النشر لأحمد ابن الجزري، البدور الزاهرة ص١٦١.

(٣٠٧) انظر: البحر المحيط ج٥ص٢٩٤.

(٣٠٨) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٨٠، البحر المحيط ج٥ ص٢٩٤، تفسير البغوي ج٣ص١٥٨، ١٥٩، لسان العرب ج٦ ص٤٧٣١.

(٣٠٩) البحر المحيط ج٥ص٢٩٤.

(٣١٠) المحتسب ص٣٣٧ ـ بتصرف يسير.

(٣١١) المفردات في غريب القرآن ص٥٤٧.

(٣١٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٧٨، صفوة التفاسير ج٢ص٤٦، ٤٧.

حكاية طويلة تشير إلى أنّ هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها، لون بعد لون، ذاهبة إلى فن راجعة من فن، لأن الكلمة مأخوذة من رودان الإبل في مشيتها، تذهب وتجيء في رفق. وهذا يصور حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في حبها ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها...، ثمّ قال: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ ولم يقل أغلقت، وهذا يُشعر أنها لمّا يئست ورأت منه محاولة الانصراف أسرعت في ثورة نفسها مهتاجة تتخيل القفل الواحد أقفالاً عدة، وتجري من باب لباب، وتضطرب يدها في الإغلاق، كأنما تحاول سدّ الأبواب لا إغلاقها فقط»[(٣١٣)].

وقالت هلم وأسرع إلى ما طلبت منك، فليس ثمّ ما يُخشى. قال يوسف عليه السلام أستجير بالله من الذي تدعينني إليه، إنّ زوجك سيدي، أحسن تعهدي وأكرمني، فلا أخونه، إنّه لا يدرك البقاء ولا ينجح من ظلم ففعل ما ليس له فعله، وهذا الذي تدعينني إليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدي الذي ائتمنني على منزله[(٣١٤)].

قال ابن عاشور: «فالكلام تعليل لامتناعه وتعريض بها في خيانة عهدها»[(٣١٥)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تعددت أقوال العلماء في توجيه القراءات في هذه الكلمة:

- قال مكي: «قوله ﴿**هيت لك**﴾ هي لفظة مبنية غير مهموزة يجوز فيها فتح التاء وكسرها وضمها، والكسر فيه بُعد لاستثقال الكسرة بعد الياء[(٣١٦)]، ومعناها الاستجلاب ليوسف إلى نفسها بمعنى هلم لك...،

(٣١٣) وحي القلم ج١ ص٩٤، ٩٥ - باختصار وتصرف يسير.

(٣١٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٨٢، ١٨٣، البحر المحيط، صفوة التفاسير ج٢ص٤٦.

(٣١٥) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٥٢.

وأمّا فتح الهاء وكسرها فلغتان»[٣١٧].

ـ وقال العكبري: «وقرىء بكسر الهاء وهمزة ساكنة وضم التاء وهو على هذا فعل من هَاءَ يَهَاءُ مثل شَاءَ يَشَاءُ ويَهِيْءُ مثل فَاءَ يَفِيْءُ والمعنى تهيأت لك»[٣١٨].

ـ قال ابن هشام: «وأما مَن قرأ ﴿هئتُ﴾ مثل جئتُ فهو فعل بمعنى تهيأت، واللام متعلقة به، وأمّا من قرأ كذلك ولكن جعل التاء ضمير المخاطب، . . . فمعنى تَهَيُّئه تيسر انفرادها به، لا أنه قصدها، بدليل ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾، ويحتمل أنها أصل قراءة هشام ﴿هِيْتَ﴾ بكسر الهاء وبالياء وبفتح التاء، وتكون على إبدال الهمزة»[٣١٩].

ـ قال أبو حيان: «فهذه القراءات هي فيها اسم فعل، إلا من ضم التاء وكسر الهاء سواء همز أم لم يهمز، فإنه يحتمل أن يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء أو كسرها، ويحتمل أن يكون فعلاً رافعاً ضميرَ المتكلم من هاء الرجل يهيىء إذا أحسن هيئته على مثال: جاء يجيء، أو بمعنى تهيأت»[٣٢٠].

ـ قال النحاس: «وقراءة ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء وياء بينهما فيها قولان: أحدهما أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين لأنه صوت يجب ألاّ يعرب والفتح خفيف، والآخر أن يكون من هاء يهيء مثل جاء يجيء فيكون المعنى في ﴿هِيتَ﴾ أي حسنت هيئتك وخفف الهمزة»[٣٢١].

ـ قال ابن الجزري: «والصواب أنّ هذه القراءات كلها لغات في هذه

---

(٣١٦) وهي قراءة شاذة.

(٣١٧) مشكل إعراب القرآن ج١ ص٣٨٣ ـ بتصرف يسير. وانظر إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٥١.

(٣١٨) إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ ص ٥١ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٣١٩) مغني اللبيب ج١ص٢٢٢ ـ باختصار.

(٣٢٠) البحر المحيط ج٥ ص٢٩٤.

(٣٢١) إعراب القرآن ج٢ص٣٢٣.

الكلمة وهي اسم فعل بمعنى هلم وليست في شيء منها فعلاً ولا التاء فيها ضمير متكلم ولا مخاطب»(٣٢٢).

قلت: القراءات المختلفة في هذه الكلمة تحتمل أن تكون على لغات مختلفة بمعنى هلم وتعال، وبعضها يحتمل بالإضافة إلى ذلك معنى تهيأت لك، أو تهيأ أمرك لي، وهذا ما يؤيده المعنى اللغوي للكلمة.

وعليه يصبح معنى الآية: قالت امرأة العزيز ليوسف عليه السلام هلم إليّ فقد تهيأت لك، وتهيأ أمرك لي، أي تَيسر انفرادها به. وكثرة ما روي في هذه الكلمة من أوجه يشبه شدة طلبها وإلحاحها عليه بمواقعتها بأساليب مختلفة. فالقراءة بالهمز وما فيه من قوة نبر توحي بارتفاع الصوت والسرعة في الطلب(٣٢٣)، والقراءة بالياء اللينة توحي باللين والخضوع والترسل، وكلتاهما مرة مع ضم التاء التي توحي بقوة الطلب مشوباً بالتهديد والوعيد لما في الضم من قوة، ومرة بفتح التاء، والتي توحي بالتذلل؛ لما في الفتح من ضعف. والله تعالى أعلى وأعلم.

١١ - ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر ﴿**الْمُخْلِصِينَ**﴾ بكسر اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام(٣٢٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

(٣٢٢) النشر ج٢ص٢٩٤، ٢٩٥، وانظر: فتح القدير ج٣ص١٧.

(٣٢٣) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٠٦، المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص١٠٧، عن مخطوطة الوقف والوصل في اللغة العربية ص١٢٠.

(٣٢٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٢.

قال ابن فارس: «خلص: الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون خَلَّصته من كذا، وخَلَص هو»(٣٢٥).

التفسير:

ولقد همّت امرأة العزيز بمخالطة يوسف عليه السلام أي قصدتها وعزمت عليها عزماً جازماً، لا يلويها عنه صارف، بعدما باشرت مبادئها من المراودة، وتغليق الأبواب ودعوته إلى الإسراع إليها بقولها ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ مما اضطره إلى الهروب إلى الباب. ولولا رؤيته برهان ربه لهمّ بها. ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء(٣٢٦). قال أبو حيان: ونظيره (قارفت الإثم لولا أن الله عصمك)، ولا تقول: إن جواب (لولا) يتقدم عليها ـ وإن لم يقم دليل على امتناعه، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف فيها حتى ذهب الكوفيون وأعلام البصريين إلى جواز تقدمه ـ بل تقول: هو محذوف لدلالة ما قبله عليه، لأن المحذوف في الشرط يقدر من جنس ما قبله»(٣٢٧)، «فالآية حينئذ ناطقة بأنه لم يهم أصلاً»(٣٢٨).

وقيل إنّ (الهمّ) هو خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه، وطلب شربه، ولكن يمنعه دينه منه. فـ(الهم) عبارة عن جواذب الطبيعة، و(رؤية البرهان) جواذب الحكمة، وهذا لا يدل على حصول الذنب(٣٢٩). قال أبو السعود: «وإنّما عبر عنه بالهم، لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر ...، لا لشبهه به

(٣٢٥) معجم مقاييس اللغة ج٢ص٢٠٨، وانظر: مجمل اللغة ص٢٩٩.
(٣٢٦) انظر: تفسير القاسمي ج٦ ص٣١٢.
(٣٢٧) البحر المحيط ج٥ص٢٩٥، وانظر: نظم الدرر ج٤ص٣٠، تفسير القاسمي ج٦ص٢١٣.
(٣٢٨) تفسير القاسمي ج٦ص٢١٣.
(٣٢٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ج١٢ ص١٢١، ١٢٢، تفسير أبي السعود ج٣ص٩٤، تفسير القاسمي ج٦ص٢١٣.

كما قيل، ولقد أشير إلى تباينهما، حيث لم يُلَزَّا في قرن واحد من التعبير، بأن قيل: ولقد همّا بالمخالطة، أو همّ كل منهما بالآخر. وصُدِّر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي، وعُقِّبَ الثاني بما يعفو أثره من قوله ﷻ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، أي حجته الباهرة، الدالة على قبح الزنا، وسوء سبيله. والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها، ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين . . .، وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النيِّر، على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون، وأوجب ما يجب أن يحذر منه، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام، والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه. وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف، يدل عليه الكلام، أي: لولا مشاهدة برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي، ولكن حيث كان مشاهداً له من قبل، استمر على ما هو عليه من قضية البرهان. وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام، لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة، بل لمحض العفة والنزاهة، مع وفور الدواعي الداخلية، وترتيب المقدمات الخارجية، الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية»[٣٣٠].

قال القاسمي: «فاتَّضح أن لا شبهة فيها على عصمة يوسف عليه السلام، فإنّ الأنبياء ليسوا بمعصومين من حديث النفس، وخواطر الشهوة الجبلية، ولكنهم معصومون من طاعتها، والانقياد إليها، ولو لم توجد عندهم دواع جبلية، لكانوا إمّا ملائكة أو عالماً آخر»[٣٣١].

قال الزمخشري: «ولو وُجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لَنُعيت عليه وذُكِرت توبته واستغفاره . . .، كيف وقد أُثنِيَ عليه وسُمِّي مُخْلَصاً، فَعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدَّحْض[٣٣٢]، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم»[٣٣٣].

(٣٣٠) تفسير أبي السعود ج٣ ص٩٥ ـ باختصار، وانظر: الكشاف ج٢ص٣١١.

(٣٣١) تفسير القاسمي ج٦ ص ٢١٤.

(٣٣٢) الدحض: الزَّلِق، يقال: مكان دَحْضٌ وَدَحُوض، ودَحَضت رجلُه: زَلَقت، والمَدْحضة: المَزَلَّة. (انظر: القاموس المحيط ص٨٢٨).

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ وهو المنكر والفجور والمكروه، ﴿والفحشاء﴾ وهي ما تناهى قبحه، إنه من عبادنا الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم(٣٣٤).

هذا، وقد ألحق بعض المفسرين أقاصيص مُخْتَلَقة على يوسف عليه السلام في هَمِّه، نقلوها عن أهل الكتاب، وكلها خرافات وأباطيل تمجها الآذان، وتردها العقول والأذهان(٣٣٥).

لطيفة:

«قيل: إنّ كل من له دخل في هذه القصة شهد ببراءة يوسف عليه السلام، فشهد الله تعالى بقوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، وشهد هو على نفسه بقوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف: ٢٦]، ونحوه، وشهدت امرأة العزيز بقولها: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وسيدها بقوله: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، وإبليس بقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، فتضمن ذلك أنه لم يُغْوِه، ومع هذا لم يبرئه أهل القصص»(٣٣٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، بتأويل: إنّ يوسف عليه السلام من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا. ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص: ٤٦]. والقراءة ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا**

---

(٣٣٣) الكشاف ج٢ص٣١٢.

(٣٣٤) انظر: الكشاف ج٢ ص ٣١٢، تفسير القاسمي ج٦ص٣١٥.

(٣٣٥) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص٩٦، تفسير القاسمي ج٦ص٣١٤.

(٣٣٦) تفسير القاسمي ج٦ص٣١٥ ـ بتصرف يسير، وانظر: تفسير الفخر الرازي ج١٢ص١١٩.

﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، بتأويل: إنّ يوسف عليه السلام من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا فلم يشركوا بنا شيئاً، ولم يعبدوا شيئاً غيرنا(٣٣٧).

وعليه فإنّه قراءة ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، أفادت أن يوسف عليه السلام مِن الذين أخلصوا توحيد الله وعبادته، وأمّا قراءة ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، فقد أفادت أنّ يوسف عليه السلام من الذين أخلصهم الله لنفسه فاختارهم، «وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين، لأنه كان مُخْلِصاً في طاعة الله تعالى، مستَخْلَصاً لرسالة الله تعالى»(٣٣٨). والقراءتان يرجع معنى إحداهما إلى الأخرى، «وذلك أنّ من أخلصه الله لنفسه، فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادةَ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته. فلم يشرك بالله شيئاً، فهو ممن أخلصه الله»(٣٣٩).

١٢ ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ﴿حَاشَا﴾ بألف بعد الشين وصلاً وحذفها وقفاً.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿حَٰشَ﴾ بحذف الألف وصلاً ووقفاً(٣٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

(حشوى): الحاء والشين وما بعدها معتلٌ أصل واحد، وهو أن يودع الشيء وعاء باستقصاء، والحشا: حشا الإنسان وهو ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه، والجمع أحشاء، والحشا

---

(٣٣٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص١٩١، الملخص في إعراب القرآن ص٤٥، تفسير الفخر الرازي ج١٢ص١٢٣، تفسير القاسمي ج٦ص٣١٥.

(٣٣٨) تفسير القرطبي ج٩ص١٧٠.

(٣٣٩) تفسير الطبري ج١٢ ص١٩١.

(٣٤٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٣.

الناحية، وهو من قياس الباب لأن لكل ناحية أهلاً فكأنهم حشوها، والحاشية جانب الثوب وغيره، وقوله تعالى: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ اشْتُقَّ من قولك كنتُ في حَشا فلان أي في ناحية فلان، والمعنى: بَراءةً لله من هذا ومَعاذاً لله، وإذا قلت: حاشى لزيد، هذا من التَّنَحِّي والمعنى: قد تنَحَّى زيدٌ من هذا وتَباعَدَ عنه. وحاشى فلاناً: معناه قد استثنيتُه وأَخرجته فلم أُدخله في جملة المذكورين[341].

قال الأنباري النحوي: «ذهب الكوفيون إلى أنّ (حاشى) في الاستثناء فعل ماض، وذهب بعضهم إلى أنه فعل استعمل استعمال الأدوات، وذهب البصريون إلى أنه حرف جر، وذهب أبو العباس المُبَرَّد[342] إلى أنه يكون فعلاً ويكون حرفاً»[343].

قال الراغب: «﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي بعداً منه»[344].

التفسير:

يقول الله تعالى: فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أرسلت إليهن وأعدت لهن مجلساً للطعام، وما يتكئن عليه من الوسائد، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لتقطع به الطعام، وقالت ليوسف عليه السلام ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾، فخرج عليهن، فلمّا رأينه أعظمنه وأجللنه، وقطعن أيديهن وهنّ لا يشعرن، وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله عن صفات

(٣٤١) انظر: معجم مقاييس اللغة ج٢ص٦٥، لسان العرب ج٢ص١٧٨، ١٧٩، القاموس المحيط ص١٦٤٤، ١٦٤٥.

(٣٤٢) المبرِّد (بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم بالكسر): محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة سنة٢١٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ، من كتبه: الكامل، المقتضب. (انظر: الأعلام ج٥ص١٤٤).

(٣٤٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ج١ص٢٧٨.

(٣٤٤) المفردات في غريب القرآن ص١٣٦.

النقص، وتعجباً من قدرة الله تعالى على خلق مثل هذا الجمال، وقلن: ما هذا بشراً ـ لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحداً ـ، إن هذا إلاّ ملك من الملائكة(٣٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من قرأ ﴿حاشا﴾ وصلاً أنه جاء بها على الأصل، وحذف الألف في الوقف اتِّباعاً لرسم المصحف، ومن قرأ ﴿حَٰشَ﴾ وصلاً ووقفاً فعلى حذف الألف تخفيفاً، ولأن الفتحة تدل عليها، ولأنها وقعت في المصحف بغير ألف. وحذف الألف وإثباتها على لغتين من لغات العرب(٣٤٦).

قال الطبري: «وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله، كأنه قيل: معاذ الله. وأمّا القول في قراءة ذلك، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين، وهو ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ وَ﴿حاشا لله﴾ لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنًى واحد»(٣٤٧).

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلُّ قراءة منهما تُلْقِي بظلالها على المعاني، فإثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في التنزيه، وحذف الألف فيه إيماء ونكتة بديعة، حيث يدل على نفي النقص عن الله ﷻ، وإثبات قدرته على خلق كل ما هو جميل، كما أنها تنفي شبه يوسف عليه السلام بالبشر على أبلغ وجه(٣٤٨). والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(٣٤٥) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢٠٦ ـ ٢٠٩، التفسير الواضح ج١٢ص٧٧، التفسير المنير ج١٢ص٢٥٤.

(٣٤٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٠٨، مشكل إعراب القرآن ص ٣٨٦، ٣٨٧، الكشف ج٢ص١٠، حجة القراءات ص٣٥٩، الملخص في إعراب القرآن ص ٤٩، المهذب ج١ص٣٣٧.

(٣٤٧) تفسير الطبري ج١٢ ص ٢٠٨.

(٣٤٨) أُستوحي هذا المعنى من كلام البقاعي عند بيانه لعلة حذف حركة الرفع في قوله تعالى ﴿تَأۡمَ۫نَّا﴾ [يوسف: ١١] (انظر: نظم الدرر ج٤ص١٥)، وانظر: ص٨٦ من هذا البحث.

١٣ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (السَّجْنُ) بفتح السين.

٢ ـ قرأ الباقون (السِّجْنُ) بكسر السين[(٣٤٩)].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱلسِّجْنَ﴾ بكسر السين: المَحْبِسُ، وهو البيت الذي يُحبس فيه. و﴿السَّجْنُ﴾ بفتح السين: الحَبْسُ، وهو مصدر من سَجَنَه يَسْجُنُه سَجْناً أي حبسه. وفي الحديث: «ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طُولِ سَجْنٍ من لسانٍ[(٣٥٠)]»[(٣٥١)].

التفسير:

صرّحت امرأت العزيز للنسوة في مجلسها بما كان منها من مراودة يوسف عليه السلام واستعصامه، وهددت وتوعدت إن لم يمتثل لأمرها أن يكون عقابه السَّجن والصَّغار، فجعلت النسوة يزيِّنَّ ليوسف عليه السلام طاعتها، وينهينه عن إلقاء نفسه في السجن. وإزاء تلك المراودة والتهديد بالحبس لجأ يوسف عليه السلام إلى ربه فجعل يناجيه بتضرع وخشوع قائلاً: يا رب إنّ السجن بما فيه من شرّ ظاهر، آثر عندي وأحبّ إلى نفسي من اقتراف الفاحشة، وإن لم تدفع عني شرهن وتعصمني منهن، أَمِل إليهن، وأتابعهن على ما يردن منّي، وأكن بذلك من الذين جهلوا حقك وخالفوا أمرك ونهيك، فمنك العون

---

(٣٤٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٣.

(٣٥٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح(٨٧٤٥) ج٩ص١٦٢، والبيهقي في شعب الإيمان باب في الجهاد ح(٤٢٢٠) ج٤ص١٠، ١١. قال الهيثمي «رواه الطبراني بأسانيد ورجالها ثقات». (مجمع الزوائد ج١٠ص٣٠٣).

(٣٥١) انظر: تاج العروس ج٩ص٢٣١، لسان العرب ج٣ص١٩٤٧.

والمنعة، وأنت المستعان وعليك التكلان[٣٥٢].

قال ابن تيمية: «وفي قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ عبرتان:

إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه، ويصرفه إلى طاعته، وإلاّ فإذا لم يثبت القلب وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة»[٣٥٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿السِّجْنُ﴾ بكسر السين فهو المَحْبِس أي المكان الذي يحُبس فيه، وهو اسم والتقدير: سكنى السِّجن، ومن قرأ ﴿السَّجْنُ﴾ بفتح السين فهو مصدر سَجَنه سَجْناً، بمعنى الحبس في مكان محيط لا يخرج منه[٣٥٤]. فيوسف عليه السلام فضّل الحَبس مع التمسك بطاعة الله على الحرية التي ثمنها أن يرتكب الفاحشة، وفضّل سكنى السجن، رغم ما فيه من مقاساة على سكنى القصور، حيث أضحت تلك القصور بيئة ملوثة لا يحب المكث

(٣٥٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢١٠، ٢١١، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٠٣، تفسير أبي السعود ج٣ص١٠٣، ١٠٤، صفوة التفاسير ج٢ص٥٠، التفسير الواضح ج١٢ص٧٨، التفسير المنير ج١٢ص٢٥٦.

(٣٥٣) مجموع الفتاوى ج١٥ص١٣٠.

(٣٥٤) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٥٣، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٢٥٤، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٦٤، المهذب ج٢ص٣٣٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٧٣، ٢٧٤.

فيها، وهكذا لا يستريح الطيب في البيئة الخبيثة[٣٥٥].

وعليه فإنّ القراءة بكسر السين بينت أنّ يوسف عليه السلام كره التمتع بسكنى القصور ببيئتها الملوثة وفضّل عليها سكنى السّجن، أمّا القراءة بفتح السين فبينت أنّ يوسف عليه السلام كره التمتع بحريته مع فعل المحرم وفضل عليها الحَبس مع العفة. والقراءتان معاً أكدتا كراهية يوسف عليه السلام لارتكاب الفاحشة. والله تعالى أعلم.

١٤ ـ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف: ٤٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص ﴿دَأَبًا﴾ بفتح الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿دَأْبًا﴾ بإسكان الهمزة[٣٥٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

دأب: الدَّأْبُ والدَّأَب بالتَّحْريك العادةُ والشَّأْن وفي الحديث: «عليكم بقيام الليلِ فإنه دَأْبُ الصالحِينَ قَبْلَكم»[٣٥٧]. ودَأَبَ فلانٌ في عَمَلِه أي جَدَّ وتَعِبَ يَدْأَبُ دَأْباً ودَأَباً ودُؤُوباً فهو دَئِبٌ، وكلُّ ما أَدَمْتَه فقد أَدْأَبْتَه[٣٥٨].

التفسير:

يقول تعالى: قال يوسف عليه السلام لسائله عن رؤيا الملك: تزرعون سبع

---

(٣٥٥) انظر: التفسير الواضح ج١٢ص٧٨.

(٣٥٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٣.

(٣٥٧) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ح (٣٥٦٠) ج٥ص٣٢٣، وابن خزيمة: كتاب جماع أبواب صلاة التطوع بالليل، باب التحريض على قيام الليل ح(١١٣٥) ج٢ص١٦٧، ١٧٧. وهو حديث حسن صحيح. (انظر سنن الترمذي تحقيق الألباني ص٨٠٦).

(٣٥٨) انظر: لسان العرب ج٢ص١٣١٠، الصحاح ج١ص١٢٣، القاموس المحيط ص١٠٥، بصائر ذوي التمييز ج٢ص٦١٣.

سنين متوالية، كما كنتم تزرعون سائر السنين على عادتكم فيما مضى، فما حصدتم من زرع فاتركوه بدون درس حتى لا يفسد، إلا قليلا مما تأكلون فادرسوه لذلك(٣٥٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿دَأْبًا﴾ نصب على المصدر لأن معنى ﴿تَزْرَعُونَ﴾ يدل على (تدأبون)، والفتح والإسكان في المصدر لغتان كقولهم: النَّهْر والنَّهَر والسَّمْع والسَّمَع وقيل إنما حرك وأسكن لأجل حرف الحلق(٣٦٠)، وكذلك سائر ما فتح أوله وثانيه حرف من حروف الحلق(٣٦١). فالقراءتان على لغتين من لغات العرب. ولكنّ ثمّ هناك علاقة بين هاتين اللغتين في الكلمة وبين معنى الكلمة، فالكلمة تحمل معنيين يرجع كل منهما إلى الآخر وهما التتابع والتوالي، والعادة والاستمرار. قال القرطبي: «﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي متوالية متتابعة»(٣٦٢). وقال الماوردي: «قوله ﷺ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني تباعاً متوالية.

الثاني: يعني العادة المألوفة في الزراعة»(٣٦٣).

ويمكن القول إنّ كل قراءة ناسبت معنىً من معاني الكلمة، فسكون الهمز في قراءة ﴿دَأْبًا﴾ ناسب معنى الاستمرار والثبات على الشيء، حيث يزرعون كعادتهم التي اعتادوا عليها من قبل، أمّا القراءة بفتح الهمز ﴿دَأَبًا﴾،

---

(٣٥٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص ٢٣٠، تفسير القرطبي ج٩ص٢٠٣، أيسر التفاسير ج٢ص٤٨٣.

(٣٦٠) حروف الحلق ستة وهي: (أ، هـ، ع، ح، غ، خ) انظر: نهاية القول المفيد ص٦٣.

(٣٦١) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ص٣٨٨، الكشف ج٢ص١١، الملخص في إعراب القرآن ص٥٤، ٥٥، تفسير البغوي ج٣ ص١٧٠.

(٣٦٢) تفسير القرطبي ج٩ص٢٠٣.

(٣٦٣) تفسير الماوردي ج٣ص٤٤.

فقد ناسب فيها تتابع الحركات معنى التتابع والتوالي، حيث يزرعون سبع سنين متوالية بلا انقطاع. والله تعالى أعلم.

١٥ ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٩].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿تعْصِرُون﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَعْصِرُونَ﴾ بياء الغيبة(٣٦٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «عصر: العَصْرُ مصدر عَصَرْتُ والمَعْصُور الشيءُ العَصيرُ، والعُصارة نُقاية ما يُعصر. قال: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وقال: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] أي يستنبطون منه الخير»(٣٦٥).

التفسير:

هذا تتمة كلام يوسف عليه السلام بعد أن أوّل رؤيا الملك، حيث أنبأهم أنه سيأتي بعد السنين السبع الشداد عام كثير الخير غزير النعم، فيه ينجي الله تعالى الناس من هذا القحط، فيمطرون ويكثر الخصب فيعصرون الأعناب والزيتون وغيرها وقيل يحلبون الضروع(٣٦٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن قرأ بالياء أنه رده إلى ﴿النَّاسُ﴾ في قوله تعالى ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ ومن قرأه بالتاء فحجته أنه رده إلى المخاطبين المتقدمين في قوله

---

(٣٦٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٤.

(٣٦٥) المفردات في غريب القرآن ص ٣٣٦.

(٣٦٦) انظر: الكشاف ج٢ص٣٢٥، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٨٦، تفسير المنار ج١٢ص٣٢٠، صفوة التفاسير ج٢ص٥٦.

تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ فخصهم بذلك دون الناس[٣٦٧]. «وفائدة القراءتين، بيان المنّة على الفريقين من غائب محكي عنه، وحاضر مخاطب بما يكون منه»[٣٦٨].

١٦ - ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥١].

القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو (حَاشَا) بألف بعد الشين وصلاً وحذفها وقفاً.

٢ - قرأ الباقون (حَاشَ) بحذف الألف وصلاً ووقفاً[٣٦٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[٣٧٠].

التفسير:

رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف عليه السلام برسالته، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز، فقال لهنّ، ما كان شأنكنّ حين خادعتن يوسف عليه السلام عن نفسه، ورغبتنه في إطاعة مولاته وارتكاب الفاحشة، هل وجدتن فيه شيئاً من سوء وريبة. فأجبن الملك: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله وتعجباً من عفة يوسف عليه السلام وخشيته لله، ما نعرف عنه سوءاً قط في تاريخه الطويل، وحينئذٍ قالت امرأة العزيز: الآن تبين الحق وانكشف فظهر، أَنَا خادعته عَنْ نَفْسِهِ ودعوته إلى ارتكاب الفاحشة، وَإِنَّهُ لَصادِق في قوله: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾. وهذا اعتراف صريح من امرأة العزيز ببراءة

(٣٦٧) انظر: حجة القراءات ص١٩٦، الملخص في إعراب القرآن ص٥٥.
(٣٦٨) تفسير المنار ج١٢ص٣٢٠.
(٣٦٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٣.
(٣٧٠) انظر ص١٠٤ من هذا البحث.

يوسف عليه السلام[٣٧١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي: «الأصل في ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أن تكون بالألف، لكن وقعت في المصحف بغير ألف اكتفاء بالفتحة من الألف، كما حذفت النون في(لم يك)، ومعنى ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ بعد يوسف عن هذا الذي رمي به، (لله) أي لخوفه الله ومراقبته له»[٣٧٢].

قال الطبري: «وأمّا القول في قراءة ذلك، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين، وهو ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ و﴿**حاشا لله**﴾ لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنًى واحد»[٣٧٣].

قال ابن هشام: «حاشا على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون فعلاً متعدياً متصرفاً، تقول (حاشيته) بمعنى استثنيته.

الثاني: أن تكون تنزيهية نحو ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾، وهي عند البعض فعل، قالوا: والمعنى في الآية: جانب يوسف المعصية لأجل الله. ولا يتأتى هذا التأويل في مثل ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾. والصحيح أنها اسم مرادف للبراءة من كذا.

الثالث: أن تكون للاستثناء»[٣٧٤].

وعليه فإن القراءتين على لغتين من لغات العرب، وحذف الألف

---

(٣٧١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢٣٦، ٢٣٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٠٩، تفسير أبي السعود ج٣ ص١١٥، ١١٦، التفسير الواضح ج١٢ص٨٥، التفسير المنير ج١٢ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣٧٢) مشكل إعراب القرآن ص٣٨٦، وانظر: الكشف ج٢ ص١٠، إبراز المعاني ص٥٣٤، ٥٣٥.

(٣٧٣) تفسير الطبري ج١٢ ص ٢٠٨.

(٣٧٤) مغني اللبيب ج١ ص١٢١، ١٢٢ ـ باختصار.

تخفيفاً، واكتفاءً بالفتحة الدالة عليها، وإثبات الألف على الأصل. كما أنّ ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ هنا يحتمل أمرين:

الأول: أنها اسم مرادف للبراءة من كذا، أي: قلن معاذ الله، بمعنى التنزيه لله ﷻ. وهو الأرجح، **والثاني**: أنها فعل، والمعنى في الآية: جانب يوسف المعصية لأجل الله.

وعلى المعنى الأول فإنّ إثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في التبرئة والتنزيه، وحذفها يومئ إلى نفي النقص عن الله تعالى على أبلغ وجه. وعلى المعنى الثاني، فإثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في تبرئة يوسف عليه السلام مما رُمي به، وحذف الألف فيه إيماء إلى نفي السوء والشرّ عن يوسف عليه السلام على أبلغ وجه[٣٧٥]. والله تعالى أعلى وأعلم.

١٧ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ﴿حَيْثُ نَشَآءُ﴾ بالنون.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿حَيْثُ يَشَآءُ﴾ بالياء[٣٧٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

شيأ: المَشِيئة: الإرادة. تقول: شِئْتُ الشَّيْءَ أَشاؤُه شَيْئاً ومَشَاءَةً ومَشايَةً، أي: أَرَدْتُه، والاسم الشِّيَئة. وفي الحديث: «أَنَّ يَهُودِيّاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ[٣٧٧] وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

(٣٧٥) انظر: ص١٠٦ من هذا البحث.

(٣٧٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٥.

(٣٧٧) تُنَدِّدُون: أي تجعلون لله نَدِيداً. ونَدِيدُ الشيءِ ونِدُّه: مُشاركه في جوهره، وذلك ضرب من المماثلة، فإنّ المِثْلَ يقال في أي مشاركة كانت، فكل نِدٍّ مِثْلٌ، وليس كلُّ مِثْلٍ نداً. (انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٨٦).

وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»(٣٧٨). ففرّق بين قولِ: (ما شاءَ الله وشِئْتُ) و(ما شاءَ الله ثم شئتُ) لأنَّ الواو تفيد الجمعَ دون الترتيب، و(ثُمّ) تجْمَعُ وتُرَتِّب، فمعَ الواوِ يكونُ قد جَمعَ بين الله وبينَه في المَشيئةِ، ومع (ثُم) يكون قد قَدَّم مشيئَة الله على مَشيئتهِ(٣٧٩).

التفسير:

بعد أن ظهرت براءة يوسف عليه السلام مما رُمي به وقربه الملك إليه، أشار يوسف عليه السلام على الملك أن يجعله ﴿عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾، فقبل الملك عرضه فاستوزره، وبذلك أنعم الله ﷻ على يوسف عليه السلام نعمة عظيمة، فجعل له سلطاناً وقدرة في أرض مصر، ينزل منها أي مكان أراد، ويتصرف في أمورها كيف شاء، وهذا شأن الله في عباده، يهب نعمته لمن يختار منهم، كما وهبها ليوسف عليه السلام فمكّن له في الأرض بعد الإلقاء في الجبّ وبعد العبودية والإسار، والله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن فأطاع ربه، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه، فما أضاع صبر يوسف عليه السلام وإنّما أعقبه النصر والتأييد(٣٨٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿حَيْثُ يَشَآءُ﴾ بالياء على جعل الفعل ليوسف عليه السلام، حيث له المشيئة بعد مشيئة الله ﷻ، ويمكن أن يكون الفعل لله على تقدير: حيث يشاء الله، فيكون التفاتاً(٣٨١)(٣٨٢).

(٣٧٨) أخرجه النسائي: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، ح(٣٧٧٣) ص٥٨٣. والحديث صححه الألباني. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ص٢٦٣).

(٣٧٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٧١، العباب الزاخر ج١ص١١٨، لسان العرب ج٤ص٢٣٦٩، تاج العروس ج١ ص٨٣.

(٣٨٠) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١١، المنتخب ص٣٤٠.

(٣٨١) الالتفات: «هو الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر تطرية للكلام وتفننا في الأسلوب» (التحبير في علم التفسير ص١٢٠).

(٣٨٢) انظر: البحر المحيط ج٥ص٣١٨، روح المعاني ج١٣ص٦.

والقراءة ﴿حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ بالنون على جعل الإخبار بالفعل لله ﷻ لأنّ مشيئة يوسف عليه السلام إنما هي بمشيئة الله تعالى وأقداره(٣٨٣). قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩].

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ وذلك كله بمشيئة الله تعالى وأقداره. كما أنّ إيراد القراءة تارة بنسبة المشيئة لله ﷻ وتارة أخرى بنسبتها ليوسف عليه السلام تومئ لمعنىً لطيف، وهو أنّ هوى يوسف عليه السلام وفعله، وافق مراد الله ﷻ، وذلك قمة التقوى والإيمان. هذا على تأويل من جعل الضمير عائداً على يوسف عليه السلام في القراءة ﴿حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ بالياء، أمّا من جعل الضمير في القراءتين عائداً على الله تعالى، فإنّ فائدة تنوع القراءة في هذا الموضع هي فائدة بلاغية، حيث جاءت القراءة ﴿حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ بالياء على الالتفات وما فيه من تطرية للسامع وتفنناً في الأسلوب، والقراءة ﴿حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ بالنون جاءت جرياً على السياق. والله تعالى أعلم.

١٨ ـ ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٦٢﴾ [يوسف: ٦٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِفِتۡيَتِهِ﴾ بتاء مكسورة بعد الياء من غير ألف(٣٨٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن فارس: «(فتى) الفاء والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدل على طراوة وجِدَّة، والآخر على تبيين حكم»(٣٨٥). ومنه الفَتى: الشابُّ.

---

(٣٨٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٦.
(٣٨٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٥.
(٣٨٥) معجم مقاييس اللغة ج٤ص٤٧٣.

والفتاةُ: الشابَّة. وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتى فتًى، فهو فتِيُّ السنّ بيِّن الفتاءِ، والفَتى: السخيّ الكريمُ. يقال: هو فَتًى بيِّن الفتوّةِ. وقد تَفَتَّى وتَفاتى، والجمع فِتْيانٌ وفِتْيَةٌ وفُتُوٌّ وفُتِيٌّ. والفَتى والفَتاةُ العبد والأَمة وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: «**ولا يَقُل أحدُكم عبدي أمتي، وليَقُل فَتايَ وفَتاتي وغلامي**»[٣٨٦]، وسمّى الله تعالى صاحبَ موسى عليه السلام الذي صحبه في البحر (فَتاه) فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠]، قال لأنه كان يخدمه في سفره. وقوله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، المُحصناتُ: الحرائر، والفَتَياتُ: الإماء وقوله ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦]، جائز أن يكونا حَدَثين أو شيخين لأنهم كانوا يسمون المملوك فَتًى[٣٨٧].

التفسير:

لمّا همَّ إخوة يوسف عليه السلام بالرحيل، قال يوسف عليه السلام لغلمانه: ضعوا أثمان الطعام التي أخذتموها منهم في أمتعتهم، من حيث لا يشعرون، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم، فيكون ذلك أرجى لعودتهم[٣٨٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«فتية وفتيان جمع فتى، كإخوة وإخوان: الأول للقلة والثاني للكثرة»[٣٨٩].

---

(٣٨٦) الحديث أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، ح(٢٥٥٢) ص٤٨٢.

(٣٨٧) انظر: الصحاح في اللغة ج٦ص٢٤٥١، المفردات في غريب القرآن ص٣٧٢، ٣٧٣، لسان العرب ج٥ص٣٣٤٧، ٣٣٤٨.

(٣٨٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٩، المنتخب ص٣٤١.

(٣٨٩) إبراز المعاني ص ٥٣٦، وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠، الحجة في القراءات السبع ص١٩٦، الكشف ج٢ص١٢، حجة القراءات ص٣٦١، تفسير الفخر الرازي ج١٨ص١٧٢، روح المعاني ج١٣ص١٠.

وقراءة ﴿لِفِتْيَانِهِ﴾ تشير إلى:

١ ـ كثرة الخدمة ليوسف عليه السلام، حيث يجوز أن يكون وجّه أمره للكثير، وتولى الفعل منهم القليل. قال مكي: «﴿لِفِتْيَانِهِ﴾ على وزن (فعلان) جعلوه جمع فتى في أكثر العدد، ويقوي ذلك قوله: ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، فأتى بجمع لأكثر العدد، فأخبر بكثرة الخدمة ليوسف، وإن كان الذين تولوا جعل البضاعة في الرحال بعضهم»[٣٩٠]، وقال أبو علي الفارسي: «ووجه الجمع الكثير: أنه يجوز أن يقال ذلك للكثير، ويتولى الفعل منهم القليل»[٣٩١].

٢ ـ كثرة عدد الخدمة الذين باشروا العمل، وقد ناسب ذلك كثرة الرحال.

قال أبو علي الفارسي: «ويقوي البناء الكثير قوله ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ فكما أنّ الرحال للعدد الكثير، لأنّ جمع القليل: أرحل: فكذلك المُتَوَلُّون ذلك يكونون كثرة»[٣٩٢].

قلت: هذا يشير بشكل أبلغ إلى كثرة الخدمة الذين يأتمرون بأمر يوسف عليه السلام، فالذين باشروا العمل هم البعض، فإن كان البعض كثير، فكيف الكلّ.

أمّا قراءة ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾ فإنها تشير إلى عدد الخدمة الذين باشروا العمل وهم بعض الخدمة لدى يوسف عليه السلام وهم قليل بالنسبة للكل.

قال مكي: «و﴿لِفِتْيَتِهِ﴾ على وزن (فِعْلَة) جعلوه جمع فتى في أقل العدد، لأنّ الذين تولوا جعل البضاعة في رحالهم يكفي منهم أقلهم»[٣٩٣]. وقال الفخر الرازي: «فوجه البناء الذي للعدد القليل أن الذين يحيطون بما

---

(٣٩٠) الكشف ج٢ص١٢ ـ بتصرف يسير.

(٣٩١) الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠.

(٣٩٢) الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠.

(٣٩٣) الكشف ج٢ص١٢ ـ بتصرف يسير، وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠، إبراز المعاني ص ٥٣٦.

يجعلون بضاعتهم فيه من رحالهم يكونون قليلين لأن هذا من باب الأسرار فوجب صونه إلاّ عن العدد القليل»[٣٩٤].

وعليه فإنّ قراءة ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾ تُشعر أنّ أمر يوسف عليه السلام لغلمانه بجعل أثمان الطعام في رحال إخوته كان فيه شيء من السرية، أمّا قراءة ﴿لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ فإنها تفيد أنّ الذين باشروا الفعل كثيرون وذلك لكثرة الرحال، حيث إنّ يوسف عليه السلام قد أجزل العطاء لإخوته فحمّل لهم رحالاً. كما أنّ هذه القراءة تحمل إشارة لطيفة إلى النعمة التي أنعمها الله على يوسف عليه السلام حيث كان لعظيم شأنه يأتمر بأمره عدد كبير من الغلمان. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٦٣].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿يَكْتَلْ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿نَكْتَلْ﴾ بالنون[٣٩٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الكيل: كيل الطعام. يُقال: كِلْتُ فلاناً أعطيته، واكتَلْتُ عليه أخذت منه. قال الله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١ - ٣]»[٣٩٦].

التفسير:

لمّا رجع إخوة يوسف عليه السلام من رحلتهم لجلب الميرة أخبروا أباهم أنّ عزيز مصر قد منع منهم الكيل بعد هذه المرة إن لم يأتوا بأخيهم

(٣٩٤) تفسير الفخر الرازي ج١٨ص١٧٢.

(٣٩٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٥.

(٣٩٦) معجم مقاييس اللغة ج٥ص١٥٠. وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٤٤، لسان العرب ج٥ص٣٩٦٨.

بنيامين، وأشاروا عليه أن يرسله معهم، فيكونوا قد وفّوا للعزيز بما شرط عليهم، فلا يحرمهم الكيل، وبذلك يتمكنون من إحضار الطعام لأهليهم، وتعهدوا بحفظ أخيهم أن يمسَّه أي مكروه، وأشاروا إلى فائدة أخرى من اصطحابه، وهي أنه سَيُكَال له أيضاً فيزدادوا بذلك كَيْـلَ بَعِيْر(٣٩٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالياء أراد: يصيبه كيلٌ لنفسه، يبين ذلك قوله: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥]، ومن قرأ بالنون أراد: إن أرسلته اكتلنا، وإلاّ فقد منعنا الكيل، لقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ [يوسف: ٦٠]»(٣٩٨).

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن أرسلت أخانا معنا اكتلنا وإلاّ حُرمنا الكيل، كما أننا سنحقق فائدة أخرى، وهو أنّ أخانا سيصيبه كيلٌ لنفسه فنزداد بحضوره كيل بعير. والله أعلم.

٢٠ - ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿حَٰفِظًا﴾ بألف بعد الحاء وكسر الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿حِفْظاً﴾ بكسر الحاء وإسكان الفاء من غير ألف(٣٩٩).

---

(٣٩٧) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٣، التفسير المنير ج١٣ص٢٠، التفسير الواضح ج١٣ص٨.

(٣٩٨) الملخص في إعراب القرآن ص٥٨، وانظر: حجة القراءات ص٣٦١، الكشف ج٢ص١٢، ١٣.

(٣٩٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، ٢٩٦، البدور الزاهرة ص١٦٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

الحفظ: التعاهد وقله الغفلة، وحَفِظْت الشيءَ حِفظاً أي حرسته، والحَافظ: المُوكل بالشيء يحفظه(٤٠٠).

قال الراغب: «كل تفقدٍ وتعهدٍ ورعايةٍ يُسمى حفظاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقوله ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ وقرئ ﴿حِفۡظٗا﴾ أي حفظه خير من حفظ غيره»(٤٠١).

التفسير:

عندما طلب إخوة يوسف عليه السلام من أبيهم أن يرسل أخاهم بينامين معهم، وتعهدوا بحفظه قائلين: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قال لهم يعقوب عليه السلام منكراً مقولتهم: هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف - عليه السلام - من قبله، وقد قلتم أيضاً في حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فغيبتموه عني وحلتم بيني وبينه، فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفوض أمري إلى الله تعالى فهو خير الحافظين وحفظه خير من حفظكم، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي وأرجو من الله أن يرد ولدي عليّ ويجمع شملي به، إنّه أرحم الراحمين. وهذا ميل منه عليه السلام إلى الإذن بإرسال بنيامين معهم لِما رأى فيه من المصلحة وفيه أيضاً من التوكل على الله تعالى ما لا يخفى(٤٠٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة ﴿حِفۡظٗا﴾ على وزن (فعل) أنّ إخوة يوسف عليه السلام لمّا نسبوا إلى أنفسهم الحفظ، فقالوا: ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ ردّ عليهم يعقوب ذلك

---

(٤٠٠) انظر: لسان العرب ج٢ص٩٢٩.

(٤٠١) المفردات في غريب القرآن ص١٢٤ - باختصار وتصرف يسير.

(٤٠٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١١، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٣، روح المعاني ج١٣ص١١.

فقال: ﴿فالله خَيْرٌ حِفْظاً﴾ أي خير من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم، وقيل: تقديره: فالله خير منكم حفظاً، فأتى بالمصدر الدَّال على الفعل، ونصبه على التفسير. ووجه القراءة ﴿حَٰفِظًا﴾ على وزن (فاعل) أنه أتى به على المبالغة، على تقدير: فالله خير الحافظين، فاكتفى بالواحد عن الجمع، ونصبه على التفسير، ويقوي ذلك أنها في مصحف عبدالله بن مسعود (خير الحافظين)، وأيضاً فإنهم لمّا قالوا: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قيل لهم ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾. و﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ مناسبٌ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فإنّ الله تعالى هو الحافظ، والحفظ فعل من أفعاله، وهو الراحم والرحمة فعل من أفعاله وصفة من صفاته(٤٠٣).

قال محمد الحبش: «وثمرة الخلاف أنّ قراءة حمزة والكسائي أفادتنا حكماً ضرورياً وهو أنّ من أسماء الله الحسنى: الحافظ. ومثل هذا الاسم لا يكون إلاّ عن توقيف. وقد ورد اسمه الحافظ بصيغة الجمع مرة واحدة في سورة الأنبياء في قوله سبحانه: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]. وحيث تواترت القراءة فقد وجب المصير إليها، ولا خلاف بين الأمة أنّ الحافظ اسم من أسماء الله الحسنى تباركت أسماؤه، وإنّ هذه القراءة وإن لم تستقل بجواز إطلاق هذه التسمية فقد وكدت ذلك. ولا نزاع فيما دلت عليه قراءة الجمهور من أنّ المولى سبحانه خير حفظاً، فهو مما أجمع عليه الموحدون»(٤٠٤).

قلت: كلتا القراءتين أَثْرَت المعنى. فالقراءة ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ بينت أنّ الله تعالى حافظ فلديه كامل القدرة على الحفظ، وهو خير الحافظين، فإن سمّى إخوة يوسف أنفسهم بالحافظين لأخيهم ـ مبالغة في الحرص على حفظه ـ ، فالله خيرٌ منهم، فهذه مفاضلة بين الفاعلين. أمّا قراءة ﴿فالله خَيْرٌ حِفْظاً﴾ فإنها مفاضلة بين نتيجة الفعل وهي الحفظ، فَإِنْ تَعَهَّد إخوة يوسف

(٤٠٣) انظر: الكشف ج٢ص١٣، مشكل إعراب القرآن ص٣٨٨، الملخص في إعراب القرآن ص٥٩، تفسير البغوي ج٣ص١٧٦.

(٤٠٤) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ص١٥١، ١٥٢.

بحفظه، فحفظ الله خير من حفظهم. فالفاعل، ونتيجة الفعل، قد ظهرت فيهما الخيرية وهذا يؤكد المعنى المراد أيّما تأكيد. والله تعالى أعلم.

٢١ - ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب ﴿**يَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ بالياء في الفعلين وبحذف التنوين في ﴿**دَرَجَاتِ**﴾.

٢ - قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالنون في الفعلين وبتنوين ﴿**دَرَجَاتٍ**﴾.

٣ - قرأ الباقون ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ**﴾ بالنون في الفعلين وترك التنوين في ﴿**دَرَجَاتِ**﴾[٤٠٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿نَرْفَعُ﴾: «الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها، نحو: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وتارة في البناء إذا طوّلته نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وتارة في المنزلة إذا شرّفتها نحو: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾»[٤٠٦].

٢ - ﴿**دَرَجَات**﴾: الدرجات جمع درجة، «والدرجة نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السّطح والسُّلم ويُعَبَّرُ بها عن المنزلة الرفيعة قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤]، وقال: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣]، أي: هم ذَوُو درجات عند الله»[٤٠٧].

(٤٠٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٦، والبدور الزاهرة ص١٦٥.
(٤٠٦) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٠ - باختصار.
(٤٠٧) المفردات في غريب القرآن ص١٦٧ - باختصار.

٣ - ﴿نَشَآءُ﴾: سبق بيانه[٤٠٨].

التفسير:

لمّا اتهم الفتيان إخوة يوسف عليه السلام بالسرقة، نفَوا ذلك، فقال لهم الفتيان ما جزاء السارق إن كان فيكم؟ فقالوا جزاؤه أن يُدفع إلى المسروق منه. وهذا الذي أراد يوسف عليه السلام، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه تورية، ثم استخرج السقاية من وعاء أخيه فتحقق له أخذه منهم بحكم التزامهم، وهكذا صنع الله تعالى ليوسف عليه السلام حتى يُخلِّص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، وما كان له ليأخذه في حكم ملك مصر وقضائه، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك أن يُسترق السارق، فما كان ذلك أن يتحقق ليوسف عليه السلام إلاّ أن يشاء الله تعالى، يرفع الله تعالى من يشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره، كما رفع يوسف عليه السلام[٤٠٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿نَرۡفَعُ﴾، ﴿نَشَآءُ﴾ بالنون في الفعلين، على جهة التعظيم، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن)، وذلك على نسق قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾، أو على الالتفات من الغيبة إلى التكلم. أمّا القراءة ﴿يَرۡفَعُ﴾، ﴿يَشَآءُ﴾ بالياء في الفعلين فعلى أنه مسند لضمير يعود على الله تعالى المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٤١٠].

وفائدة اختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية، تظهر في تنوع الأساليب. والله تعالى أعلم.

أمّا توجيه اختلاف القرءاة في كلمة ﴿درَجَات﴾ فقد قال مكي: «من نوّنَ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ أوقع ﴿نَرۡفَعُ﴾ على ﴿مَن﴾ ونصب ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على الظرف

(٤٠٨) انظر: ص١١٤ من هذا البحث.
(٤٠٩) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص٢٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٥.
(٤١٠) انظر: شرح طيبة النشر للنويري ج٤ص٣٨٥، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٧٨.

أو على حذف حرف الجر تقديره: إلى درجات، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ومن لم يُنَوِّن نصب ﴿**درجات**﴾ بـ﴿نَرْفَعُ﴾ على المفعول به وأضافها إلى ﴿مَن﴾»[٤١١].

وقال ابن زنجلة: «قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۚ﴾ بالتنوين جعلوا المرفوع هو الإنسان وحجتهم في ذلك أنّ الله قد بين معنى هذا الكلام في غير موضع من القرآن فجعل المرفوع هو الإنسان وبين فضل من أحب أن يُفَضِّله بأن يرفعه فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، فجعلهم هم المرفوعين دون الدرجات وفي الآية تقديم وتأخير، المعنى: نرفع من نشاء درجات و﴿مَن﴾ في موضع النصب، ونجعل ﴿دَرَجَٰتٍۚ﴾ مفعولاً ثانياً أو حالاً. وقرأ الباقون ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتِ**﴾ بغير تنوين وحجتهم ذكرها اليزيدي[٤١٢] فقال: كقولك نرفع أعمال من نشاء فجعل اليزيدي الرفع للأعمال دون الإنسان»[٤١٣].

قال الطبري: «﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ**﴾ بإضافة الدرجات إلى ﴿مَن﴾ بمعنى: نرفع الدرجات لمن نشاء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بتنوين الدرجات بمعنى: نرفع من نشاء درجات. . . . والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربٌ معناهما وذلك أن من رفعت درجته فقد رفع في الدرج ومن رفع في الدرج فقد رفعت درجته فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك»[٤١٤].

---

(٤١١) مشكل إعراب القرآن ج١ص٢٥٩، وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص٢٦٥.

(٤١٢) هو الإمام يحيى بن المبارك البصري النحوي، عرف باليزيدي لاتّصاله بيزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده، كان ثقة علامة فصيحاً مفوهاً بارعاً في اللغات والآداب توفي سنة ٢٠٢هـ [انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٥١ ـ ١٥٢) باختصار].

(٤١٣) حجة القراءات ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٤١٤) تفسير الطبري ج٧ص٢٦٠.

قلت: رفع الدرجات، ثم رفع المُنْعَم عليهم إليها فيه إشارة إلى عظيم المنة، فالدرجات ليست على منزلة واحدة، بل هناك تفاضل فيما بينها، وقد يكون للمرء درجة عليا يرفع إليها، وغيره له درجة أعلى. فالقراءة بالتنوين في ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ تفيد حصول ارتفاع المنعم عليهم إلى الدرجات التي خصصت لهم، والقراءة بترك التنوين في ﴿دَرَجَاتِ﴾ تفيد عُلُوّ الدرجات التي يرفع إليها المنعم عليهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٢ - ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

القراءات:

١ - قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسْتَايَسُوا﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ - قرأ الباقون ﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعد الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي(٤١٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾: من اليأس: وهو القنوط (ضد الرجاء) أو قطع الأمل وانتفاء الطمع، يقال: يئس واستيأس، مثل: عجب واستعجب، وسخر واستسخر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ﴾(٤١٦).

٢ - ﴿اسْتَايَسُوا﴾: من أيس منه، إياساً بمعنى قنط، يقال: آيسته وأيّسته(٤١٧).

(٤١٥) انظر: النشر ج١ص٤٠٥، والبدور الزاهرة ص١٦٦.
(٤١٦) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٥٢، القاموس المحيط ص ٧٥١.
(٤١٧) انظر: القاموس المحيط ص ٦٨٤.

وقيل إنّ أَيِسْتُ منه آيَسُ يَأْساً لغة في يَئِسْتُ منه أَيْأَسُ يَأْساً، ومصدرهما واحد، وآيَسَني منه فلانٌ مثل أَيْأَسَني[418] وقيل: بل أَيِسْتُ من الشيء مقلوب عن يَئِسْتُ وليس بلغة فيه[419].

التفسير:

يخبر الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام أنهم لمّا انقطع طمعهم بالكلية من تخليص أخيهم بنيامين، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه، وعاهدوه على ذلك، انفردوا عن الناس يتناجون فيما بينهم، قال كبيرهم: ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم عهد الله وميثاقه المؤكد لتأتنني به إلاّ أن يحاط بكم؟ ألم تعلموا تقصيركم السابق في حفظ يوسف عليه السلام؟، فلن أفارق هذه البلدة حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه راضياً عني، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وترك أخي بنيامين، والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس[420].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾ يقرأ بتقديم الياء قبل الهمزة فيكون الياء فاءَ الفعل. وبتقديم الهمزة قبل الياء فيكون الياء عين الفعل. ومثله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]. فالحجة لمن جعل الياء فاء الفعل: أنه أخذه من قولهم: يأس ييأس يأساً. والحجة لمن جعل الهمزة فاءَ للفعل: أنّه أخذه من قولهم: أيس يأيس إياساً»[421].

قلت: والمعنى اللغوي ل(أيس)، و(يأس) واحد كما ذكر أهل اللغة.

قال القرطبي: «﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾ أي يئسوا مثل عجب واستعجب

(٤١٨) انظر: الصحاح في اللغة ج٣ص٩٩٢، لسان العرب ج١ص١٩٠.
(٤١٩) انظر: لسان العرب ج١ص١٩٠.
(٤٢٠) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٣٤، ٣٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٧، روح المعاني ج١٣ص٣٥، ٣٦، التحرير والتنوير ج١٣ص٣٩، ٤٠، التفسير الواضح ج١٣ص١٦.
(٤٢١) الحجة في القراءات السبع ص١٩٧.

وسخر واستسخر، وقرأ ابن كثير: ﴿استايسوا﴾، ﴿ولا تايسوا﴾، ﴿إنه لا يايس﴾، ﴿أفلم يايس﴾ بألف من غير همز على القلب قدمت الهمزة وأخرت الياء ثم قلبت الهمزة ألفا لأنها ساكنة قبلها فتحة، وقال قوم: أيس ويئس لغتان»(٤٢٢).

وعليه يمكن توجيه اختلاف القراءة إمّا على القلب في الفعل (يأس)، وإمّا على الاشتقاق من فعلين مختلفين ـ يحملان المعنى نفسه ـ وذلك على لغتين من لغات العرب. وعلى كلا الوجهين فالمعنى واحد، وتنوع القراءة في هذه الكلمة يؤكد كمال يأسهم. والله تعالى أعلم.

٢٣ ـ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسْتَايَسُوا﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعد الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي(٤٢٣).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [يوسف: ٨٠](٤٢٤).

٢٤ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

---

(٤٢٢) تفسير القرطبي ج٩ص٢٤١ ـ باختصار يسير.

(٤٢٣) انظر: النشر ج١ص٤٠٥، والبدور الزاهرة ص١٦٦.

(٤٢٤) انظر ص١٢٦ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو جعفر ﴿إِنَّكَ﴾ بهمزة واحدة مكسورة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَإِنَّكَ﴾ بهمزتين: الأولى مفتوحة والثانية مكسورة(٤٢٥).

٣ ـ قرأ قنبل ﴿يَتَّقِي﴾ بإثبات ياء بعد القاف وصلاً ووقفاً.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَتَّقِ﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً(٤٢٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿أَإِنَّكَ﴾ مركبة من همزة الاستفهام، و(إنّ) الثقيلة، وكاف المخاطب.

قال الفيروزآبادي: «إنَّ وأنَّ: حَرْفانِ يَنْصِبان الاسْمَ، ويَرْفَعانِ الخَبَرَ، وقد تَنْصِبُهُما المَكْسورَةُ، كما في الحديثِ: (إنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لسَبْعينَ خَريفاً)(٤٢٧)، وقد يَرْتَفِعُ بَعْدَها المُبْتَدأ، فيكونُ اسْمُها ضميرَ شأنٍ مَحْذوفاً، نَحْو: (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ)(٤٢٨). والأَصْلُ: إنّه، والمكسورةُ يُؤَكِّدُ بها الخَبَرُ، وقد تُخَفَّفُ فَتَعْمَلُ قَليلاً، وتُهْمَلُ كثيراً. وعن الكوفيينَ: لا تُخَفَّفُ، وتكونُ حَرْفَ جواب بمَعْنَى نَعَمْ»(٤٢٩).

٢ ـ ﴿يَتَّقِ﴾: وقاه وَقْياً ووِقَايَة وواقية: صَانه، والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، واتقيت الشيء حَذرْته، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف وصار التَّقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يُؤثِم، وذلك

(٤٢٥) انظر: النشر ج١ص٣٧٢، البدور الزاهرة ص١٦٦.

(٤٢٦) انظر: النشر ج ٢ ص٢٩٧، البدور الزاهرة ص١٦٦.

(٤٢٧) أخرجه الحاكم: كتاب الأهوال ح(٨٧٤٩) ج٤ص٦٣١، ٦٣٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤٢٨) أخرجه النسائي: كتاب الزينة، باب ذكر أشد الناس عذاباً ح(٥٣٦٤) ص٨٠٦. والحديث صححه الألباني.

(٤٢٩) القاموس المحيط ص١٥١٩ ـ باختصار وتصرف يسير.

بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ وَالْمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ، مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ**»(٤٣٠)(٤٣١).

التفسير:

في آخر لقاء تمّ بين يوسف عليه السلام وإخوته ـ وهم لا يعرفونه ـ شكوا إليه ما نزل بهم من الضرّ وهنا أراد يوسف عليه السلام أن يكشف الغموض فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]. كان هذا تلويحاً واضحاً بالكشف عن أنّ الذي يكلمهم هو يوسف، فقالوا على الفور: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ على سبيل الاستفهام الذي يفيد التقرير والتوثيق ويدل على الاستعظام، فقد استشعروا من كلامه ثمّ من ملامحه أنّه يوسف، وتعجبوا من ذلك، حيث إنّهم يترددون إليه منذ سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه، وهو يعرفهم ويكتم نفسه. فأجابهم يوسف: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ وجاء الردّ مجرداً من التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلاّ تأييده لذلك، ثمّ أضاف قائلاً: ﴿وَهَٰذَآ أَخِى﴾ جمع الله بيننا بعد طول فرقة. ثمّ استمر يلقي عليهم درساً قد آن أوانه، وبين لهم أنّ اختلاف الجزاء باختلاف العمل، فهم قد أساءوا بالتآمر عليه، وهو لزم طاعة الله فمكّن الله له في الأرض، وأجلسه على عرش مصر بينما هم قابعون في الأرض يقفون موقف المستعطف، إنّه من يتق الله فيراقبه بأداء أوامره، واجتناب معاصيه، ويصبر، ويكف نفسه عما حرّم الله عليه من قول أو عمل، فإن الله لا يبطل ثواب من أحسن، ذلك أنّ لله سنة لا تتخلف في حفظ جزاء

(٤٣٠) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ح(٢٠٥١) ص٣٨٨، ومسلم: كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ح (٣٩٨٥) ص٧٨٣.

(٤٣١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٣٠، ٥٣١، القاموس المحيط ص١٧٣١.

المحسنين[٤٣٢].

قال ابن عاشور: «وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته»[٤٣٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ﴾: قال أبو حيان: «قرأ الجمهور ﴿أَءِنَّكَ﴾ على الاستفهام، وقرأ ابن كثير ﴿إِنَّكَ﴾ بغير همزة استفهام، والظاهر أنها مرادة[٤٣٤]»[٤٣٥].

وقال الأزهري: «من قرأ بألف واحدة فهو إيجابٌ، لأنه يوسف، عرفوه فحققوا أنه أخوهم، ومن قرأ ﴿أَءِنَّكَ﴾ فهو استفهام، وذلك أنهم ظنوا ذلك ظنّاً فاستفهموه، أهو هو؟»[٤٣٦].

قال السمين الحلبي: «فأمّا قراءة ابن كثير فتحتمل أن يكون خبراً محضاً، واستبعد هذا من حيث تخالف القراءتين مع أنّ القائل واحد، وقد أجيب عن ذلك بأنّ بعضهم قاله استفهاماً، وبعضهم قاله خبراً»[٤٣٧]. قال أبو حيان: «وهو مع ذلك بعيد»[٤٣٨].

---

(٤٣٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٥٥، الكشاف ج٢ص٣٤١، تفسير ابن كثير ج٢ص٥٠٢، التحرير والتنوير ج١٣ص٤٨، ٤٩، التفسير البلاغي للاستفهام ج٢ص١٤٠، ١٤١.

(٤٣٣) التحرير والتنوير ج١٣ص٤٩.

(٤٣٤) قال السخاوي: «قد تحذف الهمزة وهي مرادة، إذا كان في الكلام عليها دلالة، كقوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ في قراءة ابن كثير» (المُفضَّل في شرح المُفَصَّل ص٣٢٤، ٣٢٥).

(٤٣٥) البحر المحيط ج٥ص٣٣٦ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٤٣٦) معاني القراءات ص٢٢٧.

(٤٣٧) الدر المصون ج٤ص٢١١، وانظر: البحر المحيط ج٥ص٣٣٧.

(٤٣٨) البحر المحيط ج٥ص٣٣٦.

وقال مكي: «وحجة من قرأه على الخبر أنّهم لما عرفوا يوسف، وتيقنوا أنه هو، أتوا بـ(إنّ) التي لتأكيد ما بعدها، واستغنوا عن الاستخبار، لأنه شيء قد ثبت عندهم، فلا معنى للاستخبار عنه. وحجة من استفهم أنه أتى بلفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام والإثبات، لم يستخبروا عن أمر جهلوه، وإنّما أتوا بلفظ يحققون به ما صحّ عندهم، من أنه هو يوسف»(٤٣٩).

قال أبو السعود: «﴿**قالوا أئنك لأنت يوسف**﴾ استفهام تقرير ولذلك أكدوه بـ(إنّ) واللام قالوه استغرابا وتعجبا»(٤٤٠).

قال ابن عاشور: «وقولهم ﴿**أئنك لأنت يوسف**﴾ يدل على أنهم استشعروا من كلامه ثم من ملامحه ثم من تفهم قول أبيهم لهم: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]. إذ قد اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يتكلم مريداً نفسه. وتأكيد الجملة بـ(إنّ) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف عليه السلام. وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به. وقرأ ابن كثير ﴿إِنَّكَ﴾ بغير استفهام على الخبرية. والمراد لازم الخبر، أي عرفناك. ألا ترى أنّ جوابه بـ ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ مجرد من التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلاّ تأييده لذلك»(٤٤١).

مما سبق يلاحظ اختلاف المفسرين في توجيه كل قراءة من هاتين القراءتين، فمنهم من جعل الاستفهام على حقيقته، والإخبار على حقيقته، وعلل ذلك بأنّ بعض إخوة يوسف عرفوه وتحققوا منه، وبعضهم استفهموا، فكانت القراءتان بمجموع أقوالهم. ومنهم من جعل القراءتين بمعنى الاستفهام فقدّر همزة الاستفهام في قراءة ﴿إِنَّكَ﴾ واستند في ذلك إلى ما هو سائغ ومشهور في اللغة. وهناك أيضاً خلاف حول معنى الاستفهام فمنهم من جعل

(٤٣٩) الكشف ج٢ص١٤.

(٤٤٠) تفسير أبي السعود ج٣ص١٣٦، وانظر: روح المعاني ج١٣ ص٤٨، ٤٩.

(٤٤١) التحرير والتنوير ج١٣ص٤٨، ٤٩، وانظر: روح المعاني ج١٣ ص٤٨، ٤٩.

الاستفهام على حقيقته أُريدَ منه الاستعلام، ومنهم من قال هو استفهام تقريري يحمل معنى التعجب والاستغراب.

وما تختاره الباحثة أنّ القراءتين كل منهما أثرت المعنى وزادته جمالاً ووضوحاً وليستا كقراءة واحدة، كما أنّ الاستفهام ليس على حقيقته لوجود القرائن التي تؤكد أنّ إخوة يوسف عليه السلام لم يستفهموا استفهام استخبار بل استفهام تقرير. قال الألوسي: «ولذلك أكد بإن واللام لأن التأكيد يقتضي التحقق المنافي للاستفهام الحقيقي، ولعلهم قالوه استغراباً وتعجباً»[٤٤٢]. «فالاستفهام كما دلّ على تأكدهم من أنه يوسف ـ عليه السلام ـ، يدلّ أيضاً على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من ذلك، أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه»[٤٤٣]. أمّا القراءة بالخبر ﴿إِنَّكَ﴾ فإنها تفيد بلا أدنى شكّ تأكدهم من أنّ الذي يكلمهم هو يوسف عليه السلام، وتؤكد ما ذهب إليه أكثر المفسرين ـ وهو ما رجحته الباحثة ـ من أنّ الاستفهام في القراءة الأولى ليس على حقيقته. والله تعالى أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾:

قال ابن خالويه: «القراءة بكسر القاف وحذف الياء علامة للجزم بالشرط إلا ما رواه قنبل عن ابن كثير بإثبات الياء وله في إثباتها وجهان: أحدهما: أن من العرب من يُجري الفعل المعتل مجرى الصحيح فيقول: لم يأتي زيد. والوجه الثاني أنه أسقط الياء لدخول الجازم ثم بقّى القاف على كسرتها وأشبعها لفظا فحدثت الياء للإشباع»[٤٤٤].

«ويقوي هذا قراءة حمزة في قوله: **﴿فلا تَخَفْ دَرَكاً ولا تَخْشَى﴾**

(٤٤٢) روح المعاني ج١٣ص٤٨.

(٤٤٣) تفسير ابن كثير ج٢ص٥٠٢.

(٤٤٤) الحجة في القراءات السبع ص١٩٨، ١٩٩، وانظر: حجة القراءات ص٣٦٤، ٣٦٥، مشكل إعراب القرآن ج١ص٣٩١، ٣٩٢، الكشف ج٢ص١٨، خزانة الأدب ج٣ص٥٣٤.

[طه: ٧٧][٤٤٥]، ولم يقل (تخش)»[٤٤٦].

وذكر مكي توجيهاً ثالثاً لإثبات الياء فقال: «والحجة في إثبات الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ أن تكون ﴿مَن﴾ بمعنى (الذي) فيرتفع الفعل بعدها، لأنه في الصلة، وفي الكلام معنى الشرط»[٤٤٧].

وأشار البقاعي إلى معنىً لطيف، فقال: «وأثبت قنبل ـ بخلافه عنه ـ ياءه في الحالين[٤٤٨] معاملاً له معاملة الصحيح إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمكنة الزائدة والملازمة لها في كل حال»[٤٤٩].

قلت: وإثبات الياء فيه أيضاً إشارة إلى المبالغة في تحرّي التقوى في كل حال.

وعليه فإنّ حذف الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ جاء على الأصل، حيث إنّ الأصل في الفعل المعتل الآخر أن يحذفَ حرفُ العلةِ من آخره للجزم، أمّا القراءة بإثبات الياء فإنها تفيد المبالغة في تحري التقوى، وملازمتها في كل حال، وفيها إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمُكْنَة الزائدة. والله تعالى أعلم.

٢٥ ـ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿**يا أَبَتَ**﴾ بفتح التاء.

---

(٤٤٥) الآية مثبتة بقراءة حمزة وهي في رواية حفص ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

(٤٤٦) حجة القراءات ص٣٦٤.

(٤٤٧) الكشف ج٢ص١٨، وانظر: مشكل إعراب القرآن ج١ص٣٩١.

(٤٤٨) (في الحالين) يعني: في الوصل والوقف.

(٤٤٩) نظم الدرر ج٤ص٩٣.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ بكسر التاء[٤٥٠].

ويقف ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالهاء والباقون بالتاء.

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[٤٥١].

التفسير:

رفع يوسف عليه السلام أبويه على سرير الملك بجانبه، وسجدا له وسجد له إخوته الأحد عشر، قال يوسف عليه السلام: يا أبت هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتي لي ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها، وقصصتها عليك، قد حققها ربي عز وجل، وقد أحسن الله تعالى بي في إخراجه إياي من السجن وفي مجيئه بكم من البدو، من بعد ما أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إنّ ربي إذا أراد أمراً قيض له أسباباً وقدّره ويسره، إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أقواله وأفعاله وقضائه[٤٥٢].

العلاقة التفسيرية للقراءات:

سبق بيان أنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلتاهما تدلان على شدة التصاق يوسف عليه السلام بأبيه يعقوب عليه السلام حيث ناداه بلفظ الأبوة، وأضاف يوسف عليه السلام لفظ الأبوة إلى نفسه كعادة الابن البار في نداء أبيه. والفتحة دلت على الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء الإضافة، والكسرة دلت على ياء الإضافة المحذوفة، وأنّ الكسرة والياء أقوى من الفتحة والألف[٤٥٣]. وقد ناسب تنوع الخطاب بين القوة واللين، ما في الرؤيا من صدق ويقين ـ حيث تحققت كفلق الصبح ـ وما في يوسف عليه السلام من

(٤٥٠) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٤٥١) انظر ص٨٠ من هذا البحث.

(٤٥٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٦٨ ـ ٧٢، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٢٣، ٧٢٤، صفوة التفاسير ج٢ص٦٨.

(٤٥٣) انظر ص٨١ من هذا البحث.

تواضع ولين جانب على مكانته العظيمة ومنصبه الرفيع. والله تعالى أعلم.

٢٦ - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنون وكسر الحاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بالياء التحتية وفتح الحاء[٤٥٤].

٣ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿يَعْقِلُونَ﴾ بياء الغيبة.

٤ - قرأ الباقون ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بتاء الخطاب[٤٥٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(وحى): الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب، والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحيٌ كيف كان. وأوحى الله تعالى وَوَحَى»[٤٥٦].

قال الراغب: «أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل أمرٌ وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ وذلك أضربٌ حسبما دلَّ عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

(٤٥٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٦، البدور الزاهرة ص١٦٨.

(٤٥٥) انظر: النشر ج٢، البدور الزاهرة ص١٦٨.

(٤٥٦) معجم مقاييس اللغة ج٦ص٩٣، وانظر: القاموس المحيط ص١٧٢٩.

فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]»[٤٥٧].

التفسير:

يُخبر الله ﷻ أنّ إرسال الرسل عليهم السلام سُنَّة إلهية قديمة، وما أرسل الله ﷻ إلاّ رجالاً، لا ملائكة ولا نساءً، وأوحى إليهم آياته بالدعاء إلى طاعته، وإفراد العبادة له، وقد كان هؤلاء الرسل من أهل المدن لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البادية، والعجب كل العجب من هؤلاء المشركين الذين عَمُوا عن الحقّ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ـ نظر تفكر وتدبر ـ ما حلّ بالذين من قبلهم من الأمم المكذبة للرسل؟، كيف أهلك الله تعالى الكافرين، ونجّى المؤمنين؟، وتلك سنة الله تعالى في خلقه، وكما نجّى الله المؤمنين في الدنيا كذلك كتب لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا، أفلا تعقلون أيها المعاندون فتؤمنون؟[٤٥٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم﴾:

من قرأ ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنون وكسر الحاء فعلى الإسناد إلى الله تعالى على وجه التعظيم[٤٥٩]، ولقربه من قوله: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ فجرى الفعلان على الإخبار من الله تعالى عن نفسه بذلك. ومن قرأ ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بالياء التحتية وفتح الحاء ردّه على لفظ ﴿رِجَالٗا﴾ فأُقيموا مقام الفاعل، على ما لم يسمّ فاعله، لأنّ لفظ ما لم يسم فاعله يحتوي على معنى ما تقدمه من الكلام وعلى غيره[٤٦٠].

---

(٤٥٧) المفردات في غريب القرآن ص٥١٥ ـ باختصار، وانظر: لسان العرب ج٦ص٤٧٨٧.

(٤٥٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٨٠، ٨١، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٣٢، تفسير البيضاوي ج١ص٤٩٨، التسهيل ج٢ص١٢٩، التحرير والتنوير ج١٣ص٦٦، ٦٧، التفسير الواضح ج١٣ص٢٦، ٢٧، صفوة التفاسير ج٢ص٧٠.

(٤٥٩) شرح طيبة النشر ص ٢٥٦.

(٤٦٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٨، الكشف ج٢ص١٥، الملخص في إعراب القرآن ص ٧١، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٢٥٦.

والقراءة ﴿يُوحَىٰٓ﴾ فيها إشارة إلى عظيم منزلة الرسل بتلقيهم الوحي، وفيه تنبيه على أهمية الموحى به، حيث تميز الرسل عن غيرهم بهذا الوحي. والقراءة ﴿نُّوحِىٓ﴾ فيها إشارة إلى ارتفاع منزلة الرسل بتلقيهم هذا الوحي من الله ﷻ. والله أعلم.

٢ - قوله تعالى ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

قال ابن عاشور: «﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بتاء الخطاب على الالتفات، لأن المعاندين لمّا جرى ذكْرهُم وتكرر صاروا كالحاضرين فالتفت إليهم بالخطاب. و﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ بياء الغيبة على نسق ما قبله»(٤٦١).

وأسلوب الخطاب فيه مزيد تبكيت وتقريع، حيث وُجّه التقريع توجيهاً مباشراً لهم، أمّا أسلوب الغيبة فيحمل معنى الاستخفاف بالمعاندين فهم ليسوا حَرِيِّين بالخطاب(٤٦٢). والله تعالى أعلم.

٢٧ - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠].

القراءات:

١ - قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسۡتَايَسَ﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ - قرأ الباقون ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسَ﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعد الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي(٤٦٣).

٣ - قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر ﴿كُذِبُواْ﴾ بتخفيف الذال.

---

(٤٦١) التحرير والتنوير ج١٣ص٦٩ - بتصرف يسير.

(٤٦٢) اسْتُوحيت هذه المعاني من حديث د. فضل عباس حول أثر القراءات من الوجهة البلاغية في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]. (انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٩).

(٤٦٣) انظر: النشر ج١ص٤٠٥، والبدور الزاهرة ص١٦٦.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿كُذِّبُواْ﴾ بتشديد الذال[٤٦٤].

٥ ـ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿فَنُجِّيَ﴾ بنون واحدة مضمومة وبعدها جيم مشددة وبعد الجيم ياء مفتوحة.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿فَنُنجِي﴾ بنونين: الأولى مضمومة والثانية ساكنة وبعد الثانية جيم مخففة، وبعد الجيم ياء ساكنة مدية[٤٦٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿ٱسْتَيْـَٔسَ﴾: سبق بيانه[٤٦٦].

٢ ـ ﴿كُذِبُوا﴾، ﴿كُذِّبُوا﴾:

«الكَذِب: ضد الصِّدق. وكَذبْتُ بالحديث كِذَّاباً وتكذيباً، وكَذَبَ الوحشي، إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه. وحملَ فلان على فلانٍ فما كذب حتى طَعَنَ أو ضَرَبَ، أي ما وقف. والأكاذيب: أحاديث الباطل، الواحدة أكذوبة. والكَذُوب: النفس. ويقول الرجل للرجل: لا مَكْذَبَةَ أي لا أكذِبك. وكذلك يقال: كَذَبَ عليك كذا وكذا، في معنى الإغراء، أي عليك به»[٤٦٧].

و﴿كُذِبُوا﴾ هنا بمعنى: أُخبِروا بالكَذب[٤٦٨]. و﴿كُذِّبُوا﴾ بمعنى: تُلقّوا بالكذب، فكُذّبوا نحو خُطئوا، فُسِّقوا إذا نُسِبوا إلى شيء من ذلك[٤٦٩].

قال الجوهري: «قال الكسائي: ... وكَذَّبْتُهُ، إذا أخبرتَ أنه كاذب»[٤٧٠].

(٤٦٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٦، والبدور الزاهرة ص١٦٨.
(٤٦٥) انظر: المرجعين السابقين والصفحات نفسها.
(٤٦٦) انظر ص١٢٦ من هذا البحث.
(٤٦٧) جمهرة اللغة ج١ص٢٥١ ـ باختصار، وانظر: لسان العرب ج٥ص٣٨٤٢.
(٤٦٨) انظر: القاموس المحيط ص١٦٦.
(٤٦٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٢٧.
(٤٧٠) الصحاح في اللغة ج٢ ص ٢١٠، وانظر: لسان العرب ج٥ص٣٨٤٢.

٣ - ﴿فَنُجِّيَ﴾، ﴿فَنُنجِي﴾:

«(نجا): نَجْواً ونجاةً ونَجَايةً: خَلَصَ، كَنجّى واستنجى. وأنجاه الله، ونجّاه. ونَجَا الشجرة نَجْواً: قطعها»(٤٧١).

قال الراغب: «أصل النَّجاء: الانفصالُ من الشيء، ومنه: نَجَا فلانٌ من فلانٍ وأنجيته ونجيته، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النمل: ٥٣]، وقال ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ [النمل: ٣٣] والنجوة والنجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عمّا حوله، وقيل سمي لكونه ناجياً من السيل»(٤٧٢).

التفسير:

يذكر الله ﷻ أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند اشتداد الأزمات وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إليه، ففي اللحظة التي تستحكم فيها الشدة، ويأخذ الكرب بالمخانق، حتى يستيئس الرسل من إيمان قومهم، ويوقنوا بلا أدنى شكّ أنّ قومهم قد كذّبوهم فيما جاءوهم به من عند الله، وتشتد الأزمة على الرسل حتى يظنّوا أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لِما لحقهم من البلاء من الكفار، ويغترُ المرسل إليهم - لطول إمهالهم - فيظنون أنّ الرسل قد كَذَبتهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، وتشتد الأزمة أكثر فأكثر حتى يظن أتباع الرسل أنّ الرسل قد أُخلفوا ما وُعِدوا به من النصر، عندها يبزغ الفجر وتنفرج الكربة ويأتي النصر المبين، وَيُنَجِّي الله تعالى الرسل ومن تَبِعهم من المؤمنين، ويُهلك الكافرين، ولا يُرَدّ عذابُ الله ﷻ وبطشُه عن القوم المجرمين(٤٧٣).

(٤٧١) القاموس المحيط ص ١٧٢٣.

(٤٧٢) المفردات في غريب القرآن ص٤٨٣، ٤٨٤ - باختصار.

(٤٧٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٨٢، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٣٢، ٧٣٣، صفوة التفاسير ج٢ص٧٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ﴿ٱسْتَيْـَٔسَ﴾: سبق بيانه[(٤٧٤)].

٢ ـ ﴿كُذِبُواْ﴾: من قرأ ﴿كُذِبُواْ﴾ بالتخفيف جعل ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ فعلاً للمرسل إليهم[(٤٧٥)]، وفيه وجهان:

الأول: وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كُذِبوا، أي أُخلفوا ما وُعِدوا به من النصر[(٤٧٦)]، وعلى هذا الوجه يعود الضمير في قوله ﴿أَنَّهُمْ﴾ على الرسل. والثاني: أن يكون المعنى: وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كَذَبتهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، ثمّ رُدّ إلى ما لم يّسمَّ فاعله، وعلى هذا الوجه يعود الضمير في قوله ﴿أَنَّهُمْ﴾ على المرسل إليهم[(٤٧٧)]. ويجوز في هذه القراءة أن يكون الضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وفي ﴿أَنَّهُمْ﴾ للرسل، والظن بمعنى اليقين، أي فأيقن الرسل أنهم لم يصدقهم قومهم في وَعْدهم بقبول ما أتوهم به[(٤٧٨)(٤٧٩)] ومن قرأ ﴿كُذِّبُواْ﴾ بالتشديد

(٤٧٤) انظر ص١٢٧ من هذا البحث.

(٤٧٥) جاز حمل الضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ على القوم المرسل إليهم ولم يجر لهم ذكر، لأن ذكرَ الرسلِ يدلُّ على وجودِ المرسلِ إليهم. (انظر: حجة القراءات ص ٣٦٦، الكشف ج٢ص١٦).

(٤٧٦) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج٣ص١٧٩، حجة القراءات ص ٣٦٦، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢.

(٤٧٧) انظر: معاني القراءات ص٢٢٩، حجة القراءات ص ٣٦٦، ٣٦٧، الكشف ج٢ص١٥، مجمع البيان ج٥ص٤١٨، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢، إبراز المعاني من حرز الأماني ص٥٣٨.

(٤٧٨) انظر: الكشف ج٢ص١٦.

(٤٧٩) روي عن ابن عباس معنىً آخر غير ما ذكر فعنه أنه قال ـ عن الرسل ـ : «كانوا بشراً ضعفوا ويئسوا» (تفسير الطبري ج١٣ص٨٦) والمعنى: وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر، والظن بمعنى الشك في هذا القول. ولم يقبل ابن جرير رحمه الله هذا القول ورده وأباه حيث قال: «وقول غيره من أهل التأويل أولى عندي بالصواب، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل، وقد ذُكر هذا التأويل لعائشة ﷺ فأنكرته أشدّ النكرة.(تفسير الطبري ج١٣ص٨٦ باختصار، وانظر: =

جعل ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ فعلاً للرسل، ويكون الظنّ بمعنى اليقين، والمعنى: وأيقن الرسل أنّ قومهم قد كذّبوهم فيما جاءوهم به من عند الله(٤٨٠)، وفيه وجه آخر، نُقل عن عائشة رضي الله عنها(٤٨١)، وهو أن يكون المعنى: وظنّ الرسل أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لِما لحقهم من البلاء من الكفار، والظنّ هنا بمعنى

= تفسير ابن كثير ج٢ص٧٣٤)، وجاء في صحيح البخاري: «عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ خَفِيفَةً ذَهَبَ بِهَا هُنَاكَ وَتَلَا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فَلَقِيتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ مَعَاذَ اللهِ وَاللهِ مَا وَعَدَ اللهُ رَسُولَهُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ عَلِمَ أَنَّهُ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ بِالرُّسُلِ حَتَّى خَافُوا أَنْ يَكُونَ مَنْ مَعَهُمْ يُكَذِّبُونَهُمْ فَكَانَتْ تَقْرَؤُهَا ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ﴾ مُثَقَّلَةً» .[أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾، ح(٤٥٢٤، ٤٥٢٥) ص٨٥٥]. قال ابن حجر: ولا يظن بابن عباس أنه يُجوِّز على الرسول ﷺ أنّ نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده، بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله كانوا بشراً إلى آخر كلامه، من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل» (فتح الباري ج٨ص٣٦٩) قلت: وقد أورد الطبري رواية لابن عباس نصها: «... عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ خفيفةً، قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظنّ القوم أنّ الرسل قد كَذَبُوهم» (تفسير الطبري ج١٣ص٨٤ وانظر: الدر المنثور ج٤ص٥٩٦)، قال ابن حجر «وإسناده حسن فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك، وهو أعلم بمراد نفسه عن غيره» (فتح الباري ج٨ص٣٦٩).

(٤٨٠) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج٣ص١٧٩، معاني القراءات ص٢٢٩، حجة القراءات ص٣٦٧، الكشف ج٢ص١٦، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢، زاد المسير ج٤ص٢٢١.

(٤٨١) «عن عُرْوَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَرَأَيْتِ قَوْلَهُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾، أَوْ ﴿كُذِّبُواْ﴾ قَالَتْ بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ فَقُلْتُ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ فَقَالَتْ يَا عُرَيَّةُ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ قُلْتُ فَلَعَلَّهَا أَوْ ﴿كُذِبُواْ﴾ قَالَتْ مَعَاذَ اللهِ لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا وَأَمَّا هَذِهِ الآيَةُ قَالَتْ هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَتْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ» أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ ح(٣٣٨٩) ص٦٤٩.

الشكّ[٤٨٢].

مما سبق يتبين أنّ اختلاف القراءة أدى إلى إفادة معانٍ عدة. فقد دلت القراءة ﴿كُذِبُواْ﴾ بالتخفيف أنّ نصر الله آتٍ لا محالة وإن أخره الله ﷻ إلى أجل، وأنّ من علامات اقتراب الفرج أن تشتد الأزمة حتى يستيئس الرسل من إيمان قومهم، ويظنّ المرسل إليهم ـ لطول إمهالهم ـ أنّ الرسل قد كَذَبتهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، وتشتد الأزمة أكثر فأكثر، حتى يظن أتباع الرسل أنّ الرسل قد أُخلفوا ما وُعِدوا به من النصر، ويوقن الرسل أنهم لم يصدقهم قومهم في وَعْدهم بقبول ما أتوهم به. وهذه المعاني تدفع الأنبياء ومن بعدهم كلّ مَنْ حَمل راية الدعوة إلى الله ﷻ على الصبر، ومواصلة الدعوة مهما واجهوا من التحديات، كما تحمل تهديداً للمكذبين والذين يقفون حجر عثرة في سبيل الدعوة، وتقول لهم لا تغتروا بإمهال الله ﷻ لكم، ففي تلك اللحظة التي توقنون أنّ الرسل ـ ومن بعدهم الدعاة إلى الله ـ قد كُذِبُوا، وتشعرون بالنصر في أنفسكم، ستكون تلك نهايتكم، وسيأتي نصر الله تعالى لرسله وللمؤمنين. أمّا القراءة ﴿كُذِّبُواْ﴾ بالتشديد فإنها تحمل البلسم الشافي للرسل، حيث تبشرهم أنه في حال اشتداد الأزمة وحين يوقنون بلا أدنى شكّ أنّ قومهم قد كذّبوهم فيما جاءوهم به من عند الله، وتشتد الأزمة عليهم حتى يظنّوا أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لِما لحقهم من البلاء من الكفار، يبزغ الفجر وتنفرج الكربة ويأتي النصر المبين. وهذا للرسل في زمن الرسالة وللدعاة إلى الله من بعدهم حتى قيام الساعة.

«ولا شكّ أنّ هذه المعاني جميعاً تزيد من عقيدة المؤمن بقرب نصر الله ﷻ كلما ازداد البلاء واشتدت المحن، وهي كما ترى لا تتعارض في الفهم بل تتآزر، وتتكامل»[٤٨٣].

(٤٨٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٨٧، حجة القراءات ص ٣٦٦، الملخص في إعراب القرآن ص ٧٢، تفسير السمرقندي ج٢ص١٨٠.

(٤٨٣) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ص١٩١.

٣ - ﴿فَنُجِّيَ﴾، ﴿فَنُنْجِي﴾: من قرأ ﴿فَنُجِّيَ﴾: جعل الفعل ماضياً من (نجّى) وبناه على ما لم يسم فاعله، ويكون (من) رفعاً نائب فاعل ويعلم بالمعنى أنّ الله نجاهم، وحجته أنّ القصة قد مضت فطابق بين اللفظ والمعنى، فجاء الفعل ﴿فَنُجِّيَ﴾ على لفظ الماضي ويقوي هذا أنّه مكتوب في المصحف بنون واحدة، وأنّه قد عطف عليه فعل لم يسمّ فاعله وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾. ومن قرأ ﴿فَنُنْجِي﴾: بنونين جعل الفعل حكاية عن حال يكون فيما بعد، وجعله من (أنجى)، وبناه على الإخبار من الله تعالى عن نفسه، والنون الأولى نون الاستقبال، والثانية هي الأصلية إلا أنها خفيت للغنة، فحذفت خطاً، وتكون (من) نصباً مفعولاً به والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى، وأسكن الياء في الفعل علَماً للرفع(٤٨٤).

قال ابن زنجلة: «وقوله ﴿فننجي من نشاء﴾ حكاية حال الأمر من القصة فيما مضى. كما أن قوله ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية لأنه حكى الحال»(٤٨٥).

وعليه فإنّ القراءة ﴿فَنُجِّيَ﴾ بمعنى الماضي على ما لم يسمّ فاعله، أي فنجّيَ من نشاء في القرون الماضية، واستخدام الفعل (نجّى) بصيغة (فعّل) التي تفيد التكثير والمبالغة(٤٨٦)، ومن ثمّ تقتضي التلبث والمكث(٤٨٧)، يفيد أنّ النجاء المتحقق أبلغ وأدوم، وقد ناسبت هذه الصيغة بدلالاتها ومقتضياتها الحديث عن الماضي، فمن تحقق له النجاء ترنو نفسه إلى تحققه بشكل أبلغ، وإلى دوامه. أمّا القراءة الثانية ﴿فَنُنْجِي﴾ فهي بمعنى المستقبل، أي

---

(٤٨٤) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٩، حجة القراءات ص٣٦٧، الكشف ج٢ص١٧، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢، مفاتيح الأغاني ص٢٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٢.

(٤٨٥) حجة القراءات ص٣٦٨.

(٤٨٦) انظر: بصائر ذوي التمييز ج١ص٢١٢، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٢.

(٤٨٧) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٢، ٦٣.

فننجي من نشاء في المستقبل، واستخدام الفعل (أنجى) في هذه القراءة بصيغة (أفعل) فيه إشارة لطيفة إلى سرعة تحقق النجاء(٤٨٨) وهو ما تصبو إليه النفس في خضم الخطوب. وبناء القراءة الأولى لما لم يسم فاعله لأنّ النجاء قد تحقق فلا يسأل السائل عن الفاعل ـ وإن كان معلوماً بالمعنى أنّ الله نجاهم ـ، أمّا القراءة الثانية فبنيت على الفاعل ـ وهو ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى ـ وذلك أنّ الحال هو الحديث عن فترة عصيبة يعيشها القوم والوعد بالنجاء لن يكون مؤثراً إلاّ إذا عُلم الفاعل، وبالطبع سيكون القول أوقع في النفس إذا أُخبر السامع أنّ النجاء سيكون من الله ﷻ، وزاد في وقعه أنه وعد من الله تعالى بنفسه، حيث عبّر بنون المضارعة التي دلت على ضمير الجمع الذي يفيد العظمة. وهذه القراءة إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية، فهي ترسم للسامع صورة القصة، فيراها ماثلة أمامه، وهذا من أفانين الكلام.

والقراءتان معاً تؤكدان حدوث النجاء للمؤمنين بشكل بليغ ودائم، وعلى سرعة تحقق ذلك النجاء عند إرادة الله تعالى لذلك، كما أنّ هناك فائدة بلاغية في تنوع الأسلوب، بين الإخبار عن القصة تارة بصيغة الماضي، وتارة بصيغة الحاضر والتي تجسد القصة فيراها السامع ماثلة أمامه، ويعيش فصولها وأحداثها. والله تعالى أعلم.

---

(٤٨٨) الفعل (نجّى) على وزن (فعّل)، يفيد التكثير والمبالغة، ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث، استغراق وقت أطول، وأنه يفيد تلبثاً ومكثاً (انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٢) قلت: وفي المقابل سيستغرق الفعل (أنجى) الذي لا يقتضي التكثير وقتاً أقل، فهو يوحي بسرعة تحقق النجاء، مقارنة بالفعل (نجّى).

الفصـل الثاني
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خـلال سورتي الرعد وإبراهيم عليه السلام

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة الرعد.

المبحث الثاني: سورة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الأول
سورة الرعد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الرعد.

المطلب الثاني: تفسير سورة الرعد بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الرعد.

اسمها:

تسمى هذه السورة: سورة الرعد، ولا يعرف لها اسم غير هذا.

قال ابن عاشور: «سورة الرعد، هكذا سُمّيت من عهد السلف. وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي ﷺ إذ لم يختلفوا في اسمها. وإنّما سميت بإضافتها إلى الرعد، لورود ذكر الرعد فيها بقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد: ١٣]»(٤٨٩).

نزولها:

اختلف في نزول سورة الرعد، فقيل نزلت في مكة، وقيل نزلت في

(٤٨٩) التحرير والتنوير ج١٣ص٧٥.

المدينة. قال السيوطي: «والذي يُجمع به بين الاختلاف أنّها مكية إلاّ آيات منها»[٤٩٠] «يعني قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] إلى قوله ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]»[٤٩١].

عدد آياتها:

عدد آياتها ثلاث وأربعون آية في العدّ الكوفي، وأربع وأربعون في العدّ المكي والمدني، وخمس وأربعون في العدّ البصري، وسبع وأربعون في العدّ الشامي[٤٩٢].

وجه اتصالها بما قبلها (سورة يوسف):

هناك تناسب بين سورة الرعد وسورة يوسف عليه السلام، فقد تناولت كلتا السورتين الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف نجّى الله تعالى المؤمنين وأهلك الكافرين، وكلٌ من السورتين جاءت لإثبات توحيد الله تعالى، ففي سورة يوسف عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وفي سورة الرعد: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، وفيهما من الأدلة على وجود الخالق الحكيم، وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته الشيء الكثير. وزيادة على ما تقدم فإنّ الله سبحانه قال في آخر سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥]، فذكر الآيات الكونية مجملة، ثمّ فصّل في مطلع سورة الرعد. كما أنّ سورة يوسف عليه السلام قد خُتمت بوصف القرآن ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

(٤٩٠) الإتقان ج١ص١٦، وانظر: روح المعاني ج١٣ص٨٤.

(٤٩١) التحرير والتنوير ج١٣ص٧٨.

(٤٩٢) فنون الأفنان ص ٥٢، روح المعاني ج١٣ص٨٤ بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص٩٩.

﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وبدئت سورة الرعد بقوله سبحانه: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] وهو من تشابه الأطراف(٤٩٣).

ما اشتملت عليه السورة:

تتناول سورة الرعد موضوع العقيدة وقضاياها: توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، قضية البعث والجزاء، والردّ على شبهات المشركين. وأهم ما اشتملت عليه(٤٩٤):

١ ـ إقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته، من خلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، ... إلخ، وتفرده سبحانه وتعالى بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة، والنفع والضرر.

٢ ـ تفنيد أقوال أهل الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث، وتهديدهم أن يحلّ بهم ما حلّ بأمثالهم.

٣ ـ التذكير بأنعم الله تعالى على الناس.

٤ ـ التهديد بالحوادث الكونية أن يكون منها عذاب للمكذبين كما حلّ بالأمم قبلهم.

٥ ـ التذكير بأنّ الدنيا ليست دار قرار.

٦ ـ بيان أن الله تعالى بعث النبي محمداً ﷺ منذراً، ولكل قوم هاد، وكان إرساله ﷺ في أمّة قد خلت من قبلها أمم ليتلو عليهم ما أوحيَ إليه ولقد كفروا بالقرآن وبالرحمن.

٧ ـ الثناء على فريق من أهل الكتاب يؤمنون بأنّ القرآن منزل من عند

---

(٤٩٣) انظر: تناسق الدرر ص٩٥، روح المعاني ج١٣ص٨٤، التفسير المنير ج١٣ص٩٦، ٩٧.

(٤٩٤) انظر: التحرير والتنوير ج١٣ص٧٧، ٧٨، التفسير المنير ج١٣ص٩٦، موسوعة القرآن العظيم ج١ص٥٦٧، ٥٦٨.

الله تعالى والإشارة إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات.

المطلب الثاني: تفسير سورة الرعد بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة وحمزة والكسائي، ويعقوب وخلف ﴿يُغَشِّي﴾ بفتح الغين وتشديد الشين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُغْشِي﴾ بإسكان الغين وتخفيف الشين[٤٩٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

«﴿غَشَّىٰ﴾: غَشِيه غِشَاوةً وغِشاءً أتاه إتيان ما قد غَشِيهُ أي سَتَره و(الغِشَاوَةُ) ما يغطى به الشيء»[٤٩٦].

التفسير:

يقول الله تعالى: والله ﷻ الذي خلق الأرض ووسعها للعباد وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، وجعل فيها جبالاً عظاماً لئلا تميد بالخلق، وجعل فيها أنهاراً تسقي الأنام وبهائمهم وحروثهم، فأخرج بها من الأشجار والزروع والثمار خيراً كثيراً وجعل من كل الثمرات صنفين اثنين، يلبس الليل بالنهار فتظلم الآفاق، إنّ في عجائب صنع الله تعالى لَدلالات وعلامات باهرة على قدرته ووحدانيته لمن تأمل وتفكر[٤٩٧].

(٤٩٥) انظر النشر ج٢ ص٢٦٩، البدور الزاهرة ص١٦٨.
(٤٩٦) المفردات في غريب القرآن ص ٣٦١، وانظر: القاموس المحيط ص ١٦٩٩.
(٤٩٧) انظر: تفسير السعدي ص ٤٣٧، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٧٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن زنجلة: «الحجة لمن شدد، تكرير الفعل، ومداومته ودليله قوله ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: ٥٤]، والحجة لمن خفف أنه أخذه من أغشى يُغشى، ودليله قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ومعناهما واحد مثل أنزل ونَزَّل. غير أن التشديد أبلغ»[٤٩٨].

وقال مكي: «وهما لغتان أغشى وغشي ... وفي التشديد معنى التكرير والتكثير»[٤٩٩].

قلت: التشديد يحمل معنى التكرير والتكثير، وذلك يستدعي وقتاً أطول، وترك التشديد فيه إشارة إلى سرعة حدوث الفعل[٥٠٠]، وعليه فإن القراءة بالتشديد تفيد التكرير والتكثير والقراءة بترك التشديد تفيد السرعة في الحدوث. والله تعالى أعلى وأعلم.

٢ ـ ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾. [الرعد: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ﴾ برفع عين ﴿وَزَرْعٌ﴾ ولام ﴿وَنَخِيلٌ﴾ ونون ﴿صِنْوَانٌ﴾ وراء ﴿وغيرُ﴾.

٢. ـ قرأ الباقون ﴿وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ﴾ بخفض عين ﴿وزرعٍ﴾ ولام ﴿ونخيلٍ﴾ ونون ﴿صنوانٍ﴾ وراء ﴿غيرِ﴾[٥٠١].

٣ ـ قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب ﴿يُسْقَىٰ﴾ بالياء التحتية.

(٤٩٨) الحجة في القراءات السبع ص ١٥٦، حجة القراءات ص ٣٦٨.
(٤٩٩) الكشف ج ١ ص ٤٦٤، ٤٦٥، وانظر: شذا العرف في فن الصرف ص٢٩.
(٥٠٠) انظر ص٢٥ من هذا البحث.
(٥٠١) انظر: النشر ج ٢ص ٢٩٧، البدور الزاهرة ص١٦٨.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿تُسْقَىٰ﴾ بالتاء الفوقية[٥٠٢].

٥ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالياء التحتية.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون[٥٠٣].

٧ ـ قرأ نافع وابن كثير ﴿فِي الأكْلِ﴾ بإسكان الكاف.

٨ ـ قرأ الباقون ﴿فِي ٱلْأُكُلِ﴾ بضم الكاف[٥٠٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿وَزَرْعٌ﴾: (زَرَعَ): طَرَحَ البذرَ، والزرعُ: الإنبات، وحقيقة ذلك تكون بالأمور الإلهية دون البشرية. والزَّرْع في الأصل مصدر وعُبِّرَ بِهِ عن المزروع[٥٠٥].

٢ ـ ﴿وَنَخِيلٌ﴾: «النخل معروف، وقد يستعمل في الواحد والجمع قال تعالى ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ [ق: ١٠]، وجمعه نَخيل. والنَّخل: نَخْل الدقيق بالمنخل وانْتَخَلْت الشيء انتقيته فأخذت خِيَارَه»[٥٠٦].

٣ ـ ﴿صِنْوَانٌ﴾: «الصِّنْوُ: الغُصْنُ الخارجُ عَنْ أَصْلِ الشجرةِ، يُقالُ هما صِنوا نخلةٍ وفلان صِنْوُ أبِيْه، والتَّثْنِية صِنوانِ وجَمْعُه صِنْوانٌ[٥٠٧]»[٥٠٨].

٤ ـ ﴿غَيْرُ﴾ سبق بيانه[٥٠٩].

---

(٥٠٢) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.

(٥٠٣) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.

(٥٠٤) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.

(٥٠٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢١٢، القاموس المحيط ص ٩٣٦.

(٥٠٦) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٦ ـ باختصار، وانظر القاموس المحيط ص١٣٧١.

(٥٠٧) قال البقاعي: «وهو تركيب لا فرق بين مثناه وجمعه إلا بكسر النون من غير تنوين وإعرابها مع التنوين» (نظم الدرر ج٤ ص١٢٤).

(٥٠٨) المفردات في غريب القرآن ص٢٨٧.

(٥٠٩) انظر ص٤١ من هذا البحث.

٥ ـ ﴿يُسْقَىٰ﴾: «سقى: السَّقْيُ والسُّقْيَا أن يعطيَه ما يشرب»(٥١٠).

٦ ـ ﴿وَنُفَضِّلُ﴾: الفَضْلُ ضدُ النقصِ، والفضل زيادةُ أَحَدُ الشَّيْئَيْن على الآخر(٥١١).

٧ ـ ﴿ٱلْأُكُلِ﴾: «(أَكَلَ): الأَكْلُ: تَنَاوُلُ المَطْعَم، والأُكُلُ: لِمَا يُؤْكَلُ بِضَمِّ الكافِ وسكونه. قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]»(٥١٢).

التفسير:

من عجائب قدرة الله تعالى أنّ في الأرض بقاعاً مختلفة متلاصقة قريب بعضها من بعض، وفي هذه القطع المتجاورة أنواع من النبات: العنب المتسلق، وما على شاكلته، والنخل السامق بأنواعه، والزرع من بقول، وحبوب، وخضروات متشابهة، وغير متشابهة، كلها مجتمعة حدائق كالجنات. وذلك النخل منه ما ينبت من الأصل الواحد شجرتان فأكثر، ومنه ما ينبت شجرة واحدة. والجميع يسقى بماء واحد، وأرضه واحدة، ولكنَّ الثمار مختلفة الطعوم، وبعضها أفضل من بعض، وليس ذلك إلا علامات باهرة ظاهرة لمن تدبر وتفكر(٥١٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ﴾.

القراءة ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ﴾ برفع الأربعة وذلك على عطف **﴿زرعٌ ونخيلٌ﴾** على **﴿قِطَعٌ﴾**، و**﴿صِنْوَانٌ﴾** نعت لـ**﴿نخيلٌ﴾** و**﴿غيرُ﴾** عطف

(٥١٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦ وانظر: القاموس المحيط ص ١٦٧١.

(٥١١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٨١، القاموس المحيط ص١٣٤٨، لسان العرب ج٥ص٣٤٢٨.

(٥١٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠ وانظر: القاموس المحيط ص ١٢٤٢.

(٥١٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص٩٧، تفسير السعدي ص٤٣٧، صفوة التفاسير ج٢ ص٧٤، المشاهد في القرآن الكريم ص١٢٦.

على ﴿صِنۡوَانٞ﴾[٥١٤].

قال أبو علي الفارسي: «والجنّة على هذا يقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها»[٥١٥].

والقراءة ﴿وَزَرۡعٖ وَنَخِيلٖ صِنۡوَانٖ وَغَيۡرِ﴾ بالخفض في الأربعة، وذلك على عطف ﴿زرعٍ ونخيلٍ﴾ على ﴿أَعۡنَٰبٖ﴾ فهو أقرب إليه من ﴿قطعٌ﴾ و﴿صنوانٍ﴾ نعت لـ﴿نَخِيلٖ﴾، و﴿غَيۡرِ﴾ عطف على ﴿صنوانٍ﴾[٥١٦].

قال أبو علي الفارسي: «فأما من قرأ: ﴿وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٖ وَنَخِيلٖ صِنۡوَانٖ﴾ فإنه حمل الزرع والنخيل على الأعناب، كأنه: جنات من أعناب، ومن زرع ومن نخيل»[٥١٧].

فعلى القراءة بالرفع يكون المعنى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب، وفيها أيضاً زرعٌ ونخيلٌ ...)، وعلى القراءة بالخفض يكون المعنى: (وفي الأرض قطع متجاورات وفيها جنّات مشتملة على الأعناب والزرع والنخيل ...)، فرسمت لنا كل قراءة صورة مختلفة للطبيعة الخلابة، من جنات من الأعناب (منفردة)، وزروع ونخيل، ومن جنات مشتملة على الأعناب، والنخيل، والزروع. والله تعالى أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾:

القراءة ﴿يُسۡقَىٰ﴾ بياء التذكير، حملاً على معنى: يُسقى ما ذكر، والقراءة ﴿تُسۡقَىٰ﴾ بتاء التأنيث حملاً على معنى: تسقى هذه الأشياء التي

---

(٥١٤) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٤.

(٥١٥) الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧.

(٥١٦) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٤.

(٥١٧) الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧.

ذكرت، ويقوي ذلك أنّ بعده ﴿بَعْضَهَا﴾ على التأنيث ولم يقل بعضه(٥١٨).

والتذكير يحمل معانيَ عدة منها: القوة، والقلة، والتأنيث يحمل معانيَ عدة: منها الكثرة والضعف(٥١٩)، فكل ما ذُكر قلّ أم كثر، على تنوع أصنافه وأنواعه، من نخل باسق، وعنب متسلق، وزرع، يسقى بماء واحد. والله تعالى أعلم.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾:

القراءة ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بنون العظمة على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(٥٢٠)، وفي الالتفات تطرية للكلام وتفننٌ في الأسلوب(٥٢١). وقد جاء الإخبار بلفظ الجماعة؛ لما فيه من معاني التبجيل والتعظيم لله سبحانه وتعالى. قال الزجاج: «وهذا خوطب به العرب لأنهم يستعملون فيمن يُبَجِّلونه لفظ الجماعة»(٥٢٢).

والقراءة ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالياء على الإخبار من الله ﷻ بذلك على لفظ الغائب، جرياً على سياق ما قبله(٥٢٣).

فالقراءاتان جاءتا على أسلوبين من أساليب العرب: الجري على السياق، وهو الأصل، والالتفات، وفيه تطرية للكلام، كما حملت القراءة بالنون معاني التبجيل والتعظيم لله تعالى. والله أعلم.

---

(٥١٨) انظر: الكشف ج٢ ص١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٢٥٧، إتحاف فضلاء البشر ص٣٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٥.

(٥١٩) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٦.

(٥٢٠) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٥٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٥.

(٥٢١) انظر: التحبير في علم التفسير ص١٢٠.

(٥٢٢) معاني القرآن للزجاج ج٣ص١٣٨.

(٥٢٣) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٥٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٥.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْأُكُلِۚ﴾:

القراءة ﴿ٱلْأُكُلِۚ﴾ بضم الكاف على الأصل، والقراءة ﴿**الأُكْل**﴾ بإسكان الكاف على التخفيف، وهما لغتان(٥٢٤). وتنوع القراءة بين لفظ ﴿**الأكُل**﴾ بما فيه من ثقل؛ لتوالي ضمتين، ولفظ ﴿**الأُكْل**﴾ وما به من خفة، ناسب التنوع الكبير في المطعومات، واختلاف أوجه التفاضل بينها. والله أعلم.

٣ ـ ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾ [الرعد: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكسائي ويعقوب، ﴿**أئذا**﴾ بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام، ﴿إِنَّا﴾ بهمزة واحدة على الإخبار.

٢ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿إِذَا﴾ بهمزة واحدة على الإخبار، ﴿**أئنا**﴾ بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿**أئذا**﴾ بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام، ﴿**أئنا**﴾ أيضاً بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام(٥٢٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿إِذَا﴾: اسم يدل على زمان مستقبل، ولم تستعمل إلا مضافة إلى جملة، وتجيء للماضي، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا

(٥٢٤) انظر: الكشف ج١ ص ٣١٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص٢٨٠.

(٥٢٥) انظر: النشر ج١ص٣٧٣.

﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١][٥٢٦].

٢ ـ ﴿إِنَّا﴾ مركبة من كلمة (إن) المخففة من الثقيلة وضمير المتكلمين (نا).

قال الراغب: «إن على أربعة أوجه: للشرط نحو: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ [المائدة: ١١٨]، والمخففة من الثقيلة ويلزمها اللام نحو: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، والنافية نحو: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ [الجاثية: ٣٢]، والمؤكدة للنافية نحو: ما إنْ يَخْرُجُ زيدٌ»[٥٢٧].

التفسير:

وإن تعجب يا محمد ـ ﷺ ـ من شيء، فليس ما هو أعجب من قول الكفار أئذا كنّا ترابا وبلينا فعدمنا إنّا لمجدد إنشاؤنا، وإعادتنا خلقاً جديداً، كما كنّا قبل وفاتنا؟، تكذيباً منهم بقدرة الله تعالى، وجحوداً للثواب والعقاب والبعث بعد الممات، فإنَّ إنكارهم للبعث حقيق أن يُتعجب منه، فإنَّ الذي قَدَرَ على إنشاء السماوات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم[٥٢٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن جُزَيّ: «واختلف القُّراء في هذا الموضع... فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى إنّما هو عن الثاني، فإنّ همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقاً جديداً ولم ينكروا أن يكونوا تراباً، فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل، ومن قرأ بالاستفهام في الأول، فالقصد بالاستفهام الثاني ومن

(٥٢٦) انظر: القاموس المحيط ص١٧٣٧، لسان العرب ج١ص٥٠.

(٥٢٧) المفردات في غريب القرآن ص٢٧ ـ باختصار يسير.

(٥٢٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص١٠٣، ١٠٤، التسهيل ج٢ص١٣٠.

قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد»(٥٢٩).

وعليه فإن القراءة بالاستفهام في الثاني جاءت على الأصل، والقراءة بالاستفهام في الأول قد قصد بها الاستفهام في الثاني، وذلك لأن الاستفهام إذا دخل في أول الكلام أحاط بآخره، ولمّا كان أحد الاستفهامين علة للآخر كان المعنى في أحدهما دون الآخر، وكان الآخر علة له يقع لوقوعه ويرتفع بارتفاعه ويدل عليه(٥٣٠). وفي هذه القراءة لفتة بيانية جميلة تبين مدى تبجحهم وكفرهم، حيث أمعنوا في إنكارهم للبعث بإنكارهم علته، وهو موتهم وكونهم تراباً، وهذا معلوم بالمشاهدة فكيف يكون إنكارهم لما هو غائب؟.

أمّا القراءة بالاستفهام في الموضعين فتحمل معنى المبالغة والتوكيد، وزيادة التوكيد من إعادة لفظ الاستفهام. والقراءات بمجموعها تبين مدى إنكارهم للبعث، وقد جاء التعبير مرة على الأصل ومرة بالتوكيد اللفظي الظاهر ومرة بالتوكيد المعنوي الذي يفهم من السياق. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف ﴿**يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ**﴾ بالياء التحتية.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ بالتاء الفوقية(٥٣١).

---

(٥٢٩) التسهيل ج٢ص١٣٠، ١٣١ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: حجة القراءات ص٣٧١، الكشف ج٢ص٢٠، ٢١.

(٥٣٠) انظر: حجة القراءات ص٣٧١.

(٥٣١) انظر: النشر ج٢ص٢٩٧، البدور الزاهرة ص١٦٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿تَسْتَوِي﴾: «اسْتَوَيَا وتَسَاوَيَا: تَمَاثَلا، وسَوَّيْتُه به تَسْوِيَة، وسَوَّيْتُ بينهما وسَاوَيْتُ وأَسْوَيْتُ بِه. وهُمَا سَوَاءَان وسِيَّان: مِثلان»(٥٣٢).

التفسير:

يقول الله تعالى: قل يا محمد - ﷺ - لهؤلاء المشركين: مَنْ ربّ السماوات والأرض ومدبرهما؟، ولمَّا كانوا يُقِرُّون بأنَّ الله خلقهما، وهو ربهما، ورب كل شيء، ولا سبيل لإنكار ذلك أبداً، أُمِر محمد ﷺ أن يُجيب ويَقول: الله. ثمَّ يَأْمُر الله تعالى نبيه أن يَسأل هؤلاء المشركين: وإذا كان الأمر كذلك وأنتم تُقِرُّون بأنَّه الخالق والرَّب للسماء والأرض، فما بالكم اتخذتم من دونه أولياء عاجزين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً؟.

ثم يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد - ﷺ - لهؤلاء المشركين: هل يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً بالبصير؟، فكما لا يستويان، كذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعرف الحق، بالمؤمن الذي يبصر الحق فيتبعه، ويعرف الهدى فيسلكه. وقل لهم يا محمد - ﷺ - : هل تستوي الظلمات التي لا يُرى فيها السبيل، بالنور الذي تُبْصَرُ به الأشياء ويجلو ضوءه الظلام؟، فكما لا يستويان كذلك الكفر والإيمان لا يستويان(٥٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالياء على التذكير، لأن تأنيث ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ غير حقيقي(٥٣٤)، ولأنّ الجمع بالتاء والألف يراد به القلة، والعرب تُذَكِّر الجمع إذا قلَّ عدده، كما يجوز أن يذهب بـ ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ إلى معنى المصدر فيُذَكِّر الفعل حملاً

(٥٣٢) القاموس المحيط: ص١٦٧٣، وانظر: لسان العرب ج ٣ ص ٢١٦١.

(٥٣٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٣٢، ١٣٣، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٤٩، التفسير الواضح ج١٣ص٣٨، ٣٩.

(٥٣٤) البُلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص٦٦.

على معنى الإظلام والظلام. والقراءة بالتاء على التأنيث على ظاهر تأنيث لفظ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فذهبوا إلى اللفظ لا إلى المعنى(٥٣٥).

والتأنيث في اللغة يحمل معنى الضَّعف والكثرة، والتذكير يحمل معنى القلة والقوة(٥٣٦).

وعليه فإن القراءتين معاً تفيدان أنَّ الضلال وإن كَثرت سبله فهي قليلة عند مواجهة الحق لزيفها، ومهما قوي فهو ضعيف زائل. والله أعلم.

٥ ـ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياء التحتية.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُوقِدُونَ﴾ بالتاء الفوقية(٥٣٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «(وَقَدَ): يُقَال وَقَدَتِ النَّارُ تَقِدُ وُقُوداً وَوَقْداً، والوَقُودُ يُقالُ للحطب المحمول لِلْوُقود ولِمَا حَصَلَ من اللهب، واسْتَوْقَدْتُ النارَ إذا تَرَشَّحْتُ لإيقادها وأوْقَدْتُها، قال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾»(٥٣٨).

---

(٥٣٥) انظر: حجة القراءات ص ٣٧٣، الكشف ج٢ ص١٩، ٢٠، إبراز المعاني ص٥٤٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٥٣٦) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٦.

(٥٣٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٦٩.

(٥٣٨) المفردات في غريب القران ص٥٢٩ وانظر: القاموس المحيط ص٤١٧، لسان العرب ج٦ص٤٨٨٨.

التفسير:

يضرب الله ﷻ في هذه الآية مثلاً للحق والباطل والإيمان والكفر حيث يقول تعالى: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثلُ ماءٍ أنزله الله ﷻ من السماء إلى الأرض فاحتملته الأودية، الكبير بكبره والصغير بصغره. فاحتمل السيلُ الذي حدث من هذا الماء زبداً عالياً فوق السيل وهذا الزبد نافش منتفخ، ولكنّه بَعْدُ غثاءً يتلاشى، لا منفعة فيه ولا نقاء، يقذفه الماء ويرمي به على جانبي الوادي، والماء من تحته سارب ساكن هادئ ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة، وهذا المثل كذلك يقع في المعادن، التي يوقد عليها الناس في النَّار طَلب حلية يتخذونها كالذهب والفضة، أو متاع كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفو ولكنه بَعْدُ خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء، ذلك مثل الحق والباطل، فالباطل يطفو ويعلو ويبدو رابياً منتفخاً ولا يلبث أن يذهب جفاءً مطروحاً لا حقيقة له ولا ثبات، والحق هادئٌ ساكنٌ ولكنه باق في الأرض كالماء الذي يحمل الحياة والخير والمعدن الصريح النقي. ومِثْلَ هذا المثل للإيمان والكفر يضرب الله تعالى الأمثال للناس ليتعظوا ويعتبروا(٥٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياء التحتية على الغيبة والقراءة ﴿تُوقِدُونَ﴾ بالتاء الفوقية على الخطاب(٥٤٠).

قال مكي: «قوله ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء، ردوه على ذكر الناس بعده، ولِمَا قبله من لفظ الغَيبة، في قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ [الرعد:

(٥٣٩) انظر: تفسير الصنعاني ج٢ص٣٣٥، تفسير الطبري ج١٣ص١٣٤، في ظلال القرآن ج٥ص٨٤، ٨٥، صفوه التفاسير ج٢ص٧٩، ٨٠.

(٥٤٠) انظر: حجة القراءات ص٣٧٣، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٧.

١٤]، فردوه في الغيبة على ما قبله وما بعده، وقرأ الباقون بالتاء، جعلوه على الخطاب الذي قبله، وهو قوله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ [الرعد: ١٦]»(٥٤١).

وهذا من أفانين الكلام وبلاغته حيث رُدَّ اللفظُ على اللفظِ القريبِ قبله وبعده في قراءة ﴿يُوقِدُونَ﴾ ـ وردُّ اللفظ على اللفظ حسن(٥٤٢) ـ، وردُّ على اللفظ البعيد في قراءة ﴿تُوقِدُونَ﴾، فنوّع الكلامُ بين الغيبة والخطاب. وفائدة اختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية. والله تعالى أعلم.

٦ ـ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ﴿وَصَدُّوا۟﴾ بفتح الصاد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَصُدُّوا۟﴾ بضم الصاد(٥٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

«صَدَّ عنه صُدوداً: أعْرَضَ، وصَدّ فلاناً عن كذا صَدّاً: مَنَعَهُ، وصَرَفَهُ»(٥٤٤).

قال الراغب: «(صَدَدَ): الصُدُودُ والصَّدُّ قد يَكُونُ انصرافاً عنِ الشيءِ وامتناعاً نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] وقد يكون صَرفاً ومنعاً نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]، والصَّدُ

(٥٤١) الكشف ج٢ص٢٢.
(٥٤٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٨٣.
(٥٤٣) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.
(٥٤٤) القاموس المحيط ص٣٧٣، وانظر لسان العرب ج٤ص٢٤٠٩.

من الجَبَلِ ما يَحُول، والصَّديد ما حال بين اللحم والجلد من القَيح»(٥٤٥).

التفسير:

أَمَّن هُوَ ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ أي: متوليها ومدبرها في جميع شئونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة؟، والمشركون لا ينازعون في انفراد الله ﷻ بهذا القيام ولكنهم لا يراعون ذلك في عبادتهم غيره، هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة، سمُّوهم لنا وصِفوهم؟ أم تخبرون الله تعالى بشركاء لا يعلمهم؟ وهذا دليل على عدم وجودهم فلو كان لهم وجود لعلمهم الله لأنه لا تخفى عليه خافية، أم تسمونهم شركاء بظن فاسد لا حقيقة له، بل زَيَّن الشيطان لهؤلاء المشركين ذلك الكفر والضلال، وَمُنعوا من طريق الهدى، ومن يُضلل الله فما له من أحد يهديه(٥٤٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطبري: «قال تعالى: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ بضم الصاد بمعنى: وَصَدَّهم الله عن سبيله لكفرهم به، ثم جعلت الصاد مضمومة، إذ لم يُسَمَّ فاعله. والقراءة ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ بفتح الصاد على معنى أن المشركين هم الذين صَدُّوا الناسَ عن سبيل الله»(٥٤٧).

قال الأزهري: «من قرأ ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ فله وجهان: صَدُّوا بأنفسهم أي أعرضوا، ومضارعه (يَصِدّون) بالكسر، والوجه الثاني أنهم صَدُّوا غيرَهم عن السبيل فأَضَلُّوهم، ومستقبله (يَصُدُّون). وهذا مُتَعَدٍّ والأول

---

(٥٤٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٥، ٢٧٦ ـ باختصار، وانظر: لسان العرب ج٤ص٢٤٠٩، ٢٤١٠.

(٥٤٦) انظر تفسير الطبري ج١٣ص١٥٨، ١٥٩، تفسير ابن كثير ج٢ ص ٧٦٢ التحرير والتنوير ج١٣ص١٥١، ١٥٢، التفسير الواضح ج١٣ص٥١، صفوة التفاسير ج٢ ص٨٤.

(٥٤٧) تفسير الطبري ج١٣ص١٦١ ـ بتصرف يسير، وانظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠١، حجة القراءات ص٣٧٣، مفاتيح الأغاني ص٢٢٩.

لازم. ومن قرأ ﴿وَصُدُّوا﴾ فمعناه أُضِلُّوا»(٥٤٨).

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: هؤلاء المشركون بالله قد صدهم الله ﷻ عن سبيله لكفرهم، ومن أضله الله عن إصابة الحقّ والهدى فما له من أحد يهديه لإصابتهما. وهؤلاء المشركون قد أعرضوا عن سبيل الحقّ، وصَدُّوا غيرهم عن الهدى والإيمان. فقد ضلُّوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم. والله تعالى أعلم.

٧ ـ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب ﴿وَيُثْبِتُ﴾ بإسكان الثاء وتخفيف الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ بفتح الثاء وتشديد الباء(٥٤٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(ثَبَتَ): الثَّبَاتُ ضِدُّ الزوالِ، يُقَالُ: ثَبَتَ يَثْبُتُ ثَبَاتاً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ورَجُلٌ ثَبْتٌ وثَبِيت في الحرب، والاثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل فيقال لِمَا يَخْرُج من العَدم إلى الوجود نَحْوَ: أَثْبَتَ الله كذا، وتارة لما يَثْبُتُ بالحُكْم فيُقَالُ: أَثْبَتَ الحاكمُ على فلانٍ كَذا وثَبَّتَه، وتارةً لِمَا يكونُ بالقَوْلِ سواءٌ أكَان ذلك صِدْقاً أم كَذِباً فيقال: أثبت التوحيد وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلاها آخر»(٥٥٠).

---

(٥٤٨) معاني القراءات ص٢٣٢. وانظر: إتحاف فضلاء البشر ص٣٣٩، ٣٤٠.

(٥٤٩) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٥٥٠) المفردات في غريب القرآن ص٧٨ ـ باختصار، وانظر القاموس المحيط ص١٩٠، لسان العرب ج١ص٤٦٧.

التفسير:

يبدل الله ﷻ ما يشاء من الشرائع والأحكام، وصحف الملائكة، وأمور العباد، ويثبت منها ما يشاء دون تغيير، وعنده أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ(٥٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن خفف أنه جعله من أَثْبَتَ يُثْبِتُ فهو مُثْبِت إذا كتب فالمعنى: ويكتب ما يشاء(٥٥٢) أو على معنى: ويُقِرُّ ما يَشَاء مَكْتُوباً فلا يَمْحُوه(٥٥٣).

والحجة لمن شدّد أنه جعله من ثَبَّتَ يُثَبِّتُ، بمعنى: يُقِرُّ الله تعالى ما كتبه ويبقيه ثابتاً فلا يمحوه(٥٥٤). وقال مكي: «القراءتان لغتان، كما أن (ثبت وأثبت) لغتان بمعنى، لكن في التشديد معنى التأكيد والتكرير»(٥٥٥).

وعليه فإن قراءة التخفيف تحتمل معنى: ويكتب أو ويُقِرُّ ما كتب، وقراءة التشديد على معنى: ويُقِرُّ، وتحمل معنى التأكيد والتكرير. وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: يمحو الله ما يشاء ويبقى ما يشاء فيُقِرُّه ولا يمحوه، ويكتب ما يشاء، وذلك الفعل من الله مؤكد متكرر، فهو على كل شيء قدير وبيده مقاليد كل شيء. والله تعالى أعلم.

٨ ـ ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

---

(٥٥١) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٦٥، ١٦٧ ـ ١٧٠، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٦٦، ٧٦٧، تفسير القرطبي ج٩ ص٣٢٩، صفوة التفاسير ج٢ص٨٧، التفسير المنير ج١٣ص١٨٥.

(٥٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٢، حجة القراءات ص٣٧٤، الكشف ج٢ص٢٣.

(٥٥٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٢، الكشف ج٢ص٢٣.

(٥٥٤) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٢ حجة القراءات ص٣٧٤ تفسير الطبري ج١٣ص١٧٢، الكشف ج٢ص٢٣.

(٥٥٥) الكشف ج٢ص٢٣.

وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرا نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ﴿ٱلۡكَافِرُ﴾ بفتح الكاف وألف بعدها وكسر الفاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلۡكُفَّٰرِ﴾ بضم الكاف وفتح الفاء وتشديدها وألف بعدها على الجمع(٥٥٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

(كَفر): الكُفرُ: نَقِيْضُ الإيمان، والكُفْرُ: سَتْرُ الشيء، وكُفْرُ النِّعمة وكُفْرانُها: سَتْرُها بتَرْكِ أَدَاءِ شُكْرِها، والكَافِر على الإطْلاقِ مُتعارَف فيمَن يَجْحَدُ الوَحدانية أوِ النبوةَ أوِ الشريعةَ، والجَمْعُ كُفَّار(٥٥٧).

التفسير:

يقول تعالى: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت بأنبياء الله تعالى ورسله، واستنفذوا جهدهم وطاقاتهم في الصدِّ عن سبيل الله، فمكر الله تعالى بهم، فلم يَضُرُّوا بمكرهم إلا مَن شاء الله أن يضره ذلك، وإنّما ضَّروا أنفسهم لأنهم أسخطوا الله تعالى فاستحقوا الهلاك، ونَجَّى الله تعالى رسله. فكذلك المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد ﷺ والله مُنَجِّيك من مكرهم، ومُلْحِق ضُرَّ مَكْرِهم بهم. فإنَّ الله تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر وسَيَجْزي كل عامل بعمله، وسيَعلم الكفَّار ـ إذا قدموا إلى ربهم يوم القيامة ـ لمن تكون العاقبة حين يَدْخُلون النّارَ ويَدْخُل المؤمنون الجنةَ(٥٥٨).

(٥٥٦) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٥٥٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٣٣ ـ ٤٣٥، القاموس المحيط ص٦٠٥، لسان العرب ج٥ص٣٨٩٧.

(٥٥٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٦٩، التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٤، التفسير الواضح ج١٣ص٥٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، أي سيعلم كل من كفر من الناس. وقراءة ﴿ٱلْكُفَّارِ﴾ على الجمع(٥٥٩).

قال ابن عاشور: «والمفرد والجمع سواء في المُعَرف بلام الجنس»(٥٦٠).

وقال مكي: «والقراءتان ترجع إلى معنًى واحد لأنّ الجمع يدل بلفظه على الكثرة، والواحد الذي للجنس يدل بلفظه على الكثرة فهما سواء»(٥٦١).

قلت: إيراد القراءة مرة بالإفراد على إرادة الجنس مستغرقاً كل من كفر من الناس، ومرة بالجمع، فيه مزيد تهديد ووعيد للكافرين لِما يحمله إيراد البَيان بأكثر من صورة من تأكيد لحصول المخبر عنه. والله تعالى أعلم.

(٥٥٩) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٥، حجة القراءات ص٣٧٣، ٣٧٤، الكشف ج٢ص٢٤، التسهيل ج٢ص١٣٧.

(٥٦٠) التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٤.

(٥٦١) الكشف ج٢ص١٧٤.

المبحث الثاني
سورة إبراهيم عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة إبراهيم عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة إبراهيم عليه السلام.

اسمها:

تسمى هذه السورة: سورة إبراهيم عليه السلام. قال ابن عاشور: «أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم عليه السلام فكان ذلك اسماً لها لا يعرف لها غيره ...، ووجه تسميتها بهذا وإن كان ذكر إبراهيم عليه السلام جرى في كثير من السور؛ أنها من السور ذوات ﴿الٓر﴾، وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء - عليهم السلام - التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة الحجر»(٥٦٢).

نزولها:

هي مكية كلها عند الجمهور، وقيل مكية إلاّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا

(٥٦٢) التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٧ - باختصار.

﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ ـ ٣٠]. والصحيح أنها مكية، وقد نزلت بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء(٥٦٣).

عدد آياتها:

عدد آياتها أربعٌ وخمسون في عدّ المدنِيَّيْن والمكي وأهل حمص، وخمسٌ وخمسون في عدّ أهل الشام، وإحدى وخمسون في عدّ أهل البصرة، واثنتان وخمسون في عدّ أهل الكوفة(٥٦٤).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة الرعد):

تعتبر سورة إبراهيم عليه السلام امتداداً لما ذُكر في سورة الرعد، وتوضيحاً لما أُجمل فيها، فكل منهما تحدثت عن القرآن، وكل منهما ذُكر فيها تفويض إنزال الآيات الكونية إلى الله تعالى، كما ذُكر في كلتيهما الآيات الكونية من رفع السماء بغير عمد، ومدّ الأرض، وغيرها، كما تعرضت السورتان لإثبات البعث، وضرب الأمثال للحق والباطل، والحديث عن مكر الكفار وكيدهم وعاقبته، والأمر بالتوكل على الله تعالى، وأيضاً ففي سورة الرعد: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد: ٣٢]، وذلك مجمل في أربعة مواضع: الرسل، والمستهزئين، وصفة الاستهزاء، والأخذ، وقد فُصلت الأربعة في سورة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] إلى الآية ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ

(٥٦٣) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء ص٢٠٥، الإتقان ج١ص٢٠، روح المعاني ج١٢ص١٧٩، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٧، إتقان البرهان ج١ص٣٨٥.

(٥٦٤) انظر: فنون الأفنان ص٥٣، روح المعاني ج١٣ص١٧٩، التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٧.

عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ [إبراهيم: ١٧][٥٦٥].

ما اشتملت عليه السورة:

مما اشتملت عليه السورة ما يلي[٥٦٦]:

١ ـ التنبيه إلى إعجاز القرآن الكريم وإلى عظيم شأنه، وأنه أنزل لإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهدى والإيمان، والامتنان عليهم بأن جعله بلسان العرب، وتمجيد الله تعالى الذي أنزله.

٢ ـ إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله والرسل والبعث والجزاء، وبيان اتحاد مهمة الرسل ودعوتهم في أصول الاعتقاد والفضائل.

٣ ـ ذمّ الكافرين وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطيبة بالجنّات.

٤ ـ تنبيه المعاندين بأنّ محمداً ﷺ ما كان بدعاً من الرسل، وكونه بشراً لا ينافي رسالته.

٥ ـ بيان كيد الشيطان، وكيف يتبرأ من أوليائه يوم القيامة.

٦ ـ وصف حال المؤمنين وحال الكافرين.

٧ ـ بيان فضل كلمة الإسلام، وخُبث كلمة الكفر.

٨ ـ تعداد بعض أنعم الله تعالى على الناس تفصيلاً ثم جمعها إجمالاً.

٩ ـ ذكر طرف من قصة موسى عليه السلام، وقصة إبراهيم عليه السلام.

١٠ ـ التحذير من كفران النعمة وإنذار الكافرين بأن يحلّ بهم ما حلّ بالمكذبين قبلهم.

---

(٥٦٥) انظر: تناسق الدرر ص٩٦، روح المعاني ج١٣ص١٧٩، ١٨٠، التفسير المنير ج١٣ص١٩٧، ١٩٨.

(٥٦٦) انظر: التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٨، ١٧٩، في ظلال القرآن ج٥ص١٢١، التفسير المنير ج١٣ص١٩٨، ١٩٩.

١١ ـ تثبيت النبي ﷺ بوعده بالنصر.

١٢ ـ بيان الحكمة من تأخير العذاب إلى يوم القيامة.

المطلب الثاني: تفسير سورة إبراهيم عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ [إبراهيم: ١ ـ ٢].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿اللهُ﴾ برفع الهاء في الوصل والابتداء.

٢ ـ قرأ رويس ﴿ٱللَّهُ﴾ برفع الهاء في الابتداء، و﴿ٱللَّهِ﴾ بخفض الهاء في الوصل.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿ٱللَّهِ﴾ بخفض الهاء في الوصل والابتداء(٥٦٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

اسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾: «قيل أصله إلاه فحذفت همزته وأُدخل عليه الألف واللام فَخُصّ بالباري تعالى ولتخصصه به قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]»(٥٦٨)، وقيل هو مشتق من أَلِه يَأْلَه إذا تحير؛ لأن العقول تَأْلَه عند التفكر في جلاله أي تتحير(٥٦٩).

قال الفيروزآبادي: «واخْتُلِفَ فيه على عِشْرِينَ قَوْلاً ...، وأَصَحُّها أنه عَلَمٌ غيرُ مُشْتَقٍّ»(٥٧٠). وهذا هو الراجح، والله أعلم. ويؤيد ذلك الإمام السخاوي رحمه الله حيث يقول: «وإلى هذا القول ذهب جماعة من أهل

(٥٦٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٦٩.

(٥٦٨) المفردات في غريب القرآن ص٢١.

(٥٦٩) انظر: تفسير الطبرسي ج١ص٢٢، سفر السعادة ج١ص١٢.

(٥٧٠) القاموس المحيط ص١٦٠٣.

العربية، وجماعة من الفقهاء قالوا: هو اسم غير مشتق من شيء. وهذا الذي حكيناه عن الفقهاء ومن وافقهم هو الذي يعول عليه ويجب المصير إليه»(٥٧١).

التفسير:

يخبر الله تعالى أنّه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل والمعاصي، إلى نور الإيمان والعلم ومحاسن الأخلاق، بإرادة من الله تعالى ومعونة منه، يهديهم إلى طريق الله العزيز الذي لا يُمانع ولا يُغالب، المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه، الله المالك لِما في السماوات والأرض، الغنيّ عن الخلق، المسيطر على هذا الكون وما فيه. والهلاك والدمار للكافرين الذين يؤثرون الحياة الدنيا فيعملون لها، وينسون الآخرة، ويتركونها وراء ظهورهم، ويصرفون الناس عن دين الإسلام، ويطلبون أن تكون شريعة الله مُعْوَجَّة لتوافق أهواءهم. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات الذميمة إنما هم في ذَهاب عن الحقّ لا يُرجى لهم صلاح ولا نجاح(٥٧٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«الحجة لمن قرأ ﴿اللهُ﴾ - برفع الهاء من لفظ الجلالة - : أنه جعل الكلام تاماً عند قوله: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿اللهُ ٱلَّذِى﴾ فرفع لفظ الجلالة بالابتداء، وإنّما حَسُنَ ذلك لأن الذي قبله رأس آية. والحجة لمن قرأ ﴿ٱللَّهِ﴾ - بخفض الهاء من لفظ الجلالة - : أنه جعله بدلاً من قوله: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾(٥٧٣). وعلى هذا التوجيه فإنّ القراءة بالخفض على البدل فيها «من

(٥٧١) سفر السعادة ج١ص١٤، ١٥ - باختصار وتصرف يسير.

(٥٧٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٩، ١٨٠، التسهيل ج٢ص١٣٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٧١، الأساس في التفسير ج٥ص٢٧٧٧، تفسير السعدي ص٤٤٦، صفوة التفاسير ج٢ص٩٠.

(٥٧٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٢، حجة القراءات ص٣٧٦، المكتفى في الوقف والابتدا ص٣٣٩، الكشف ج٢ص٢٥، مفاتيح الأغاني ص٢٣٠، الملخص في إعراب القرآن ص٩٣.

بيان كمال فخامة شأن الصراط وإظهار تحتم سلوكه على الناس»(٥٧٤). ما ليس في الجملة الخبرية على قراءة الرفع ـ على هذا التوجيه ـ، فقد أفادت قراءة الخفض إفادة واضحة ـ لفظاً ـ عظم شأن الصراط لأنه صراط ﴿ٱللَّهِ﴾ ﷻ، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ السلطان ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ في أقواله وأفعاله، وأحكامه، المألوه المعبود بالعبادات»(٥٧٥)، وحيث إنّ «﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وصفان يجوز إطلاق كل منهما على الخلق»(٥٧٦). فإنّ القراءة بالخفض بينت ـ بياناً واضحاً يفهم من اللفظ مباشرة ـ أنّ المراد بهذين الوصفين هو الله تعالى. أمّا القراءة بالرفع في لفظ الجلالة على الاستئناف ففيها معنى القوة والفخامة حيث إنّ «الرفع أقوى وأفخم»(٥٧٧). من الخفض. والله تعالى أعلم.

ويمكن توجيه القراءة بالرفع في لفظ الجلالة على أنه خبر عن مبتدأ محذوف والتقدير: هو ـ أي ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ ـ ﴿ٱللَّهُ﴾ الموصوف بـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. وهذا الحذف جار على حذف المسند إليه ويُسمى عند علماء البيان بالحذف لمتابعة الاستعمال، أي استعمال العرب عندما يجري ذكر موصوف بصفات أن ينتقلوا من ذلك إلى الإخبار عنه بما هو أهم وأعظم مما تقدم ذكره ليكسب ذلك الانتقال تقريراً للغرض المقصود. وعلى هذا التوجيه فإنّ القراءتين معناهما واحد، إلاّ أنّ الرفع أقوى وأفخم كما سبق بيانه(٥٧٨)، والخفض أبين وأوضح لأنه يُوصل المعنى المقصود مباشرة. والله تعالى أعلم.

٢ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

(٥٧٤) روح المعاني ج١٣ص١٨٢.

(٥٧٥) تفسير السعدي ص ٤٤٦ ـ بتصرف يسير.

(٥٧٦) نظم الدرر ج٤ص١٦٦ ـ بتصرف يسير.

(٥٧٧) التحرير والتنوير ج١٣ص١٨٢.

(٥٧٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٣ص١٨٢.

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿الرِيَاحُ﴾ بفتح الياء وبعدها ألف.

٢ - قرأ الباقون ﴿الرِّيحُ﴾ باسكان الياء وحذف الألف(٥٧٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

(الرِّيح) هي: «الهواء المتحرك»(٥٨٠)؛ وقيل هي: «نَسيمُ الهواءِ وكذلك نَسيمُ كلِّ شيْءٍ»(٥٨١). وهي مؤنّثة، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقد تكون الريحُ بمعنى الغَلَبة والقوَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦](٥٨٢).

التفسير:

تعرضت الآيات السابقة لهذه الآية لبيان ما أعدّ الله تعالى للكافرين من عذاب شديد بسبب كفرهم، ثم ضرب الله تعالى مثلاً لبيان عاقبة أعمالهم التي توهموا من ورائها جلب نفع أو دفع ضرّ. يقول تعالى ذكره: صفة أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون وجه الله تعالى بها، كصفة رماد تخلف عن مواد محروقة، عصفت به الريح في يوم شديد هبوب الريح، فنسفته وذهبت به ولم تبق منه شيئاً، لا يقدرون على تحصيل ثواب ما عملوا وذلك لبطلانه بالشرك، كما لا يستطيع الإنسان الحصول على شيء من الرماد الذي نسفته الريح، وذلك هو الخسران الواضح(٥٨٣).

(٥٧٩) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣، البدور الزاهرة ص١٧٠.

(٥٨٠) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٦.

(٥٨١) لسان العرب ج٣ص١٧٦٣.

(٥٨٢) انظر: القاموس المحيط ص٢٨٢.

(٥٨٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٩٧، صفوة التفاسير ج٢ص٩٤، ٩٥، الأمثال في القرآن ص٣٣١.

قال عبدالعظيم المطعني: «أعمال الكافرين هنا رماد محترق، لا تتعلق به آمال، وحتى مع هذا الوضع الحقير لأعمالهم، الرماد لم يقر له قرار، فقد اشتدت به الريح وهذا كاف لتبديده وتطييره. ولكن زيادة في تقنيطهم ومحو أي أثر لأعمالهم أضيفت إلى ما سبق أمور يكاد معها عمل الكافر يكون عدماً، فاشتداد الريح كان في يوم عاصف، وإسناد العصف إلى ضمير (اليوم)، مبالغة في شدة العصف، وأنهم في هذا اليوم لا يقدرون على الانتفاع بكسبهم أو شيء منه، كما نلاحظ وصف الضلال بـ ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾ ولم يقل (المبين)، لأن الريح لشدة عصفها طيَّرت الرماد إلى مسافات نائية جداً لو تعقبوها في تلك المسافات لوقعوا في حيرة وضلال بعيد، والمسافات كما تعلم يناسبها البعد الذي جُعل الوصف منه وصفاً لضلالهم في هذا المكان»(٥٨٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿الرِّيَاح﴾ فعلى الجمع، ومن قرأ ﴿الرِّيح﴾ فعلى الإفراد، وأريد به الجنس(٥٨٥). ووجه القراءة بالجمع، هو إثبات الرياح من كل جانب وذلك معنًى يدل على اختلاف هبوبها، فيكون لفظها مطابقاً لمعناها في الجمع، ووجه القراءة بالإفراد أنّ الواحد يدل على الجمع، لأنه اسم للجنس فهو أخف في الاستعمال، مع ثبات معنى الجمع فيه(٥٨٦).

وقد أفادت قراءة الجمع، كثرة تشتت الرماد وذهابه، لتعدد جهات هبوب الرياح، أمّا قراءة الإفراد فقد أفادت بيان شدة هبوب الريح، حيث إنّ هبوب الريح من كل جهة على حدة كان شديداً قوياً، وبالجمع بين القراءتين يستفاد أنّ الرياح عصفت بالرماد من جهات مختلفة، وكان هبوبها من كل جهة قوياً شديداً. والله تعالى أعلم.

---

(٥٨٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ج٢ص٢٢٣ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٥٨٥) انظر: معاني القراءات ص ٦٧، روح المعاني ج١ص٣٢.

(٥٨٦) انظر: الكشف ج١ص٢٧١.

فائدة:

ذكر جمع من العلماء[٥٨٧] قضية تختص بالرياح والريح - بالجمع والإفراد - مفادها أن كل شيء في القرآن من (الرياح) فهو رحمة، وكل شيء فيه من (الريح) فهو عذاب. ولا شكّ أنّ اختلاف القراءة في الموضع الواحد بين الجمع والإفراد ينقض هذه القضية، إضافة إلى اعتمادهم على مستند ضعيف في إثبات هذه القضية، وهو حديث روي عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه، وجثا على ركبتيه، ومدّ بيديه وقال: اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٥٨٨].

«ويبدو أنّ أول من دَوَّن هذه القضية ومعها دليلها أبو عبيد القاسم بن سلام[٥٨٩]»[٥٩٠]. قال الطحاوي: «قال أبو عبيد: القراءة التي نَتَّبِعها في الريح والرياح أنّ ما كان منها من الرحمة، فإنّه جَمَاعٌ، وما كان منها من العذاب، فإنه على واحدة. قال: والأصل الذي اعتبرنا به هذه القراءة حديث النبي ﷺ أنه كان إذا هاجت الريح، قال: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)[٥٩١] فكان ما حكاه أبو عبيد من هذا عن رسول الله ﷺ مما لا أصل

---

(٥٨٧) منهم الراغب في المفردات في غريب القرآن ص٢٠٦، وابن عطية في تفسيره ج١١ص٢١٣، والزركشي في البرهان ج٤ص٩، والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز ج٣ص١٠٧، ١٠٨، والسيوطي في الإتقان ج١ص١٨٩.

(٥٨٨) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (١١٥٣) ج١١ص٢١٣، ٢١٤، عن الحسين ابن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً. قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف جداً. (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمة ج٩ص٢٢٨).

(٥٨٩) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني الأنصاري مولاهم البغدادي، إمام كبير حافظ، علامة، أحد الأعلام المجتهدين، إمام أهل دهره في العلوم، صاحب سُنّة مأمون، له تصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، أخذ القراءة عن الكسائي وغيره، وله اختيار في القراءة وافق العربية والأثر، توفي سنة ٢٢٤هـ. (انظر: غاية النهاية ج٢ص١٧، ١٨).

(٥٩٠) الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب ص١٨.

(٥٩١) سبق تخريجه أعلاه الهامش رقم ٥٨٨.

له، وقد كان الأولى به لجلالة قدره، ولصدقه في روايته غيرَ هذا الحديث، ألاّ يضيف إلى رسول الله ﷺ ما لا يعرفه أهل العلم بالحديث عنه»[٥٩٢].

٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خَٰلِقُ﴾ بألف بعد الخاء مع كسر اللام ورفع القاف، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بخفض التاء، ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بخفض الضاد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿خَلَقَ﴾ بحذف الألف وفتح اللام والقاف، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بكسر التاء ـ علامة نصب ـ ، ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بفتح الضاد[٥٩٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «الخَلْقُ أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: ١٩] أي: أبدعهما، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الزمر: ٦]»[٥٩٤]. «والخالق في صفاته تعالى: المبدع للشيء، المخترع على غير مثال سابق»[٥٩٥].

التفسير:

ينبه الله تعالى إلى أنه أنشأ السماوات والأرض بالحق منفرداً بإنشائها بغير ظهير ولا معين، فهو القادر على كل شيء، وإن هو شاء أن يُفْنِي الكفّار أذهبهم وأفناهم وأتى بخلق آخر مكانهم، وليس ذلك بمتعذر ولا

(٥٩٢) شرح مشكل الآثار ج٢ص٣٧٩.

(٥٩٣) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧٠.

(٥٩٤) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٧ ـ باختصار، وانظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني ص٢٤١، بصائر ذوي التمييز ج٢ص٥٦٦.

(٥٩٥) القاموس المحيط ١١٣٧.

صعب على الله ﷻ، لأنه القادر على كل شيء[٥٩٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿**خالِقُ السمواتِ والأرضِ**﴾، ﴿خَٰلِقُ﴾ اسم على وزن (فاعل)، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالخفض مضافٌ إليه، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بالخفض عطفاً على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥٩٧]، وذلك «أنّه إذا قرئ على (فاعل) وأضيف دخل به معنى الماضي، ودخل فيه معنى المدح»[٥٩٨]. والقراءة ﴿**خالِقَ السمواتِ والأرضَ**﴾، ﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مفعول به منصوب بالكسرة، و﴿**الأرضَ**﴾ نصباً عطفٌ علىٰ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥٩٩]، والإتيان بالفعل الماضي، «لأنه أمر قد كان، وقد فُرِغَ منه، فالفعل أولى به من الاسم، لأن الاسم يشترك في لفظه الماضي والمستقبل والحال، وإنّما يخلص للماضي بالدلائل، والفعل بلفظه يدل على الماضي»[٦٠٠].

وعليه فإنّ القراءة ﴿**خالِقُ السمواتِ والأرضِ**﴾ تحتوي على معنى الفعل الماضي، وتحمل معنى المدح، بوصف الله تعالى بأنّه ﴿خَٰلِقُ﴾ بصيغة الاسم الذي يدل على ثبات الأمر واستقراره في صاحبه[٦٠١]، والقراءة ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بالفعل الماضي تدل باللفظ على حدوث الفعل وتمامه، حيث إنّ خلق السماوات والأرض أمرٌ قد فُرِغَ منه. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى

(٥٩٦) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٩٨، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٧٩، تفسير السعدي ص٤٥٠، صفوة التفاسير ج٢ص٩٥.
(٥٩٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، الكشف ج٢ص٢٥.
(٥٩٨) حجة القراءات ص٣٧٧، وانظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، الملخص في إعراب القرآن ص٩٩.
(٥٩٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، الكشف ج٢ص٢٥، ٢٦.
(٦٠٠) الكشف ج٢ص٢٥، ٢٦.
(٦٠١) انظر: التعبير القرآني ص٢٢.

وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ﴿بِمُصْرِخِيِّ﴾ بكسر الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ بفتح الياء(٦٠٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الصراخ: صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه للإغاثة. وتقول: جاء فلان صارخاً وصَرِيخاً ومُسْتَصْرِخاً: مستغيثاً. وأقبلِ صارخاً وصارخةً وصريخاً ومُصْرِخاً: مغيثاً. وفي المثل: (عبدٌ صَرِيْخُه أَمَة) أي: مُغيثه. وأصْرَخْته: أغثته. واستصرخني: استغاثني. وتصارخوا واصطرخوا: تصايحوا»(٦٠٣).

التفسير:

يُخبر الله تعالى عن مشهد من مشاهد الآخرة، بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين النار، وقام إبليس لعنه الله يومئذٍ خطيباً في أهل النار ليزيدهم غمّاً إلى غمهم فقال: إنّ الله وعدكم أيها الأتباع النار، ووعدتكم النصرة، فأنجز الله وعده، وأخلفتكم وعدي، وما كان لي من حجة ولا دليل فيما وعدتكم به، إلاّ أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله فاستجبتم لدعائي، فلا توجهوا لي اللوم اليوم فإنّ الذنب لكم لكونكم اتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل. ما أنا بمنقذكم ولا مخلصكم مما أنتم فيه، وما أنتم بمنقذيّ مما أنا فيه من العذاب، إنّي

(٦٠٢) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٦٠٣) أساس البلاغة ص٣٥٢ ـ باختصار.

جحدت أن أكون شريكاً لله ﷻ، إنّ الظالمين في إعراضهم عن الحقّ واتباعهم الهوى والباطل لهم عذاب أليم موجع(٦٠٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بكسر الياء وفتحها لالتقاء الساكنين. وأَصل الكلمة (بمصرخيني) فحذفت النون للإضافة وأدغمت ياء الجمع في ياء الإضافة كما تقول (لديّ، عليّ) فالتقى ساكنان، فمن فتح فلأن الفتح في الياء أخف من الكسر والضم، ومن كسر جرى على الأصل في التقاء الساكنين(٦٠٥). ويمكن توجيه القراءة بالكسر بأنها على لغة من يزيد ياءً على ياء الإضافة إجراءً لها مجرى هاء الضمير إلاّ أنه حُذفت الياء هنا اكتفاءً بالكسرة، فالأصل عنده في مصرخيَّ ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة وياء زيدت للمدّ، ثم حُذفت الياء التي للمد وبقيت الياء المشددة مكسورة(٦٠٦).

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وقد ناسب الكسر مقام الذل والانكسار والخيبة لإبليس اللعين، وناسب الفتح وما به من خفة هوان إبليس في ذلك اليوم. والله أعلم.

٥ - ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿أُكْلَهَا﴾ بإسكان الكاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف(٦٠٧).

---

(٦٠٤) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٢٠٠، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٨١، صفوة التفاسير ج٢ص٩٦.

(٦٠٥) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، حجة القراءات ص٣٧٧، ٣٧٨، إبراز المعاني ص٥٥٠، روح المعاني ج١٣ص٢١٠، التحرير والتنوير ج١٣ص٢٢٠.

(٦٠٦) انظر: الكشف ج٢ص٢٦، الملخص في إعراب القرآن ص١٠١، إبراز المعاني ص٥٥٠، روح المعاني ج١٣ص٢١٠.

(٦٠٧) انظر: النشر ج٢ص ٢٣٢، البدور الزاهرة ص١٧٣.

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤][٦٠٨].

٦ ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٣٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس ﴿لِيَضِلُّوا﴾ بفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِّيُضِلُّوا۟﴾ بضم الياء[٦٠٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(ضلّ): الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ [يونس: ١٠٨]، ويُقَال الضلال لكل عدول عن المنهج القويم عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً»[٦١٠].

التفسير:

يقول تعالى: وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء ونظراء مماثلين عبدوهم معه ليضلوا الناس ويصرفوهم عن طريق الحق، فتمتعوا أيها الكفار، ومهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا، فإنّ مرجعكم ومآلكم إلى النار[٦١١].

---

(٦٠٨) انظر ص١٥٣ من هذا البحث.

(٦٠٩) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٦١٠) المفردات في غريب القرآن ص٢٩٧، وانظر: القاموس المحيط ص ١٣٢٤.

(٦١١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٧٩٥، تفسير السعدي ص ٤٥٢، صفوة التفاسير ج٢ص٩٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء بمعنى: كي يُضلوا الناس عن سبيل الله بفعلهم هذا، والقراءة ﴿لِيَضِلُّوا﴾ بفتح الياء بمعنى: كي يَضل جاعلوا الأنداد لله عن سبيله(٦١٢). فقد ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم بفعلهم هذا. والله تعالى أعلم.

٧ - ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿لا بَيْعَ فِيهِ ولا خِلَالَ﴾ بفتح العين في ﴿بَيْعَ﴾، واللام في ﴿خِلَالَ﴾ من غير تنوين فيهما.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ برفع العين في ﴿بَيْعٌ﴾، واللام في ﴿خِلَٰلٌ﴾ مع التنوين فيهما(٦١٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿بيع﴾: «باع الشيءَ يبيعه بَيْعاً ومَبِيعاً شرَاه وهو شاذ وقياسه مَبَاعاً، وباعه أيضاً اشتراه فهو من الأضداد»(٦١٤).

قال الراغب: «البَيْعُ إِعطاء المُثْمَنِ وأَخْذُ الثَّمَنِ، والشَّراء: إِعطاء الثَّمَن وأخذ المُثْمَنِ، ويقال للبيع الشراء وللشراء البيع وذلك بحسب ما يُتَصوَّر من الثَّمن والمُثْمَنِ وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ

---

(٦١٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٢٢٤، حجة القراءات ص٣٧٨، ٣٧٩، روح المعاني ج١٣ص٢١٩.

(٦١٣) انظر: النشر ج٢ص٢١١، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦١٤) مختار الصحاح ص٧١.

﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسف: ٢٠]، وقال ﷺ: «**لا يبيع الرجل على بيع أخيه**»(٦١٥)، أي: لا يشترى على شِراه، وأَبَعْتُ الشيءَ: عَرَّضْتُه للبيع»(٦١٦).

٢ ـ ﴿خِلَالٌ﴾ قيل: هو مصدرُ خالَلْتُه مخالة وخلالاً، والخِلال والمُخَالَّة: المصادقة. وقيل: جَمْعُ خُلَّةٍ، والخُلَّةُ الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه، والخُلَّةُ أيضاً: الصَّدِيقُ يقال للذَّكرِ والأُنثى والواحدِ والجَمِيع(٦١٧).

قال الراغب: «خلّ: الخلل فرجة بين الشيئين وجمعه خِلال، والخِلال لما تخلل به الأسنان وغيرها، يقال خَلَّ سِنّه، وخَلَّ الرمية بالسهم، والخُلَّة المودة إما لأنها تَتَخَلل النفس أي تتوسطها، وإما لأنها تُخِلُّ النفسَ فتؤثر فيها تأثيرَ السَّهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال منه خاللته مخالة وخِلالاً فهو خليل، وقوله ﴿**لا بَيْعَ فِيهِ ولا خِلَالَ**﴾ فقد قيل هو مصدر من خالَلْتُ وقيل هو جمع، يُقالُ خليلٌ وأخِلَّةٌ وخِلالٌ»(٦١٨).

التفسير:

يقول تعالى: قل يا محمد ـ ﷺ ـ لعبادي الذين آمنوا فليقيموا الصلاة المفروضة عليهم ويؤدوها على الوجه الأكمل، ولينفقوا مما أنعمنا عليهم من الرزق خفية وجهراً، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حيث لا ينفع أحداً بيعٌ ولا فدية، ولا صداقة، فلا سبيل لاستدراك ما فات لا بمعاوضة بيع وشراء، ولا بهبة خليل وصديق، فليقدم كل امرئ لنفسه، ولينتهز الفرصة قبل ألاّ

---

(٦١٥) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يترك، ح(٢١٤٠) ص٤٠٢، ومسلم: كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه وتحريم النجش وتحريم التصرية، ح(٣٧٠٣) ص٧٣٧٠.

(٦١٦) المفردات في غريب القرآن ص٦٧ ـ بتصرف يسير، وانظر: مختار الصحاح ص٧١.

(٦١٧) انظر: لسان العرب ج٥ص١٢٥٢.

(٦١٨) المفردات في غريب القرآن ص١٥٣ ـ باختصار وتصرف يسير.

يمكنه ذلك(٦١٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿لَّا بَيْعٌ﴾ بالرفع، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بالبناء على الفتح. وهما وجهان في نفي النكرة بحرف (لا)»(٦٢٠).

قلت: تنوع القراءة بين الفتح وما به من خفة وضعف، وبين الضم وما به من ثقل وقوة يفيد نفي جميع صور البيع، وجميع أنواع الخلال والمصادقة في ذلك اليوم. والله تعالى أعلم.

٨ - ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

القراءات:

١ - قرأ هشام بِخُلْفٍ عنه ﴿أَفْئِيدَةً﴾ بياء ساكنة بعد الهمزة.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَفْئِدَةً﴾ بغير ياء بعد الهمزة وهو الوجه الثاني لهشام(٦٢١).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(فأد): فَأَدَ اللحم في النار شواه، والفَئِيد: النار، والمَشْوِيُّ، والجبان، وافتأَدُوا أوقدوا ناراً. والتَّفَؤُّد: التَّحرق، والتَّوقُّد، ومنه الفُؤاد للقلب، مُذَكَّر، أو هو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب، والجمع أفئدة»(٦٢٢).

---

(٦١٩) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٧٩٦، تفسير السعدي ص٤٥٢، صفوة التفاسير ج٢ص٩٧، ٩٨.

(٦٢٠) التحرير والتنوير ج١٣ص٢٣٤.

(٦٢١) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦٢٢) القاموس المحيط ص ٣٨٩ - باختصار وتصرف يسير.

التفسير:

يخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام إذ توجه بالدعاء إلى الله تعالى قائلاً: يا ربنا إنّي أسكنت من ذريتي، ولدي إسماعيل، وزوجي هاجر، بوادٍ مقفر ليس فيه زرع، بجوار بيتك المحرم، كي يعبدوك ويقيموا الصلاة، فاجعل قلوباً من قلوب الناس تحن وتسرع إليهم، وارزقهم من أنواع الثمار بأن تجعل بقربهم قرىً يحصل فيها ذلك أو تجبى إليهم من الأقطار الشاسعة ليكون حالهم حال من يُرجى شكرهم لما يرون من نعمك العظيمة، فيشتغلوا بعبادتك لإغنائك لهم وإحسانك إليهم(٦٢٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بغير ياء بعد الهمزة على الأصل، والقراءة بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على لغة المشبعين من العرب الذين يقولون (الدراهيم، الصياريف)، وهي لغة مستعملة(٦٢٤).

قال ابن الجزري: «واختلف عن هشام في ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فروى الحلواني عنه من جميع طرقه بياء بعد الهمزة هنا خاصة، ... على لغة المشبعين من العرب الذين يقولون (الدراهيم والصياريف) وليست ضرورة بل لغة مستعملة. ... وقال بعضهم بل هو ضرورة، وإنّ هشاماً سهّل الهمزة كالياء فعبّر الراوي عنها على ما فهم بياء بعد الهمزة والمراد بياء عوض عنها، وردّ ذلك الحافظ الداني(٦٢٥) وقال: إنّ النقلة عن هشام كانوا أعلم

(٦٢٣) انظر: نظم الدرر ج٥ص١٩١، ١٩٢، روح المعاني ج١٣ص٢٤٠، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٠.

(٦٢٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩، روح المعاني ج١٣ص٢٤٠، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٩٨.

(٦٢٥) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلّامة الحافظ، أستاذ الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين. برز في القراءات علماً وعملاً، وفي الحديث، وأسماء رجاله، وفي الفقه والتفسير، وسائر أنواع العلوم، له كتاب التيسير في القراءات السبع، والمكتفى في الوقف والابتدا، وطبقات القراء، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٤٤٤هـ بدانية بالأندلس. (انظر: غاية النهاية ج١ص٥٠٣ ـ ٥٠٥).

الناس بالقراءة ووجوهها وليس يفضي بهم الجهل إلى أن يعتقد فيهم مثل هذا»[٦٢٦].

قلت: أفادت القراءة بالإشباع كثرة عدد القلوب التي تحترق شوقاً إلى البيت الحرام فتقصده وتسرع نحوه برغبة، وهذا يمليه ما فيها من زيادة مبنًى بحرف المدّ. أمّا القراءة الأخرى فعلى الأصل، ومبنى الكلمة يوحي بقوة شوق القلوب وشدة تحرقها، وهذا يمليه التقاء حرفي الهمزة والدال من غير فاصل بينهما على ما بهما من شدة. والله تعالى أعلم.

٩ ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ولا تحْسِبَنَّ﴾ بكسر السين[٦٢٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

حَسِبْته وأَحْسَبُهُ بالفتح، مَحْسَبَةً ومَحْسِبَةً وحِسْباناً بالكسر، أي ظَنَنْتُه. ويقال أَحْسِبُهُ، بالكسر[٦٢٨].

التفسير:

يقول تعالى: ولا تظننّ يا محمد ـ ﷺ ـ أنّ الله تعالى ساهٍ عن أفعال الظَّلمة، لا تحسبنّه إذا أنظرهم وأجّلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصي ذلك ويعده عليهم عداً، وإنما يؤجل حسابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم العصيب الرهيب الذي تشخص فيه الأبصار فتظلّ

---

(٦٢٦) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩.

(٦٢٧) انظر: النشر ج٢ص٢٣٦، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦٢٨) الصحاح في اللغة ج١ص١١١ ـ بتصرف يسير، وانظر: القاموس المحيط ص٩٥.

مفتوحة لا تَطرِف لشدة ما ترى من الهول، حيث يقومون من قبورهم إلى أرض المحشر مسرعين لا يلتفتون إلى شيء، رافعي رءوسهم، أبصارهم شاخصة، لا يطرفون لحظة؛ لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل(٦٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «الحجة لمن فتح: أنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه، لأن (فَعِلَ) بالكسر يأتي مضارعه على (يَفْعَل) بالفتح قياس مطرد. والحجة لمن كسر: أنّ العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال: (يحسب، وينعم، وييئس، وييبس) حتى صار الكسر فيهم أفصح»(٦٣٠).

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، والقراءة بالفتح على الأصل في قياس الفعل، والقراءة بالكسر على غير القياس وإنّما اشتُهر بالسماع. والقراءتان تلقيان بظلالهما على المعاني حيث يوحى إيراد الفعل بصورتين مختلفتين، إحداهما قياساً على أصل، والأخرى سماعاً على غير أصل، إلى نفي الظنّ بجميع صوره، سواء أكان ظنّاً بُني على أصل، أم بُنيَ على ما أُخذ سماعاً على غير أصل. والله تعالى أعلم.

١٠ - ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦].

القراءات:

١ - قرأ الكسائي ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية.

٢ - قرأ الباقون ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى، ونصب الثانية(٦٣١).

---

(٦٢٩) انظر: نظم الدرر ج٥ص١٩٤، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٩٩، ٨٠٠، تفسير السعدي ص٤٥٣، ٤٥٤. صفوة التفاسير ج٢ص١٠١.

(٦٣٠) الحجة في القراءات السبع ص١٠٣.

(٦٣١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٠، البدور الزاهرة ص١٧٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

(زال): زال الشيء يزول زَوالاً: فَارق طَرِيْقَتَه جانحاً عنه، وَيُقال في شيء قد كان ثابتاً قبل(٦٣٢).

التفسير:

يقول تعالى: لقد مكر المشركون مكراً عظيماً استفرغوا فيه جهدهم بحيث لم يبق لهم مكر غيره في تأييد الكفر وإبطال الحقّ، والحال أنّ الله تعالى المحيط علماً وقدرةً بكل شيء، عالم بمكرهم من جميع وجوهه وإن دقّ، وقادرٌ على إبطاله وإن جَلّ، وإن تعاظم هذا المكر حتى كان من القوة أن يُزيل الجبال الراسيات من أماكنها فلن يزيل أمر النبوة والرسالة لأنها ثابتة راسخة، بأمر الله تعالى وقدرته(٦٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿**وإن كان مكرهم لَتَزُولُ منه الجبال**﴾ فمعناه: وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها، غير أنَّ الله ناصرٌ دينَه، ومُزيلٌ مكرَ الكفارِ وماحقه. فأفادت هذه القراءة بيان عظم مكرهم(٦٣٤).

أمّا القراءة ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى، ورفع الثانية ففيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن تكون ﴿إن﴾ نافية واللام مؤكدة لها ومعنى ذلك: أنّ مكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال، والجبال هنا مشار بها إلى ما جاء به النبي ﷺ من الدين الحق والتأويل: وما كان مكرهم لِيزول به أمر

---

(٦٣٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢١٧.

(٦٣٣) انظر: نظم الدرر ج٥ص١٩٥، ١٩٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠١، تفسير السعدي ص ٤٥٤، صفوة التفاسير ج٢ص١٠١.

(٦٣٤) انظر: حجة القراءات ص٨٧٩، الكشاف ج٢ص٣٨٢، معاني القراءات ص٢٣٧، ما انفرد به كل من القراء السبعة ص١٠٢.

نبوة محمد ﷺ وهي ثابتة كثبوت الجبال الرواسي؛ لأن الله تبارك وتعالى وعَده أن يُظهر دينه على الأديان كلها، ودليل هذا قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧]»، وتنصره قراءة ابن مسعود: (وما كان مكرهم)(٦٣٥).

الوجه الثاني: أن تكون ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة «والمعنى: وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته: أي: وإن كان مكرهم مُسَوّي لإزالة الجبال معداً لذلك»(٦٣٦).

الوجه الثالث: أنّ ﴿إن﴾ شرطية وجوابها محذوف والمعنى: وإن كان مكرهم مقدراً لإزالة أشباه الجبال الرواسي، فالله مجازيهم بمكرهم وأعظم منه(٦٣٧).

قال السمين الحلبي: «وقد رَجَحَ الوجهان الأخيران على الأول ـ وهو أنّ ﴿إن﴾ نافية ـ لأن فيه معارضة لقراءة الكسائي ذلك أنّ قراءته تؤذن بالإثبات، وقراءة غيره تؤذن بالنفي. وقد أجاب بعضهم عن ذلك بأن الجبال في قراءة الكسائي مشار بها إلى أمور عظام غير الإسلام ومعجزاته لمكرهم صلاحية إزالتها، وفي قراءة الجماعة مشار بها إلى ما جاء به النبي ﷺ من الدين الحق. فلا تعارض إذ لم يتوارد على معنىً واحد نفياً وإثباتاً»(٦٣٨).

والقراءتان معاً تبينان أنّ هؤلاء الكفار قد مكروا مكراً تَبالغ في الشدة، وقد عبّرت كل قراءة عن هذا المعنى بأسلوب مختلف، مما يؤكد عظم مكرهم. كما أنَ القراءة ﴿لِتَزُولَ﴾ قد أفادت بالإضافة لما سبق، تحقير

---

(٦٣٥) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٢٤٦، الحجة في القراءات السبع ص٢٠٥، حجة القراءات ص٣٨٠، الكشاف ج٢ص٣٨٣، معاني القراءات ص٢٣٧، الدر المصون ج٤ص٢٧٩، ٢٨٠، روح المعاني ج١٣ص٢٥٠.

(٦٣٦) الكشاف ج٢ص٣٨٣. وانظر: الدر المصون ج٤ص٢٧٩، روح المعاني ج١٣ص٢٥٠، اللامات دراسة نحوية ص٦٦، ٦٧.

(٦٣٧) انظر: الدر المصون ج٤ص٢٨٠.

(٦٣٨) الدر المصون ج٤ص٢٨٠ ـ بتصرف يسير، وانظر: روح المعاني ج١٣ص٢٥١.

مكرهم رغم عظمه، وأنّه ما كان ليزول به أمر نبوة محمد ﷺ، فقد وعد الله تعالى أن يُظهر دينه على الأديان كلها. والله تعالى أعلم.

١١ - ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين.

٢ - قرأ الباقون ﴿**ولا تحسِبَنَّ**﴾ بكسر السين(٦٣٩).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢](٦٤٠).

---

(٦٣٩) انظر: النشر ج٢ص٢٣٦، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦٤٠) انظر ص١٨٨ من هذا البحث.

الفصل الثالث
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سورتي الحجر والنحل.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة الحجر.

المبحث الثاني: سورة النحل.

المبحث الأول
سورة الحجر

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الحجر.

المطلب الثاني: تفسير سورة الحجر بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الحجر.

اسمها:

تُسمى هذه السورة: سورة الحجر. قال ابن عاشور: «سميت هذه السورة سورة الحجر، ولا يعرف لها اسم غيره، ووجه التسمية أنّ اسم الحجر لم يذكر في غيرها، والحجر[٦٤١] اسم البلاد المعروفة به، وهو حجر ثمود، وثمود هم أصحاب الحجر»[٦٤٢].

نزولها:

سورة الحجر كلها مكيّة على الأصح، وقد عُدّت الرابعة والخمسين في عدد نزول السور، وقد نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام[٦٤٣].

(٦٤١) الحجر: «ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام» (معجم البلدان ج٢ص٢٥٤، آثار البلاد وأخبار العباد ص٩٠).

(٦٤٢) التحرير والتنوير ج١٤ص٥.

(٦٤٣) انظر: التحرير والتنوير ج١٤ص٥، التفسير المنير ج١٤ص٥.

عدد آياتها:

عدد آياتها تسع وتسعون آية باتفاق أهل العدّ(٦٤٤).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة إبراهيم عليه السلام):

هناك تناسب بين خاتمة سورة إبراهيم عليه السلام وافتتاح سورة الحجر، حيث وصف الله عز وجل أحوال الكفار يوم القيامة في خاتمة سورة إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥٠]، ثم قال في افتتاح سورة الحجر ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢] فأخبر أنّ المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في النار، ورأوا عصاة الموحدين قد أخرجوا منها، تَمَنَّوْا أن لو كانوا مسلمين، هذا مع اختتام سورة إبراهيم عليه السلام بوصف الكتاب ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وافتتاح سورة الحجر به ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحجر: ١]، وذلك من تشابه الأطراف(٦٤٥). كما أنّ هناك تناسباً بين كلتا السورتين في الافتتاح والمضمون، أمّا الافتتاح، فكلتا السورتين افتتحتا بوصف الكتاب المبين، وأمّا المضمون فقد اشتملت كلتا السورتين على شرح أحوال الكفرة يوم القيامة، ووصف السماوات والأرض، وإيراد جزء من قصة إبراهيم عليه السلام، وبعض قصص الرسل، وتسلية الرسول ﷺ لما يلاقيه من قومه(٦٤٦).

ما اشتملت عليه السورة:

سورة الحجر كغيرها من السور المكية تناولت قضايا إثبات الوحدانية، والنبوة، والبعث والجزاء، والتذكير بمصارع الطغاة ومكذبي الرسل، وقد

(٦٤٤) انظر: فنون الأفنان ص٥٣، تفسير الطبرسي ج٦ ص٩١، روح المعاني ج١٤ص٢، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص١٠٤.

(٦٤٥) انظر: تناسق الدرر ص٩٧، روح المعاني ج١٤ص٢، التفسير المنير ج١٤ص٥، ٦.

(٦٤٦) انظر: التفسير المنير ج١٤ص٥.

اشتملت السورة على ما يلي: (٦٤٧)

١ ـ بيان أنّ القرآن الكريم هو الكتاب الجامع للكمال والبيان.

٢ ـ بيان سنة الله تعالى التي لا تتخلف في الرسالة والإيمان بها والتكذيب. مبدوءة بالإنذار الضمني الملفع بالتهويل: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢]، ومنتهية بأنّ المكذبين إنما يكذبون من عناد لا من نقص في دلائل الإيمان، وأنّ تلك عادة المكذبين مع رسلهم.

٣ ـ بعض آيات الله تعالى في الكون مثل: خلق السماوات والأرض، إرسال الرياح، الإحياء والإماتة والعلم الشامل والحشر.

٤ ـ قصة خلق آدم، وامتثال الملائكة أمر الله ﷻ بالسجود لآدم، وعصيان إبليس أمر الله تعالى، وبيان عداء إبليس للبشر.

٥ ـ وصف حال أهل الشقاوة وأهل السعادة يوم القيامة.

٦ ـ الإخبار عن سنة الله تعالى في خلقه وأنه غفّار لمن تاب وأناب، ومعذب المُصرين على الذنوب.

٧ ـ قصص بعض الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم: قصة إبراهيم عليه السلام، قصة أصحاب الأيكة ـ قوم شعيب ـ ، قصة أصحاب الحجر ـ قوم ثمود ـ .

٨ ـ ذكر أفضال الله ﷻ على النبي المصطفى ﷺ، وتثبيته ﷺ ودعوته إلى الصفح عن الذين يؤذونه، وبيان أنّ الله تعالى كافيه أعداءه.

المطلب الثاني: تفسير سورة الحجر بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢].

(٦٤٧) انظر: التحرير والتنوير ج١٤ص٦، في ظلال القرآن ج٥ص١٩٠، التفسير المنير ج١٤ص٦، ٧، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٤.

القراءات:

١ - قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر ﴿رُبَمَا﴾ بتخفيف الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿رُبَّما﴾ بتشديد الباء[٦٤٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(رُبَّ) ويُقال رُبَّت، وربَّما، ورُبّتما، وقد تُخفف: حرف جر للتقليل أو للتكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل إلاّ على نكرة، وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء، وإذا لحقته (ما) كفته عن العمل، فيجوز دخوله على الأفعال والمعارف فتقول: ربما أقبل الخليل، وربما الخليل مقبل، وقد يبقى على عمله كقوله: ربما ضربة بسيف صقيل»[٦٤٩].

وللنحويين تعليلات في تخفيف (رُبَما) من بينها أنّ إحدى الباءين حذفت تخفيفاً، كراهية التضعيف، وبينهم خلاف في معناها أهو التكثير أم التقليل، دون إمكان ترجيح أحد المعنيين على الآخر، والسياق هو الدليل الوحيد على ترجيح أحدهما[٦٥٠].

التفسير:

يقول تعالى ذكره: ربما تمنى الكفار لو كانوا في الدنيا من الموحدين المسلمين، وذلك عند معاينتهم لأهوال يوم القيامة، وقيل حين يرون خروج أهل الخطايا من المسلمين من النار، كما جاء في الحديث: عن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من أهل القِبلة، من شاء الله، قالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟، قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، قال: فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا. فيقول الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، قال: وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ

(٦٤٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥.

(٦٤٩) إعراب القرآن لدرويش ج٥ص٢١٧، وانظر: التفسير المنير ج١٤ص٩.

(٦٥٠) انظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ج٢ص٦٣١.

مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ مثقلة[٦٥١]»[٦٥٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بتخفيف الباء وتشديدها على لغتين من لغات العرب[٦٥٣].

قال القرطبي: «وقرأ نافع وعاصم ﴿رُبَما﴾ مخفف الباء. الباقون مشددة، وهما لغتان ... وأصلها أن تستعمل في القليل، وقد تستعمل في الكثير؛ أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، ... وقال بعضهم: هي للتقليل في هذا الموضع؛ لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها؛ لشغلهم بالعذاب»[٦٥٤].

و﴿**ربما**﴾ على معنى التقليل أبلغ في التهديد لأن «التقليل هنا مستعمل في التهكم والتخويف، أي: احذروا وَدَادتكم أن تكونوا مسلمين، فلعلها أن تقع نادراً، كما تقول العرب في التوبيخ: لعلك ستندم على فعلك، وهم لا يشكون في تندمه، وإنما يريدون أنه لو كان الندم مشكوكاً فيه لكان حقاً عليك أن تفعل ما قد تندم على التفريط فيه لكي لا تندم، لأن العاقل يتحرز من الضر المظنون كما يتحرز من المتيقن»[٦٥٥].

قلت: وقد ناسب التخفيف معنى التقليل الذي يحمل في طياته أبلغ التهديد، كما ناسب التشديد شدة الحسرة والندم التي يقاسيها الكفار في جهنم ـ والعياذ بالله ـ لتفريطهم وعدم إيمانهم. والله أعلم.

---

(٦٥١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير ح(٢٩٥٤) ج٢ص٢٦٥، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦٥٢) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠٦، ٨٠٧، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٥.

(٦٥٣) انظر: معاني القرآن للكسائي ص١٧٤، حجة القراءات ص٣٨٠، تفسير السمرقندي ج٢ص٢١٤.

(٦٥٤) تفسير القرطبي ج١٠ص٢.

(٦٥٥) التحرير والتنوير ج١٤ص١١.

٢ ـ ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ [الحجر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿ما تُنَزَّلُ﴾ بتاء مضمومة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك، ﴿المَلائِكَةُ﴾ بالرفع.

٢ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخَلف ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ بنونين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة وكسر الزاي، ﴿المَلائِكَةَ﴾ بالنصب.

٣ ـ قرأ البزّي ﴿ما تَنَزَّلُ﴾ بتاء مفتوحة مشددة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك(٦٥٦)، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿ما تَنَزَّلُ﴾ بتاء مفتوحة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع(٦٥٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿نُنَزِّلُ﴾: (نزل): النزول في الأصل هو انحطاط من علوّ، يقال نزل عن دابته، وأنزله غيره. ونزل بكذا وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمه أو نِقمه على الخلق إمّا بإنزال الشيء نفسه أو بإنزال أسبابه والهداية إليه. والتَنَزُّل كالنُّزول، يُقال نَزَل المَلَكُ بكذا وتَنَزَّل(٦٥٨).

٢ ـ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: الملائكة جمع، وواحده (مَلَك)، وهو مشتق من (أَلَكَ) بمعنى: أرسل، وأصل (مَلَك): (مَأْلَك)، فَقُدِّمت العين وهي اللام، وأخرت الفاء فصارت (مألَكاً)، واستثقلت الهمزة، فنقلت إلى الساكن قبلها، وحذفت، فصار لفظه (ملكاً)، فإذا جُمع، رُدَّ إلى أصله من الهمزة وبقي

---

(٦٥٦) يلزم من تشديد التاء المد الطويل في ﴿ما﴾ وصلاً، وإذا ابتدأ بالفعل لم يشدد التاء وقرأها هكذا: ﴿تَنَزَّلُ﴾. (انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص٢٨٤).

(٦٥٧) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥.

(٦٥٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٨٨، ٤٨٩.

على قلبه[٦٥٩].

التفسير:

طلب الكفار من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة لتشهد بصحة ما جاء - وذلك منهم تهكماً وسخرية وإمعاناً في الكفر والتكذيب -، فردّ الله ﷻ عليهم في هذه الآية بأنّ إنزال الملائكة لا يكون إلاّ بالحق، أي بالرسالة للرسل أو بالعذاب لمن أراد الله تعذيبه، ولو أجابهم الله تعالى إلى ما طلبوا ثم كفروا لم يُنظروا، بل عُجّلوا بالعذاب كما فُعل بالأمم المُكَذِّبة قَبْلهم[٦٦٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ما ﴿نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بمعنى: ما ننزلها نحن - أي الله ﷻ - فأخبر الله تعالى عن نفسه، إذ بإرادته يكون كلّ شيء، والقراءة **﴿ما تُنَزَّلُ الملائكةُ﴾** على وجه ما لم يسمّ فاعله، بإقامة الملائكة مقام الفاعل لأن الملائكة لا تَنْزِل حتى تُنْزَل، والأمر ليس لها في النزول، إنما يُنزِلها الله ﷻ، أمّا القراءة **﴿ما تَنَزَّلُ الملائكةُ﴾** فعلى إضافة الفعل للملائكة، فرفعها به، وفي الفعل حذف تاء لاجتماع تاءين بحركة واحدة، وأصله (تَتَنَزَّل)، والمعنى: ما تَنْزِلُ الملائكة، وحَسُن إضافة الفعل للملائكة لأنه قد فُهم أنّها تتنزل بأمر الله تعالى لها بالنزول[٦٦١].

قال الطبري: «وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أنّ الملائكة إذا أنزلها الله على رسول من رسله، تَنَزَّلت إليه، وإذا تَنَزَّلت إليه، فإنّما تنزل بإنزال الله إياها إليه»[٦٦٢].

(٦٥٩) انظر: عمدة الحفاظ ج١ص١١٢، ١١٣.
(٦٦٠) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠٨، التحرير والتنوير ج١٤ص١٩، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٦، التفسير المنير ج١٤ص١٦.
(٦٦١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٧، الحجة في القراءات السبع ص٢٠٥، ٢٠٦، معاني القراءات ص٢٤٠، الكشف ج٢ص٢٩.
(٦٦٢) تفسير الطبري ج١٤ص٧، وانظر حجة القراءات ص٣٨١.

قلت: القراءة بإسناد الفعل إلى الله تعالى بينت الاهتمام بشأن الفاعل - وهو الله ﷻ - فالذي ينزل الملائكة هو الله العليم الحكيم الذي بيده ملكوت كل شيء والذي لا تصدر عنه الأفعال والأقوال إلاّ بالحق، ومن كان وصفه كذلك فمحال أن ينزل الملائكة عبثاً، سبحانه وتعالى، أمّا القراءة على وجه ما لم يُسَمّ فاعله، فقد بينت مزيد الاهتمام بالمفعول - وهو الملائكة - وذلك لبيان عظيم شأن الملائكة فهي أعظم من أن تُنزل لأمور تافهة، وإنما نزولها لأمور عظام. أمّا القراءة بإسناد الفعل للملائكة فإنها تبين مزيد الاهتمام بشأن تصرف الملائكة، فلا يَصدر منها إلاّ الحقّ وذلك لأنها تنفذ أمر الله تعالى كما يريد ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. فكانت تلك أبلغ إجابة على طلب الكافرين إنزال الملائكة، حيث ألزمهم الله ﷻ الحجة، وردّ عليهم من جميع الجهات بأوجز عبارة وأروعها وأبدعها، فسبحان الذي جمع البلاغة كلها في كتابه العزيز. والله تعالى أعلم.

٣ - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿سُكِرَتْ﴾ بتخفيف الكاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿سُكِّرَتْ﴾ بتشديد الكاف[٦٦٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

(سَكِرَ): نقيض صَحَا، و(السُكْرُ) حالة تعرض بين المرء وبين عقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يَعْتَرِي من الغضب والعشق، و(السَّكْرُ) حبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السدّ بين المرء وعقله. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾ من السَّكر، أو من السُّكر أي حُبست

(٦٦٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥.

عن النظر وحُيِّرَت، أو غُطِّيت وغُشِّيَت[٦٦٤].

قال ابن فارس: «(سكر): السُّكر من الشراب، يقال سَكِرْتُ ورجل سِكِّير. والتَّسَكُّرُ: التَّحَيُّرُ، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ وناس يقرءونها: سُكِرت خفيفة على سُحرت»[٦٦٥].

التفسير:

يقول تعالى: ولو أننا فتحنا لهؤلاء الكفار المعاندين باباً من أبواب السماء فجعلوا يصعدون فيه، لما صدقوا بذلك، وقالوا لفرط مكابرتهم وكفرهم وعنادهم: إنّما سُدَّت أبصارنا وخُدعت بهذا الارتقاء والصعود، وقد شُبِّه علينا واختلطت الأمور في أذهاننا، وأصبحنا لا نرى إلاّ أخيلة، كالقوم المسحورين[٦٦٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي: «قوله ﴿إِنَّمَا سكرت﴾ خففه ابن كثير، وشدده الباقون، وهما لغتان: سَكَرْتُ عينه وسكّرتها، أغشيتها إغشاءاً، لكن في التشديد معنى التكثير والتكرير، وحسن ذلك لإضافته إلى جماعة، لكل واحد بصر قد غُشِّي بغشاوة، والأبصار جماعة فحقه التشديد ليدل على التكثير»[٦٦٧].

وقال الماوردي: «قوله ﷻ: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥﴾ في ﴿سُكِّرَتۡ﴾ قراءتان: إحداهما بتشديد الكاف، والثانية بتخفيفها، وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا ستة تأويلات: أحدها: سُدّت، الثاني: عميت، الثالث: أخذت، الرابع: خدعت، الخامس: غشيت

(٦٦٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦، القاموس المحيط ص ٥٢٤.

(٦٦٥) مجمل اللغة ج١ص٤٦٨.

(٦٦٦) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠٩، التحرير والتنوير ج١٤ص١٧، التفسير المنير ج١٤ص١٧.

(٦٦٧) الكشف ج٢ص٣٠، معاني القراءات ص٢٤٠.

وغطيت، السادس: معناه حبست.

والوجه الثاني: أنّ معنى ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف مختلف، وفي اختلافهما وجهان: أحدهما: أنّ معناه بالتخفيف سُحِرَتْ، وبالتشديد: أخذت. الثاني: أنّه بالتخفيف من سُكر الشراب، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء»(٦٦٨).

قلت: على اعتبار أنّ القراءتين بمعنًى، ففائدة تنوع القراءة تأكيد المعنى، كما أنّ قراءة التشديد تحمل معنى التكثير. وعلى اعتبار اختلاف المعنى وهو الأَوْلَى، لأن «التأسيس أولى من التأكيد»(٦٦٩)، فإنّ قراءة التشديد أفادت أنّ أبصارهم سدت فما عادوا يُبصرون، وقراءة التخفيف بينت أنّ سدّ أبصارهم لا يعني أنها عميت عن الرؤية نهائياً بل (سَكِرت) أي أصبحوا يرون باختلاط وتغير كما يرى السكران أو المسحور(٦٧٠). والله تعالى أعلم.

ملحوظة:

قد يتبادر إلى الذهن أن تفسير ﴿سُكِرَت﴾ بمعنى (سُحرت)، سيؤدي إلى تكرار في الآية حيث إنها ختمت بقوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾، ويزول هذا الإشكال إذا عرفنا أنّ هناك قراءة شاذة: (سحرت أبصارنا)، وقد أوردها أبو حيان وقال: «قرأ أبان بن تغلب(٦٧١): (سحرت أبصارنا) ويجيء قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ انتقالاً إلى درجة عظمى من سحر العقل، وينبغي أن تجعل هذه القرءاة تفسير معنًى لا تلاوة؛ لمخالفتها سواد

(٦٦٨) تفسير الماوردي ج٣ص١٥٠، ١٥١ ـ باختصار.

(٦٦٩) الأشباه والنظائر في قواعد فقه الشافعية ص١٧٥، وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج١ص٣٩٦.

(٦٧٠) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ص٧٨٨.

(٦٧١) هو: أبان بن تغلب الربعي، أبو سعد، ويقال أبو أميمة الكوفي النحوي، قرأ على عاصم بن أبي النجود، والأعمش، وغيرهما، توفي سنة ١٤١هـ، وقيل سنة ١٥٣هـ. (انظر: غاية النهاية ج١ص٤).

المصحف»(٦٧٢).

٤ ـ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف ﴿الرِّيحَ﴾ بإسكان الياء، بغير ألف بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿الرِّيَاحَ﴾ بياء مفتوحة وألف بعدها(٦٧٣).

وقد تقدم توجيه هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨](٦٧٤). والظاهر أنّ القراءتين هنا بمعنًى واحد. والله أعلم.

٥ ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام(٦٧٥).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤](٦٧٦).

---

(٦٧٢) البحر المحيط ج٥ ص ٤٣٧.
(٦٧٣) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣، البدور الزاهرة ص١٧٥.
(٦٧٤) انظر ص١٧٥ من هذا البحث.
(٦٧٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٧٥.
(٦٧٦) انظر ص١٠٠ من هذا البحث.

٦ ـ ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ الحجر: ٤١].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿عَلِيٌّ﴾ بكسر اللام، ورفع الياء وتنوينها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَلَيَّ﴾ بفتح اللام والياء من غير تنوين(٦٧٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(علا): العُلوّ الارتفاع، وهو ضد السُّفْلِ، وعَلاَ يَعْلُوا عُلُوّاً، وعَلِيَ يَعْلِي عَلاً فهو عَلِيٌّ: أي رفيع القَدْر، و(علا) بالفتح يقال في الأمكنة والأجسام أكثر، وقيل إنّ (علا) يُقال في المحمود والمذموم، و(عَلِيَ) لا يُقال إلاّ في المحمود(٦٧٨). و(على) حرف، وعند سيبويه: اسم للاستعلاء، والمصاحبة، والتعليل كاللام، والظرفية، وبمعنى مِنْ والباء والاستدراك، وتكون زائدة للتعويض، وتكون اسماً بمعنى فويق(٦٧٩). و﴿عليّ﴾ هنا في الآية بمعنى إليّ(٦٨٠).

التفسير:

يقول الله تعالى: هذا طريق مستقيم واضح مرجعه إليّ فأجازي كلاً بأعمالهم(٦٨١).

قال ابن عاشور: «والصراط مستعار للعمل الذي يَقصد منه عامله فائدة، شُبِّه بالطريق الموصل إلى المكان المطلوب وصوله إليه، أي هذا هو السنّة التي وضعتها في الناس وفي غوايتك إيّاهم، وهي أنك لا تغوي إلاّ

(٦٧٧) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥، ١٧٦.
(٦٧٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٥، ٣٤٦.
(٦٧٩) انظر: القاموس المحيط ص١٦٩٥.
(٦٨٠) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٣، تفسير القرطبي ج١٠ص٢٨، التحرير والتنوير ج١٤ص٥٢.
(٦٨١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٣، تفسير القرطبي ج١٠ص٢٨.

من اتبعك من الغاويين، أو أنك تغوي من عدا عبادي الصالحين»(٦٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الجمهور ﴿عليّ﴾ بفتح اللام وفتح الياء، على أنها (على) اتصلت بها ياء المتكلم، وقراءة يعقوب ﴿عَلِيٌّ﴾ بكسر اللام وضم الياء وتنوينها على أنه وصف من (العلوّ) وُصف به ﴿صِرَٰطٌ﴾، أي صراط شريف عظيم القدر، رفيع الشأن(٦٨٣).

وقد أفادت قراءة يعقوب ﴿عَلِيٌّ﴾، عظم شأن هذا الصراط، فهو صراط شريف رفيع القدر، وأفادت قراءة الباقين أنّ هذا الصراط مرجعه إلى الله ﷻ. وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: يقول الله تعالى: هذا صراط رفيع القدر عظيم الشأن، مرجعه إليّ فأجازي كلاً بعمله. والله تعالى أعلى وأعلم

٧ ـ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿جُزُء﴾ بضم الزاي.

٢ ـ قرأ أبو جعفر ﴿جُزٌّ﴾ بحذف الهمزة وتشديد الزاي مضمومة منونة.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿جُزْءٌ﴾ بإسكان الزاي(٦٨٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

---

(٦٨٢) التحرير والتنوير ج١٤ص٥١، ٥٢.

(٦٨٣) انظر: تفسير السمرقندي ج٢ص٢١٩، التحرير والتنوير ج١٤ص٥٢، روح المعاني ج١٤ص٥١.

(٦٨٤) انظر: النشر ج٢ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٧٦.

الجزء: البعض، وجُزء الشيء ما يُتقوَّم به جملتُه، كأجزاء البيت وأجزاء السفينة، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أي نصيب وذلك جزء من الشيء[٦٨٥].

التفسير:

يخبر الله تعالى أنّ جهنّم ـ والعياذ بالله ـ موعد إبليس وأتباعه، وأنّ لها ـ أي جهنم ـ سبعة أبواب يدخلون منها، وقد روي أنّ هذه الأبواب أطباق، طبق فوق طبق، وأنها دركات بعضها أشدّ من بعض، يقول تعالى: لكل فريق من أتباع إبليس باب مُعَيَّن بحسب عمله[٦٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿جُزُء﴾ بضم الزاي لمجانسة ضم الجيم قبله، وهو لغة الحجازيين، والإسكان على الأصل وهو لغة تميم وأسد[٦٨٧]. والقراءة ﴿جُزّ﴾ بتشديد الزاي من غير همز، وذلك على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي[٦٨٨]. وتنوع القراءة في هذه الكلمة يؤدي إلى تنوع في المسموع يلقي بظلاله على المعاني، فقراءة الضم توحي بتتابع الأجزاء والأنصبة في توزيعها، والقراءة بإسكان الزاي، توحي باستقرار كل جزء مع المقسوم له، والقراءة بحذف الهمزة وتشديد الزاي توحي بخطوات التقسيم حيث يتم اقتطاع كل جزء من الكلّ. والله أعلم.

٨ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحمزة، والكسائي ﴿وعِيُون﴾ بكسر العين.

(٦٨٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٩٣، القاموس المحيط ص ٤٥.
(٦٨٦) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٨١٥، صفوة التفاسير ج٢ص١١٠.
(٦٨٧) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص٢٧٧.
(٦٨٨) انظر: روح المعاني ج١٤ص٥٣.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَعُيُونٍ﴾ بضم العين[٦٨٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

العيون: منابع الماء، قال الراغب: «(عين): العين الجارحة، والجمع أعين وعيون، ويستعار لفظ العين لمعانٍ توجد في الجارحة بنَظَرات مختلفة، ويقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بها لما فيها من الماء، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾»[٦٩٠].

التفسير:

يقول تعالى ذكره: إنّ الذين اتقوا الله بطاعته، واجتناب معاصيه في بساتين ناضرة، وعيون متفجرة[٦٩١]. والمراد بالعيون يحتمل أن يكون الأنهار الأربعة: ماء وخمر ولبن وعسل، ويحتمل أن يكون منابع مغايرة لتلك الأنهار وهو الظاهر[٦٩٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بضم العين على الأصل، وبكسرها لمناسبة الياء[٦٩٣]. وذلك على لغتين من لغات العرب[٦٩٤]. والقراءة بالكسر وما فيه من تَناسب مع الياء بعدها يؤدي إلى انسجام إيقاعي وتوافق حركي، يعد ضرباً من الإعجاز الصوتي، وهو لون من ألوان الجمال، والقراءتان إنما هما غدو ورواح بين لونين من ألوان الجمال في روضة الوحي البهيجة، وجمعاً بين لغتين حفلت

---

(٦٨٩) انظر: النشر ج٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٦٩٠) المفردات في غريب القرآن ص٣٥٥ ـ باختصار وتصرف يسير. وانظر: القاموس المحيط ص١٥٧٢.

(٦٩١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٦، تفسير القرطبي ج١٠ص٣٢، صفوة التفاسير ج٢ص١١٢، التفسير المنير ج١٤ص٣٨.

(٦٩٢) انظر: روح المعاني ج١٤ص٥٧.

(٦٩٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٩٣، ٩٤، تفسير القرطبي ج١٠ص٣٢، روح المعاني ج١٤ص٥٧.

(٦٩٤) انظر: الكشف ج١ص٢٨٥، البسط في القراءات العشر ج١ص١٦٥.

بهما لغة القرآن الكريم[٦٩٥]. وإضافة إلى الجمال الصوتي، فإنّ كل قراءة تلقي بظلالها على المعاني، فالقراءة بالضم وما به من قوة، توحي بقوة تفجر هذه العيون وغزارة مائها، أمّا القراءة بالكسر وما به من معنى التذلل، فإنّها توحي بسلاسة جري هذا الماء، وأنه رغم غزارته وكثرته فإنه يجريّ مذلّلاً في متناول أهل الجنة. والله تعالى أعلى وأعلم.

٩ ـ ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر: ٥٣].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ﴿**إِنَّا نَبْشُرُكَ**﴾ بفتح النون وإسكان الباء وضم الشين مخففة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة[٦٩٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

(بَشَرَ): البَشَرة ظَاهر الجلد، وأبْشَرت الرجل، وبَشَرْتُه، وبَشَرْتُه: أخبرته بسار بسط بَشَرة وجهه. وبَشَرْتُه عام، أمّا أبْشَرته وبَشَّرته فعلى التكثير[٦٩٧].

التفسير:

هذا طرف من قصة ضيف إبراهيم عليه السلام حيث أوجس منهم خيفة فقالوا له: لا تخف، إنما نحن رسل ربك، جئنا لبشارتك بميلاد غلام ذي علم وفطنة وفهم، وهو إسحق عليه السلام[٦٩٨].

---

(٦٩٥) انظر: التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ص٦٠.

(٦٩٦) انظر: النشر ج٢ص٢٣٩، ٢٤٠، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٦٩٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٨، القاموس المحيط ص٤٤٧.

(٦٩٨) انظر: تفسير القرطبي ج١٠ص٣٥، صفوة التفاسير ج٢ص١١٢، التفسير المنير ج١٤ص٤٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يَبْشُرُك﴾ بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين بمعنى: يُسِرُّك ويُفرحك، يُقال: بَشرت الرجل أبشره إذا فرَّحته، و﴿يُبَشِّرُكِ﴾ بالتشديد أي يُخبِّرك. يُقال: بَشَّرته، أُبشِّره أي أخبرته بما أظهر في بشرة وجهه من السرور[٦٩٩]. وهما لغتان[٧٠٠]، «غير أنّ التخفيف لا يقع إلاّ فيما سرّ، والتشديد يقع فيما سرّ وضرّ»[٧٠١]. وبشّر بما فيها من تضعيف تحمل معنى التكثير[٧٠٢] والمبالغة[٧٠٣]، وتوحي بقوة هذه البشارة[٧٠٤].

قال الأزهري: «من قرأ ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فهو من البشارة لا غير، يُقال بَشَّرته بشارة بتشديد الشين. ومن قرأ ﴿يَبْشُرُك﴾ فمعناه: يَسُرُّك ويُفرحك. يُقال: بَشَرته أَبْشُرُه، إذا فرَّحته. . . . ومن العرب من يُجيز: بشرته وأبشرته وبَشَّرته بمعنى واحد، ويُقال: بَشَّرته فأبشر وبَشَّر، أي سرَّ وفرح»[٧٠٥].

مما سبق يتبين أنّ القراءتين مفادهما إخبار إبراهيم عليه السلام بخبر يسره وهو أنّ الله سيرزقه بغلام عليم، وقد أكدت قراءة التشديد هذه البشارة بما يحمله مبنى (بشّر) المُضَعَّف من معنى التكثير والمبالغة، أمّا قراءة التخفيف فقد أكدت حصول السرور والبِشر، حيث إنّ هذه الكلمة تختص بالأمور السارة، وتحمل معنى جلب السرور والفرحة، وفيها بيان تحقق الفرح

(٦٩٩) انظر: تفسير الطبري ج٣ص٢٥١، حجة القراءات ص ١٦٣.
(٧٠٠) انظر: الكشف ج١ص٣٤٤، الحجة في القراءات السبع ص ١٠٩.
(٧٠١) الحجة في القراءات السبع ص ١٠٩ ـ باختصار وتصرف يسير.
(٧٠٢) انظر: النشر ج٢ص٢٤٠.
(٧٠٣) قال ابن فارس: «العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة» (الصاحبي ص ٤٤٥).
(٧٠٤) قال السيوطي عند حديثه عن مناسبة الألفاظ للمعاني: «وكذلك جعلوا تكرير العين نحو فرّح وبشّر؛ فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى، وخصوا بذلك العين؛ لأنها أقوى من الفاء واللام ...» (المزهر في علوم اللغة وأنواعها ج١ص٤٩).
(٧٠٥) معاني القراءات ص١٠١، ١٠٢.

والسرور لإبراهيم عليه السلام بهذا الغلام الذي سيولد له(٧٠٦). والله تعالى أعلى وأعلم.

١٠ ـ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الحجر: ٥٤].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع ﴿تبَشرونِ﴾ بكسر النون مخففة.

٢ ـ قرأ ابن كثير ﴿تُبَشّرونِّ﴾ بكسر النون مشددة مع المد المشبع.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون مخففة(٧٠٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه(٧٠٨).

التفسير:

قال إبراهيم عليه السلام للضيف بعدما بشروه بغلام عليم: أبشرتموني بالولد وأنا على هذه الحال من الكبر والهرم، فبأي شيء تبشرون، قالها عليه السلام على وجه التعجب(٧٠٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من خفف وفتح النون أنه لم يُعَدَّ الفعل إلى مفعول ولم يرد

---

(٧٠٦) لمزيد بيان أقول: قد يخبرك شخص خبراً مفرحاً من وجه نظر المُخبر، وهذا الخبر أيضاً مفرح في العادة، فيصح إطلاق لفظ البشرى عليه، فنقول بشّرك بكذا، ولكن تحقق السرور ليس شرطاً إذ قد تكون هذه البشارة من وجهة نظرك هي غير ذلك. لذلك كانت قراءة التخفيف مؤكدة لحصول البِشْر والسرور.

(٧٠٧) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٧٠٨) انظر ص٢١٠ من هذا البحث.

(٧٠٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٤٠، تفسير البيضاوي ج١ص٥٣٢، تفسير القرطبي ج١٠ص٣٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٨١٨، صفوة التفاسير ج٢ص١١٢.

الإضافة إلى النفس، فأتى بنون الإعراب الدالة على الرفع مفتوحة على الأصل. ومن شدد النون وكسرها عدّى الفعل وأضافه إلى النفس، فصار (تبشرونني) بنونين: الأولى علامة الرفع والثانية دخلت لتمنع الفعل من أن ينكسر، وهي مع الياء في موضع نصب مفعول به، فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية تخفيفاً، وحذف الياء اجتزاءً بالكسرة لأنها نابت عن الياء. ومن خفف النون وكسرها، فعلى حذف إحدى النونين تخفيفاً من غير إدغام، واجتزأ بالكسرة من الياء(٧١٠).

وإضافة البشارة إلى نفسه على القراءة بكسر النون ـ خفيفة أو ثقيلة ـ فيها بيان تعجبه من هذه البشارة وحاله أنه بلغه الكبر. والتشديد فيه مزيد تأكيد لتعجبه لما فيه من الثقل وما يستوجبه من مدّ في الحرف السابق للمشدد. أمّا القراءة بغير إضافة إلى النفس، ففيها بيان أنّ التعجب من هذه البشارة ليس قاصراً على إبراهيم عليه السلام فإن كان حاله أنه بلغه الكبر فكذلك زوجه عجوز عقيم، «فمعلوم أن هذه المفاوضة من الملائكة لم تكن مع إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام خاصة، بل مع سارَةَ أيضاً كما جاء في سورة هود»(٧١١)، كما أنّ الفتح وما به من خفة يوحي بقلة مبالاة إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة بهذه البشارة لمضي العمر واستيلاء الكبر. قال الثعالبي: «وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: تقرير على جهة التعجُّب والاستبعاد، لكبرهما، أو على جهةَ الاحتقار وقلَّة المبالاة بالمَسَرَّات الدنيويَّة، لمضيِّ العمر، واستيلاء الكِبَر»(٧١٢). والله تعالى أعلم.

١١ ـ ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

---

(٧١٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص٣٨٢، ٣٨٣، الكشف ج٢ص٣٠، ٣١. مفاتيح الأغاني ص٢٣٥، الملخص في إعراب القرآن ص١٢٢، تفسير الفخر الرازي ج١٩ص٢٠١.

(٧١١) روح المعاني ج٢٧ ص١٣ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠﴾ [الذاريات: ٣٠] ـ بتصرف يسير.

(٧١٢) الجواهر الحسان ج٢ص٢١٤.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿يَقْنِطُ﴾ بكسر النون.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَقْنَطُ﴾ بفتح النون(٧١٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(قنط): القُنوط اليَأس من الخير، يُقال قَنَطَ يَقْنِطُ قُنوطاً، وَقَنِطَ يَقْنَطُ»(٧١٤).

التفسير:

كان استعجاب إبراهيم عليه السلام من البشارة باعتبار العادة دون القدرة، ولذلك قال عليه السلام: لا ييأس من رحمة الله تعالى إلاّ الضالون المخطئون طريق الصواب، فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى، وكمال علمه وقدرته(٧١٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح النون وكسرها على لغتين من لغات العرب، يُقال قَنَطَ يَقْنِط، نحو: ضرَب يَضرِب، وقَنِطَ يَقْنَط، نحو: علِم يَعلَم(٧١٦). ولا شكّ أنّ التعبير عن المعنى بأكثر من لفظ فيه مزيد تأكيد لهذا المعنى، والمتأمل لهاتين الكلمتين بالفتح والكسر، يجد أنّ الفتحة وما بها من ضعف، والكسرة وما توحي به من الانكسار تلقي بظلالها على معنى الكلمة، فترسم للسامع الحالة النفسية للقانط ـ وهي حالة الضعف والانكسار ـ، وتجعل

(٧١٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٧١٤) المفردات في غريب القرآن ص ٤١٣.

(٧١٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٤٠، تفسير البيضاوي ج١ص٥٣٢.

(٧١٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٧، الكشف ج٢ص٣١. مفاتيح الأغاني ص٢٣٦، الملخص في إعراب القرآن ص١٢٢، تفسير الفخر الرازي ج١٩ص٢٠٢.

الألفاظ حية بمعانيها وحركاتها وسكناتها. والله تعالى أعلم.

١٢ ـ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩﴾ [الحجر: ٥٩].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿لَمُنْجُوهُمْ﴾ بإسكان النون وتخفيف الجيم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بفتح النون وتشديد الجيم(٧١٧).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾ [يوسف: ١١٠](٧١٨).

١٣ ـ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر: ٦٠].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿قَدَرْنَا﴾ بتخفيف الدال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿قَدَّرْنَآ﴾ بتشديد الدال(٧١٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن فارس: «(قَدَرَ) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقَدْر: مبلغ كل شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغه. وكذلك القَدَر. وقَدَرت الشيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهايتها التي أرادها لها، وهو القَدَرُ أيضاً»(٧٢٠).

(٧١٧) انظر: النشر ج٢ص٢٥٨، ٢٥٩، البدور الزاهرة ص١٧٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص٢٦٥.
(٧١٨) انظر ص١٣٨ من هذا البحث.
(٧١٩) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.
(٧٢٠) معجم مقاييس اللغة ج٥ص٦٢.

التفسير:

أخبرت الملائكةُ إبراهيمَ عليه السلام أنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط عليه السلام ثم أخبروه أنّ الله تعالى سينجي آل لوط عليه السلام من العذاب الواقع على قومه إلاّ امرأته فقد قضى الله تعالى فيها أن تكون من الباقين مع الكفرة لتهلك معهم(٧٢١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بتخفيف الدال وتشديدها على لغتين من لغات العرب، وفي التشديد معنى المبالغة(٧٢٢).

وقد أفادت القراءة بالتخفيف سرعة تحقق أمر الله تعالى(٧٢٣)، أمّا القراءة بالتشديد فإنّها أكدت تحقق حدوث أمر الله تعالى وبشكل بليغ. والله تعالى أعلم.

١٤ ـ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الحجر: ٦٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر ﴿فَاسْرِ﴾ بهمزة وصل فتسقط في الدَّرْج ويصير النطق بالسين الساكنة بعد الفاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ بهمزة قطع مفتوحة(٧٢٤).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ

(٧٢١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٤١، تفسير البيضاوي ج١ص٥٣٢، التفسير المنير ج١٤ص٥١.

(٧٢٢) انظر: معاني القراءات ص ٢٤٢، الكشف ج٢ص٣٢، الملخص في إعراب القرآن ص١٢٣.

(٧٢٣) انظر: ص٢٧ من البحث.

(٧٢٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٧٧.

إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود: ٨١](٧٢٥).

١٥ ـ ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر: ٨٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِيوتاً﴾ بكسر الباء(٧٢٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

(بيت): أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ويقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه، وجمعه بيوت وأبيات، لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشِّعر، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]، ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧] ويقع ذلك على المُتَّخذ من حجر ومَدَر(٧٢٧) وصوف ووبر(٧٢٨).

التفسير:

يخبر الله تعالى عن أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح عليه السلام أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين أن تخرب بيوتهم لقوتها، وقيل آمنين من الموت(٧٢٩). قال البيضاوي: «﴿ءَامِنِينَ﴾ من الانهدام وثقب اللصوص، وتخريب الأعداء لوثاقتها، أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن

(٧٢٥) انظر: ص٥٦ من هذا البحث.

(٧٢٦) انظر: النشر ج٢ص٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص ٢٦٦.

(٧٢٧) المَدَر ـ محركة ـ : قطع الطين اليابس. (القاموس المحيط ص ٦٠٩).

(٧٢٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٤.

(٧٢٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٥٠.

الجبال تحميهم منه»[٧٣٠]. وقال ابن كثير: «﴿ءَامِنِينَ﴾ أي من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشراً وبطراً وعبثاً»[٧٣١]. قلت: ولا مانع من اعتبار جميع ما ذكر. والله أعلم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الكسر والضم في هذه الكلمة على لغتين من لغات العرب، والضم على أصل ما وجب للجمع حيث إنّ باب (فَعْل) في الجمع الكثير (فُعُوْل). والكسر تخفيفاً، حيث إنّه لمّا كان ثاني الكلمة ياءً، كُسر أولها، وذلك لأن الكسرة مع الياء أخف من الضمة معها، ولئلا يجتمع في الكلمة حركتان ثقيلتان (ضمّتان)، وحرف ثقيل عليه حركة ثقيلة - وهي الياء المضمومة - في جمع والجمع ثقيل[٧٣٢]. والقراءة بالكسر وما فيه من تَناسب مع الياء بعدها يؤدي إلى انسجام إيقاعي وتوافق حركي، يعد ضرباً من الإعجاز الصوتي، وهو لون من ألوان الجمال، والقراءتان إنما هما غدو ورواح بين لونين من ألوان الجمال في روضة الوحي البهيجة، وجمعاً بين لغتين حفلت بهما لغة القرآن الكريم[٧٣٣].

والمتأمل لكلمة ﴿بيوتاً﴾ يجد أنّ الضم والكسر فيها يرسم الحالة النفسية للفرد في بيته، فهي بين الشعور بالقوة والمَنَعة (وهو ما يوحيه الضم بقوته)، وبين السكينة والاستسلام للراحة نتيجة الشعور بالأمان والاطمئنان، وهو ما يوحيه الكسر بما يحمل من معاني الخضوع والاستسلام. والله تعالى أعلم.

---

(٧٣٠) تفسير البيضاوي ج١ص ٥٣٤.

(٧٣١) تفسير ابن كثير ج٢ص٨٢٢، قلت: لعله رحمه الله فسر هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: ١٤٩].

(٧٣٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٩٣، ٩٤، الكشف ج١ص٢٨٤، ٢٨٥، البسط في القراءات العشر ج١ص١٦٥.

(٧٣٣) انظر: التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ص٦٠.

المبحث الثاني
سورة النحـل

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة النحل.

المطلب الثاني: تفسير سورة النحل بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة النحل:

اسمها:

تسمى سورة النحل، ووجه تسميتها بذلك أنّ لفظ النحل قد ورد ذكره فيها ولم يذكر في غيرها من السور، وتُسمّى أيضاً سورة النِعَم ـ بكسر النون وفتح العين ـ لما عدد الله تعالى فيها من النعم على عباده(٧٣٤).

نزولها:

سورة النحل مكية في قول الجمهور. وقيل: إلاّ ثلاث آيات نزلت بالمدينة منصرف النبي ﷺ من غزوة أحد وهي: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ...﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة، قيل نزلت

(٧٣٤) انظر: تفسير ابن عطية ج٣ص٣٧٧، التكميل والإتمام ص٢٢٢، جمال القراء وكمال الإقراء ج١ ص٣٦، الإتقان ج١ص٧٢، تفسير القرطبي ج١٠ص٦٥، حاشية الشهاب ج٥ص٥٤٥، روح المعاني ج١٤ص٨٩.

في نسخ عزم النبي ﷺ على أن يمثل بسبعين من المشركين إن أظفره الله بهم جزاء تمثيلهم بحمزة وقتلى أُحد ﷺ. وقيل: أولها مكي إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [النحل: ٤١] فهو مدني إلى آخر السورة. وقيل هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ [النحل: ٩٥] - إلى قوله - ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧][٧٣٥].

عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وثمان وعشرون آية في عدّ الجميع[٧٣٦].

وجه اتصالها بما قبلها (سورة الحجر):

قال السيوطي: «وجه وضعها بعد سورة الحجر: أنّ آخرها شديد الالتئام بأول هذه، فإنّ في آخر تلك: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله هنا: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]»[٧٣٧].

ما اشتملت عليه السورة:

تعالج سورة النحل موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحي، والبعث، والنشور، وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته، في ذلك العالم الفسيح، والتي يراها الإنسان في حياته، ويدركها بسمعه وبصره، وقد اشتملت على ما يلي: [٧٣٨]

(٧٣٥) انظر: الإتقان ج١ص١٢، روح المعاني ج١٤ص٨٩، ٩٠، التحرير والتنوير ج١٤ص٩٣.

(٧٣٦) انظر: فنون الأفنان ص٥٣، تفسير الطبرسي ج٦ص١٢٧، جمال القراء وكمال الإقراء ج١ ص٢٠٥، روح المعاني ج١٤ص٩٠.

(٧٣٧) تناسق الدرر ص٩٧.

(٧٣٨) انظر: في ظلال القرآن ج٥ص٢٢٤، التحرير والتنوير ج١٤ص٩٤، ٩٥، ٩٦، صفوة التفاسير ج٢ص١١٨، زهرة التفاسير ج٨ص٤١٢٠.

١ ـ إثبات البعث والجزاء وإنذار المشركين من عذاب الله ﷻ الذي يستهزئون به.

٢ ـ إظهار شناعة الشرك وفساده، وإيراد الأدلة على تفرد الله ﷻ بالألوهية، من تذكير بخلق السماوات والأرض، وما في السماء من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من بشر وحيوان ونبات وبحار وجبال، وأعراض الليل والنهار، وأطوار الإنسان وأحواله، وأدمج في ذلك العبرة والامتنان على الناس بما في ذلك من المنافع الطيبة المنتظمة، والمحاسن، وحسن المناظر، ومعرفة الأوقات، وعلامات السير في البر والبحر.

٣ ـ بيان ما حلّ بالأمم التي أشركت بالله ﷻ وكذبت الرسل، وفي مقابل ذلك، بيان ما أعده الله ﷻ من نعيم للمتقين الصادقين، الذين صبروا على أذى المشركين.

٤ ـ موضوع الهجرة في سبيل الله ﷻ، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله تعالى.

٥ ـ بيان حقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان.

٦ ـ قضية التحليل والتحريم وأوهام المشركين حول هذه القضية.

٧ ـ موضوعات المعاملة: العدل والإحسان، والإنفاق، والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة.

٨ ـ إثبات رسالة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وأنّ شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة النحل بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١﴾ [النحل: ١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿**عَمَّا تُشْرِكُون**﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بياء الغيبة[٧٣٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً، يقال شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا، قال ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه: ٣٢]، وشرك الإنسان في الدين ضربان:

أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

والثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]»[٧٤٠].

التفسير:

يقول تعالى: قَرُب قيام الساعة، ودنا واقترب ما وعدتم به من العذاب أيها الكفرة، وعبَّر عن ذلك بأمر الله تعالى تفخيماً وتهويلاً، وإيذاناً بأن إتيان الساعة منوط بحكم الله ﷻ وقضائه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾ أيها المشركون، تنزه الله ﷻ وتقدس عن إشراككم به غيره من الأنداد والأوثان[٧٤١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بتاء الخطاب جرياً على الخطاب قبله في قوله تعالى ﴿تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾[٧٤٢]، وفيه مزيد تبكيت وتقريع للمشركين على فعلهم بتوجيه الكلام مباشرة إليهم[٧٤٣] حيث إنّ «أسلوب الخطاب أخص من أسلوب

(٧٣٩) انظر: النشر ج٢ص٢٨٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.
(٧٤٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٥٩، ٢٦٠ ـ باختصار.
(٧٤١) المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٠٣.
(٧٤٢) انظر: الدر المصون ج٤ص٣١١.
(٧٤٣) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٩.

الغيبة»[٧٤٤]، قال الطبري: «إنّما هو وعيد من الله للمشركين، ابتدأ الآية بتهديدهم، وختم آخرها بنكير فعلهم، واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم»[٧٤٥].

والقراءة بالياء إخبار عن أهل الكفر[٧٤٦]، وذلك على الالتفات[٧٤٧] حيث عدل عن الخطاب للكفرة إلى الغيبة تحقيراً لهم لفظاعة فعلهم، وكأنهم لقلة شأنهم غير حريين بالخطاب[٧٤٨]، كما أنّ حكاية حالهم لغيرهم لينكروا عليهم فعلهم، فيه استعظام لقبح فعلهم، فالإنسان يحب نفسه، ولا ينكر عليها ولا يستعظم منها العظائم بل من غيره[٧٤٩].

٢ ـ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: ٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس ﴿يُنْزِلُ﴾ بإسكان النون وتخفيف الزاي، ﴿المَلائِكَةَ﴾ بالنصب.

٢ ـ قرأ روح ﴿تَنَزَّلُ﴾ بتاء ونون مفتوحة وزاي مفتوحة مشددة، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بياء مضمومة ونون مفتوحة وزاي مكسورة مشددة، ﴿الْمَلائِكَةَ﴾ بالنصب[٧٥٠].

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءات عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ

(٧٤٤) الإكسير في علم التفسير ص ١٧٧.

(٧٤٥) تفسير الطبري ج١٤ص٧٦.

(٧٤٦) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٧٦، الدر المصون ج٤ص٣١١.

(٧٤٧) انظر: حاشية الشهاب ج٥ص٥٤٦.

(٧٤٨) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨، ٢٩.

(٧٤٩) انظر: الإكسير في علم التفسير ص ١٧٩.

(٧٥٠) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحجر: ٨][751].

٣ ـ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿بِشَقِّ الأَنْفُسِ﴾ بفتح الشين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ﴾ بكسر الشين[752].

٣ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿لَرَءُوفٌ﴾.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿لَرَؤُف﴾[753].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ﴾

الشِّق: الجهد والعناء والانكسار الذي يلحق النفس والبدن[754]، والشَّق: لغة فيها، تقول العرب: بشَق وبشِق، وبرَقّ وبِرِقّ[755].

قال ابن فارس: «(شقّ): الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء، ثم يحمل عليه ويشتق منه على معنى الاستعارة، تقول شققت الشيء أشقه شَقّاً إذا صدعته، ويُقال لنصف الشيء (الشِّق)، ويقال أصاب فلاناً شِقٌّ ومَشَقَّة، وذلك الأمر الشديد كأنه من شِدَّته يَشُقُّ الإنسان شقّاً»[756].

(٧٥١) انظر ص٢٠٠ من هذا البحث.
(٧٥٢) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.
(٧٥٣) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣.
(٧٥٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٦٤، لسان العرب ج٤ص٢٣٠٢.
(٧٥٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨١.
(٧٥٦) معجم مقاييس اللغة ج٣ص١٧٠، ١٧١ ـ باختصار.

وقال ابن منظور: «الشِّق والمشقة: الجهد.

٢ - ﴿لرَءُوفٌ﴾، ﴿لرَؤُف﴾:

«(رأف) الرأفة الرحمة وقيل أَشد الرحمة، رَأَفَ به يَرْأَفُ ورئِفَ ورَؤُفَ رَأْفَةً ورَآفَةً، ومن صفات الله ﷻ الرؤوف وهو الرحيمُ لعباده العَطُوفُ عليهم بأَلطافه والرأْفةُ أَخصُّ من الرحمةِ وأَرَقُّ، وفيه لغتان قرئ بهما معاً رَءوفٌ على فَعُولٍ ورؤُفٌ على فَعُلٍ»(٧٥٧).

التفسير:

في الآيات السابقة لهذه الآية يعدد الله ﷻ النعم التي أنعمها على عباده ويورد من هذه النِعم خلق الأنعام لمصالح البشر، ويبين الله ﷻ في هذه الآية أنّ من تلك المصالح أنّ الأنعام تحمل أحمال البشر الثقيلة التي يعجزون عن حملها إلى بلدٍ بعيد لم يكونوا ليصلوا إليه إلاّ بالمشقة العظيمة والجهد الكبير، وذلك إنما هو رأفة ورحمة من الله تعالى بالناس(٧٥٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - ﴿**بِشَقّ الأَنفس**﴾ بفتح الشين وكسرها لغتان بمعنى المشقة، مثل رِقّ، ورَقّ، ويجوز أن تكون القراءة بفتح الشين بمعنى المصدر، من شَققت عليه أَشُقُّ شَقّاً. والقراءة بكسر الشين بمعنى: النصف، أي: لم تكونوا بالغيه إلاّ بنقص من القوة وذهاب شِق منها، يعني: إلاّ بنصف أنفسكم، كأن النفس تذوب نصباً وتعباً لما ينالها من المشقة، كما تقول لم تنله إلا بقطعة من كبدك على المجاز(٧٥٩).

قال ابن منظور: «وأكثر القراء على كسر الشين، معناه إلا بجهد

---

(٧٥٧) لسان العرب ج٣ص١٥٣٥ - باختصار، وانظر: المحيط في اللغة ج١٠ص٤٧١، المفردات في غريب القرآن ص٢٠٨، القاموس المحيط ص١٠٤٩.

(٧٥٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨٠، ٨١، صفوة التفاسير ج٢ص١٢٠.

(٧٥٩) انظر: حاشية زاده ج٥ص٢٤٩، تفسير القرطبي ج١٠ص٧٢، الدر المصون ج٤ص٣١٤، روح المعاني ج١٤ص١٠٠.

الأنفس، وكأنه اسم وكأنّ الشّق فعل»(٧٦٠).

والمتأمل لكلتا القراءتين يجد أنّ القراءتين ترسمان صورة حية للمشقة الحاصلة، وكأن المرء شيءٌ يُشق ويُصدع، فالقراءة بفتح الشين على معنى المصدر ترسم صورة حدوث الفعل أي: الشَق، أمّا القراءة بالكسر فترسم صورة الشيء وقد حدث فيه الشّق أي: الصدع، أو صورته وقد شُق قسمين وذهب أحد النصفين. ويمكن القول إنّ القراءة بالفتح أفادت حدوث المشقة الشديدة والقراءة بالكسر أفادت ما ينتج عن هذه المشقة من ذهاب للقوة وحدوث للضعف. والله تعالى أعلم.

٢ ـ ﴿لَرَءُوفٌ﴾، ﴿لَرَؤُف﴾، لغتان بمعنىً واحد وهو أشدّ الرحمة، والأولى بزيادة مبناها بحرف المد توحي باتساع هذه الرحمة وشمولها، والثانية وهي أقل مبنًى في الحروف توحي بسرعة تنزل هذه الرحمة على جميع الخلق. والله تعالى أعلى وأعلم.

٤ ـ ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ [النحل: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿نُنبِتُ﴾ بنون العظمة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُنۢبِتُ﴾ بياء الغيبة(٧٦١).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يُنۢبِتُ﴾: يُخرج النبات من الأرض، يقال أنبت الله النبات من الأرض إنباتاً، ويقال أنبت البقل (لازماً) أي نبت(٧٦٢). قال الراغب: «(نبت): النبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق

(٧٦٠) لسان العرب ج٣ص٢٣٠٢.

(٧٦١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٧٦٢) انظر: لسان العرب ج٦ص٤٣١٧، ٤٣١٨.

كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، وعلى هذا قوله: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النبأ: ١٥]، ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً، والإنبات يستعمل في كل ذلك، قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ﴾ [النحل: ١١]»(٧٦٣).

التفسير:

ذكر الله تبارك وتعالى في الآيات السابقة نعمته على خلقه في إنزال الماء من السماء، ويبين في هذه الآية نعمته عليهم في إخراج النبات من الأرض بصنوف مختلفة بهذا الماء، حيث أنبت لهم الزرع، والزيتون والنخيل والأعناب، ومن كل الثمرات غير ذلك أرزاقاً لهم وأقواتاً وفاكهة، تفضلاً منه وحجة على من كفر منهم. وذلك إنّما هو دلالة واضحة وحجة دامغة، وعلامة بينة لقوم يعتبرون مواعظ الله، ويتفكّرون في حججه، فيتذكرون وينيبون(٧٦٤).

قال أبو حيان: «وبدأ بالزرع لأنه قوت أكثر العالم، ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه، وهي ضرورية مع منفعة أكله، ثم بالنخل لأنّ ثمرته من أطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد، ثم بالأعناب لأنها فاكهة محضة ثم قال: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، أتى بلفظ ﴿مِن﴾ التي للتبعيض، لأنّ كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وختم ذلك تعالى بقوله: ﴿لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، لأنّ النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل واستعمال فكر»(٧٦٥).

---

(٧٦٣) المفردات في غريب القرآن ص٤٨٠، وانظر: القاموس المحيط ص ٢٠٦.

(٧٦٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٨، صفوة التفاسير ج٢ص١٢٠.

(٧٦٥) البحر المحيط ج٥ص٤٦٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالياء إجراءً للكلام على لفظ الغيبة، على نسق ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾ [النحل: ١٠]، والقراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم[٧٦٦]. «والقيمة الفنية في أسلوب الالتفات هنا تكمن في تفخيم المعنى، واستحضار المقام الأسنى لأسماء الله الحسنى»[٧٦٧]. وعليه فإنّ فائدة تنوع القراءة في هذه الآية فائدة بلاغية، فإجراء الكلام على نسق ما قبله على الأصل وهو حسن، والتنوع في أسلوب الخطاب يجذب انتباه السامع ليعقل ما يُلقى إليه من البيان، إضافة إلى ما تحمله القراءة بالنون من معاني التعظيم لله ﷻ. والله تعالى أعلى وأعلم.

٥ - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ [النحل: ١٢].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر ﴿**والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ**﴾ برفع الأسماء الأربعة.

٢ - قرأ حفص ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ بالنصب فيهما، ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ بالرفع فيهما.

٣ - قرأ الباقون ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ بنصب الأربعة ولا يخفى أنّ نصب ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ يكون بالكسرة لكونه جمعاً بألف وتاء[٧٦٨].

(٧٦٦) انظر: الكشف ج٢ص٣٤، الملخص في إعراب القرآن ص١٣١، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٧، ٣١٨.

(٧٦٧) التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص ٢٧٢.

(٧٦٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، ٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿**والشمس**﴾: (الشمس) يقال لقرص الشمس، وللضوء المنتشر عنها، والجمع شُموس، وشَمَسَ يومنا وأشمس صار ذا شمس، وشَمس فلان شِماساً إذا ندَّ ولم يستقر، تشبيهاً له بالشمس في عدم استقرارها(٧٦٩).

٢ ـ ﴿**والقمر**﴾: (القمر) قمر السماء، يكون في الليلة الثالثة، وسُمِي بذلك لأنه يَقْمُرُ(٧٧٠) ضوء الكواكب ويفوز به، والقمراء: ضوء القمر، والأقمر: الأبيض(٧٧١).

٣ ـ ﴿**والنجوم**﴾: النجوم جمع نجم، وأصل النجم: الكوكب الطالع، ونَجم نُجوماً ونَجْماً: طلع، فصار النجم مرة اسماً ومرة مصدراً، ومنه شُبه به طلوع النبات والرأي، فقيل نجم النبت، ونَجم لي رأي نَجْماً ونُجوماً، والنجم: ما لا ساق له من النبات، ونَجَّمت المال: وزَّعته. ويجمع النجم على أَنْجُم ونُجُوم وأَنْجام ونُجُم(٧٧٢).

٤ ـ ﴿**مسخرات**﴾: مسخرات: أي مذلّلات، يقال: سَخَره سِخرِياً، بالكسر وبالضم: كلّفه ما لا يريد، وقهره، وسَخَّره تَسْخيراً: ذلَّله، وكلفه عملاً بلا أجرة، والتسخير سياقة إلى الغرض المختص قهراً، والمُسَخَّر هو المقيض للفعل، والسُّخرِيُّ هو الذي يُقهر فيَتَسَخَّر بإرادته(٧٧٣).

التفسير:

يقول تعالى: ومن نِعَمه عليكم أيها الناس أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ اَلنُّجُومَ نوراً وضياءً، ولتهتدوا بها في ظلمات البرّ

---

(٧٦٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٧.

(٧٧٠) يقمر: يراهن فيغلب، يقال قامره مقامرة وقماراً فقمره أي: راهنه فغلبه. (انظر: القاموس المحيط ص٥٩٨).

(٧٧١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤١٢، القاموس المحيط ص٥٩٨.

(٧٧٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٣، القاموس المحيط ص١٤٩٩.

(٧٧٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٧، القاموس المحيط ص٥١٩.

والبحر، إنّ في تسخير الله ذلك لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله[774].

قال الشوكاني: «﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ معنى تسخيرهما للناس: تصييرهما نافعين لهم بحسب ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم، يتعاقبان دائماً، كالعبد الطائع لسيده لا يخالف ما يأمره به ولا يخرج عن إرادته ولا يهمل السعي في نفعه. وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم، فإنها تجري على نمط متحد يستدل بها العباد على مقادير الأوقات، ويهتدون بها ويعرفون أجزاء الزمان»[775].

وقال الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه سخر لخلقه خمسة أشياء عظام، فيها من عظيم نعمته ما لا يعلمه إلا هو، وفيها الدلالات الواضحات لأهل العقول على أنه الواحد المستحق لأن يعبد وحده»[776].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة حفص بنصب ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ على أنهما معطوفان على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ لأنه في محل نصب مفعول لـ ﴿وَسَخَّرَ﴾، ورفع ﴿وَٱلنُّجُومُ﴾ على الابتداء و﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ على الخبر[777].

قال أبو السعود: «وحيث لم يكن عَودُ منافعِ النجوم إليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من المَلَوَين[778] والقمَرَين لم يُنسَبْ تسخيرُها إليهم بأداة

(٧٧٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٨.

(٧٧٥) فتح القدير ج٣ص١٥٢.

(٧٧٦) أضواء البيان ج ٣ص٢٠٥.

(٧٧٧) انظر: الكشف ج٢ص٣٥، تفسير القرطبي ج١٠ص٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٩.

(٧٧٨) المَلَوان: الليلُ والنهار وهو كالصفة لهما لكثرة تكررهما واتساع مدَّتِهما، والمَلا: ما اتَّسَع من الأرض، وقيل هي: الفَلاة وألفه منقلبة عن واو من المُلاوَة وهو: الوقتُ من الدَّهرِ وفي التنزيل: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ۝١٨٣﴾ [الأعراف: ١٨٣]، أي أُوَسِّع لهم وأُمهِلُهم. (انظر: القاموس المحيط ص١٧٢١).

الاختصاص بل ذُكر على وجه يفيد كونَها تحت ملكوتِه تعالى من غير دِلالةِ على شيءٍ آخرَ ولذلك عُدِل عن الجملة الفعليةِ الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار، وإنما ذلك أدلةُ التوحيد من حيث إن مَنْ هذا شأنُه لا يتوهم أن يشاركه شيءٌ في شيءٍ فضلاً عن أن يشاركه الجمادُ في الألوهية»(٧٧٩)، قلت: لمّا كان أكثر ضلال الناس بالنجوم وأنّ لها تصرفاً في شئون الخلق فقد أكدت قراءة الرفع في ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ﴾ مع نصب السابق، على كون النجوم مسخرة بأمر الله وتحت إمرته وقدرته، وأنها ليست أهلاً لأن تُعبد.

وقراءة ابن عامر برفع الأسماء الأربعة على أنّ ﴿والشمس﴾ مبتدأ، ﴿والقمر والنجوم﴾ معطوفان على ﴿والشمس﴾، و﴿مسخرات﴾ خبر(٧٨٠). ويتأتى على هذه القراءة عدم نسبة تسخير الشمس والقمر والنجوم للناس بأداة الاختصاص، بل ذكرها على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى. «واعتبار عدم كون ظهور المنافع بمثابة السابق بالنظر إلى المجموع. ومن الناس من قال في ذلك: إن المراد بتسخير الليل والنهار لهم نفعهم بهما من حيث إنهما وقتا سعي في المصالح واستراحة، ومن حيث ظهور ما يترتب عليه منافعهم مما نيط به صلاح المكونات التي من جملتها ما فَصَّل وأجمل، مثلاً كالشمس والقمر فيهما، ويؤل ذلك بالآخرة إلى النفع بذلك، وهو معنى تسخيره لهم، فيكون تسخير الليل والنهار لهم متضمناً لتسخير ذلك لهم، فحيث أفاده الكلام أولاً، استغنى عن التصريح به ثانياً وصرح بما هو أعظم شأناً منه، وهو أن تلك الأمور لم تزل ولا تزال مقهورة تحت قدرته منقادة لإرادته ومشيئته سواء كنتم أو لم تكونوا فليتدبر»(٧٨١). قلت: وقد أفادت هذه القراءة أنّ الله ﷻ قد خلق هذه الأشياء العظام وهي:

(٧٧٩) تفسير أبي السعود ج٣ص٢٥١، وانظر: روح المعاني ج١٤ص١٠٩.

(٧٨٠) انظر: الكشف ج٢ص٣٥، الملخص في إعراب ص ١٣١، تفسير القرطبي ج١٠ص٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٩.

(٧٨١) روح المعاني ج١٤ص١٠٩.

الشمس، والقمر، والنجوم مذللة منقادة لأمره، لئلا يظن ظان أنها لعظمتها لها تصرف في أمور الخلق أو أنها تضر وتنفع أو أنها أهل لأن تُعبد.

وقراءة الباقين بنصب الأسماء الأربعة على أنّ ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ معطوفة على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾، و﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ حال مؤكدة كقوله ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١](٧٨٢). والمعنى: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره وقدرته(٧٨٣).

قال ابن عاشور: «وهذا انتقال للاستدلال بإتقان الخلق على وحدانية الخالق وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان. وقرأ الجمهور جميع هذه الأسماء منصوبة على المفعولية لِفعل سخر. وقرأ ابن عامر ﴿**والشمسُ والقمرُ والنجومُ**﴾ بالرفع على الابتداء ورفع ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ على أنه خبر عنها. فنكتة اختلاف الإعراب الإشارة إلى الفرق بين التسخيرين. وقرأ حفص برفع ﴿ٱلنُّجُومِ﴾ و﴿**مسخراتٌ**﴾. ونكتة اختلاف الأسلوب الفرق بين التسخيرين من حيث إن الأول واضح والآخر خفيّ لقلّة من يرقب حركات النجوم»(٧٨٤).

وبالجمع بين القراءات في الآية يُفهم أنّ الله تعالى قد سخر للناس هذه الأشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرة تحت قدرة الله ﷻ وأمره وإذنه، كما أنّ تلك الأشياء لم تزل ولا تزال مقهورة تحت قدرة الله تعالى منقادة لإرادته ومشيئته سواء أكان الخلق أم لم يكونوا، وفي ذلك امتنان على الخلق واستدلال على وحدانية الله تعالى وأنه الواحد الأحد المستحق للعبادة. والله تعالى أعلى وأعلم.

فائدة:

«إن قيل إنّ التسخير عبارة عن القهر والقسر، ولا يليق ذلك إلا بمن

(٧٨٢) انظر: حجة القراءات ص٣٨٦، الكشف ج٢ص٣٥، تفسير القرطبي ج١٠ص٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٩.

(٧٨٣) انظر: الكشاف ج ٢ص٤٠٣، تفسير الفخر الرازي ج٢٠ص٤.

(٧٨٤) التحرير والتنوير ج١٤ص١١٦.

هو قادر يجوز أن يُقهر، فكيف يصح ذلك في الليل والنهار وفي الجمادات والشمس والقمر؟

والجواب: أنه تعالى لما دبر هذه الأشياء على طريقة واحدة مطابقة لمصالح العباد صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع، فلهذا المعنى أطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير»(٧٨٥).

٦ ـ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾(٧٨٦).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤](٧٨٧).

٧ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ويعقوب ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء(٧٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

(دعا) الدُّعاءُ: العبادة، قال الله ﷻ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥] أي

---

(٧٨٥) تفسير الفخر الرازي ج٢٠ص٤ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٧٨٦) انظر: النشر ج٢ص٢١٦.

(٧٨٧) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

(٧٨٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

أَتَعْبُدون رَبّاً سِوَى الله، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨] أَي: لا تَعْبُد. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الدُّعاءُ هو العِبادَة ثم قرأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى...﴾ [غافر: ٦٠](٧٨٩)»(٧٩٠).

قال الراغب: «(دعا): الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]، ويستعمل استعمال التسمية نحو: دعوت ابني زيدا أي: سميته، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] حثاً على تعظيمه، وذلك مخاطبةُ من كان يقول يا محمد ﷺ. ودعوته إذا سألته وإذا استغثته، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي سَلْهُ، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام: ٤٠] تنبيهاً أنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا إلا إليه، وقوله ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٤] هو أن يقول: يا لهفاه ويا حسرتاه ونحو ذلك من ألفاظ التأسف، والمعنى: يحصل لكم غموم كثيرة، والدعاء إلى الشيء الحثّ على قصده، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقوله ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ [غافر: ٤٣] أي رِفعةٌ وتَنْوِيهٌ»(٧٩١).

التفسير:

هذه الآية شروع في تحقيق وتوضيح كونِ الأصنام بمعزلٍ من استحقاق العبادةِ، بحيث لا يبقى فيه شائبةُ ريب، وذلك بتعداد أوصافِها وأحوالِها

(٧٨٩) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة ح(٢٩٨٠) ج٤ص٤٥٢، ٤٥٣، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٧٩٠) انظر: لسان العرب ج٢ص١٣٨٥.

(٧٩١) المفردات في غريب القرآن ص١٦٩، ١٧٠ ـ باختصار وتصرف يسير.

المنافية لذلك منافاةً ظاهرةً، وتلك الأحوالُ وإن كانت غنيةً عن التوضيح والبيان إلاّ أنها شُرحت للتنبيه على كمال حماقةِ من يعبد هذه الأصنام، وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح، فهذه الأصنام التي يعبدونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ﷻ لا تستطيع أن تخلق شيئاً من الأشياء أصلاً بل شأنُها ومقتضى ذاتِها أنها مخلوقة صنعها البشر بأيديهم. فكيف يكون إلهاً ما كان مَخلوقاً، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً[٧٩٢].

قال الألوسي: «والمراد بالخلق منفياً ومثبتاً المعنى المتبادر منه[٧٩٣]. وَجُوِّز أن يراد من الثاني النحت والتصوير بناءً على أنّ المراد من الذين يدعونهم الأصنام»[٧٩٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على اعتبار أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾ [النحل: ١٩] موجه إلى الكفار، فإنّ القراءة بتاء الخطاب تكون جرياً على الخطاب قبلها[٧٩٥]، وفيها مزيد تبكيت وتقريع للمشركين على فعلهم بتوجيه الكلام مباشرة إليهم[٧٩٦] حيث إنّ «أسلوب الخطاب أخص من أسلوب الغيبة»[٧٩٧].

والقراءة بالياء إخبار عن أهل الكفر[٧٩٨]، وذلك على الالتفات[٧٩٩]

(٧٩٢) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٩٣، تفسير ابن كثير ج٣ص١١، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٥٥، ٢٥٦، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١١٢، صفوة التفاسير ج٢ص١٢٢.

(٧٩٣) وهو: إبداع الشيء من غير مثال سابق. (انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٥٧).

(٧٩٤) روح المعاني ج١٤ص١١٩، ١٢٠، وانظر: تفسير أبي السعود ج٣ص٢٥٦.

(٧٩٥) انظر: الدر المصون ج٤ص٣١١، فتح القدير ج٣ص١٥٦.

(٧٩٦) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٩.

(٧٩٧) الإكسير في علم التفسير ص ١٧٧.

(٧٩٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٧٦، الدر المصون ج٤ص٣١١.

(٧٩٩) انظر: حاشية الشهاب ج٥ص٥٤٦.

حيث عدل عن الخطاب للكفرة إلى الغيبة تحقيراً لهم لفظاعة فعلهم، وكأنّهم لقلة شأنهم غير حريين بالخطاب[٨٠٠]، كما أنّ حكاية حالهم لغيرهم لينكروا عليهم فعلهم، فيه استعظام لقبح فعلهم، فالإنسان يحب نفسه، ولا ينكر عليها ولا يستعظم منها العظائم بل من غيره[٨٠١].

وعلى اعتبار أنّ الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ موجه للمؤمنين، فإنّ القراءة بياء الغيبة خطاب للمؤمنين، أجراه على الإخبار عن الكفار وهم غُيَّب، والقراءة بالتاء على الخطاب للكفار، والمعنى: قل لهم يا محمد والذين تدعون من دون الله[٨٠٢]، وفي القراءة بياء الغيبة زيادة تبيين لصرف الخطاب إلى المشركين في قراءة من قرأ بتاء الخطاب[٨٠٣]. والله تعالى أعلم.

٨ ـ ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع ﴿تُشَاقُّونِ﴾ بكسر النون.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُشَـٰٓقُّونَ﴾ بفتح النون[٨٠٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(شق): الشق الخرم الواقع في الشيء، يقال شققته بنصفين، والشقاق المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك أو من شق العصا بينك وبينه قال

(٨٠٠) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨، ٢٩.

(٨٠١) انظر: الإكسير في علم التفسير ص ١٧٩.

(٨٠٢) انظر: الكشف ج٢ص٣٦.

(٨٠٣) التحرير والتنوير ج١٤ص١٢٦.

(٨٠٤) انظر: الكافي ص١٢٤، مختصر في مذاهب القراء السبعة ص١٥٨، النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: مخالفة، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: صار في شق غير شق أوليائه»[٨٠٥].

التفسير:

وصف الله ﷻ في الآيات السابقة أمر الذين مكروا، وأنبأ عما فُعل بهم في الدنيا من تعجيل العذاب لهم، ويخبر الحق سبحانه في هذه الآية أنه سيفضح الذين مكروا يوم القيامة، ويظهر ما كانوا يسرونه من المكر، ويخزيهم على رءوس الخلائق، ويقول لهم مقرعاً وموبخاً: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي، وكنتم تحاربون وتعادون في سبيلهم، أين هم عن نصركم وخلاصكم هاهنا؟، ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٣]. فإذا قامت عليهم الحجة، وحقت عليهم الكلمة، وأُسكتوا عن الاعتذار، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم الأنبياء والعلماء، المخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة، وقيل هم الملائكة، وقيل المؤمنون، فيقولون حينئذ: إنّ الفضيحة والعذاب اليوم محيط بالكافرين[٨٠٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من خفف وفتح النون أنه لم يرد الإضافة إلى ياء المتكلم، فأتى بنون الإعراب الدالة على الرفع مفتوحة على الأصل[٨٠٧]، والمعنى: تشاقّون المؤمنين وتعادونهم[٨٠٨]. وحجة من قرأ ﴿تُشَاقُّونِ﴾ بكسر النون أنه أراد (تشاقونَنِي) على الإضافة إلى ياء المتكلم، فحذفت إحدى النونين استثقالاً للجمع بينهما، ثم حذفت الياء اجتزاءً بالكسرة عنها، وياء المتكلم ضمير

(٨٠٥) المفردات في غريب القرآن ص٢٦٤ ـ باختصار.

(٨٠٦) انظر: زاد المسير ج٤ص٣٢٢، تفسير الطبري ج١٤ص٩٨، ٩٩، الكشاف ج٢ص٤٠٧، تفسير ابن كثير ج٣ص١٣، تفسير الثعالبي ج٢ص٢٢٥.

(٨٠٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص ٣٨٨، الكشف ج٢ص٣٠، ٣١، أضواء البيان ج٣ص٢٣٦.

(٨٠٨) انظر: الكشّاف ج٣ص٤٠٧، تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٢، التحرير والتنوير ج١٤ص١٦٣.

يعود على الله ﷻ وهي في محل نصب مفعول به[٨٠٩]، والمعنى: تشاقون الله؛ وذلك لأنّ مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله[٨١٠]، وفيها تعظيم لشأن المؤمنين وتهديد لكل من يشاقّهم. والله أعلم.

٩ - ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل: ٢٨].

القراءات:

١ - قرأ حمزة وخلف ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء[٨١١].

المعنى اللغوي للقراءات:

(وفى): الوافي الذي بلغ التمام، يقال: درهم واف، وكَيل واف، ووفى بعهده يفي وفاء. وتوفية الشيء: بذله وافياً، واستيفاؤه تناوله وافياً، قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥]، والوفاة: المَنيّة، وتُوفيَ فلان، وتوفاه الله، إذا قبض نَفْسَه. وتَوَفِّي الميت، بمعنى: استيفاء مُدَّته التي كُتبت من عدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا. ويقال: تَوَفَّيْت المال منه، واستوفيته، إذا أخذته كله، وتَوفَّيْتَ عدد القوم، إذا عَدَدْتَهم كلَهم[٨١٢]. «قال الزجاج[٨١٣] في قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾: هو من توْفية العدد، وتأويله: أنَ يقبض أرواحكم أجمعين فلا

---

(٨٠٩) انظر: زاد المسير ج٤ص٣٢٢، الحجة في القراءات السبع ص٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص ٣٨٨، الكشف ج٢ص٣٠، ٣١، أضواء البيان ج٣ص٢٣٦، ٢٣٧.

(٨١٠) انظر: الكشّاف ج٣ص٤٠٧، تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٢.

(٨١١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٨١٢) انظر: تهذيب اللغة ج١٥ص٥٨٤، ٥٨٥، المفردات في غريب القرآن ص٥٢٨، ٥٢٩.

(٨١٣) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، له معاني القرآن، الاشتقاق، إعراب القرآن وغيرها، توفي في بغداد سنة ٨٥٥هـ. (انظر: الأعلام ج١ص٤٠).

يَنْقُص واحدٌ منكم»(٨١٤).

التفسير:

يخبر الله ﷻ عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم، حيث إنّهم استسلموا لأمر الله ﷻ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم، ويخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا: ما كنا نعصي الله، رجاء أن ينجوا بذلك، فكذّبهم الله فقال: بل كنتم تعملون السوء وتصدّون عن سبيل الله، إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي(٨١٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بالتاء فلتأنيث لفظ الملائكة(٨١٦) ولأنه مسند إلى جماعة(٨١٧)، قال ابن زنجلة: «اعلم أنّ فعل الجميع إذا تقدم يُذَكّر ويؤنث، فإن ذَكَّرتَه أردت جمع الملائكة، وإذا أنثته أردت جماعة الملائكة»(٨١٨)، قال ابن قتيبة: «والتأنيث إنما هو تأنيث الجماعة وليس يلحق الملائكة في التاء تأنيث»(٨١٩)، فلا حجة لمن ادعى تفضيل قراءة التذكير على التأنيث ليخالف قول الكفار الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النجم: ٢٧](٨٢٠).

وحجة من قرأ ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بياء المضارعة التي للمذَكَّر أنه ذَكّر على المعنى، كما يقوي التذكير أنه قد فُرّق بين المؤنث اللفظي وفعله بالضمير

(٨١٤) تهذيب اللغة ج١٥ص٥٨٥.

(٨١٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص٩٩، تفسير ابن كثير ج٣ص١٣، أضواء البيان ج٣ص٢٣٧.

(٨١٦) انظر: الكشف ج١ص٣٤٢، حاشية زاده ج٥ص٢٦٥.

(٨١٧) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٥ص٦٣، تفسير البغوي ج١ص٢٨٤.

(٨١٨) حجة القراءات ص٣٨٨، وانظر تفسير الطبري ج٣ص٢٤٩.

(٨١٩) الكشف ج٢ص٣٧.

(٨٢٠) انظر: المرجع السابق ج٢ص٣٦، ٣٧.

المتصل (هم)[٨٢١].

يلاحظ مما سبق أنّ اختلاف القراءة جاء على قاعدة نحوية مشتهرة عند العرب، في تذكير الفعل وتأنيثه، فأكد صحة هذه القاعدة، دون ترجيح لوجه على الآخر. وقراءة ﴿يتوفاهم﴾ بالياء على الأصل لأن المَلَك يُذكّر، كما أنّ الذي يتولى قبض الروح هو ملك الموت، وإن حضر معه جمع من الملائكة لهذا الغرض، وأيضاً فإنّ التذكير قد ناسب رهبة الموقف وشدته لما في التذكير من معاني القوة[٨٢٢]، أمّا القراءة ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بتاء التأنيث، وفي التأنيث معنى الكثرة، فقد أفادت كثرة حدوث الفعل ـ فالتوفي مستمر إلى يوم القيامة، وحال الملائكة مع الكافرين في هذا الموقف سواء ـ أو كثرة عدد الملائكة، وفيه تأكيد على شدة الموقف ورهبته. والله تعالى أعلم.

١٠ ـ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء[٨٢٣].

والحديث عن هاتين القراءتين كالحديث عن القراءتين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل: ٢٨]. مع مراعاة الاختلاف بين حال الكافرين، وحال المؤمنين[٨٢٤].

١١ ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل: ٣٣].

---

(٨٢١) انظر: المرجع السابق ج١ص٣٤٢.

(٨٢٢) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧.

(٨٢٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٨٢٤) انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء(٨٢٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الإِتْيانُ: المجيء. وقد أَتَيْتهُ أَتْياً وأَتَوْته أَتْوَةً لغة فيه. وتقول: أَتَيْتُ الأمر من مَأْتاتِهِ، أي من مَأتاه، أي من وجهه الذي يُؤتَى منه. وتقول: آتَيْتُتُه على ذلك الأمر مواتاةً، إذا وافقتَه وطاوعته»(٨٢٦).

التفسير:

يقول تعالى مهدداً المشركين على اغترارهم بالدنيا وتماديهم في الباطل: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلاّ أن تجيء الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر الله ﷻ بالعذاب المُسْتَأصل لهم أو بحشرهم ليوم القيامة. ومثل ذلك الفعل من التمادي في الشرك والتكذيب، فعل أسلافهم من المشركين بالله، حتى استحقوا عقاب الله ﷻ، فعُجّل لهم، وما ظلمهم الله ﷻ بتدميرهم وإحلال سخطه عليهم، ولكنّهم ظلموا أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم(٨٢٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

سبق توجيه تذكير الفعل وتأنيثه قبل لفظ ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ عند بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)﴾ [النحل: ٢٨](٨٢٨).

(٨٢٥) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، ٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

(٨٢٦) الصحاح ج٦ص٢٢٦١، ٢٢٦٢ ـ باختصار، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص ٨، ٩.

(٨٢٧) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٠٣، تفسير ابن كثير ج٣ص١٥، تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٣.

(٨٢٨) انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

والقراءة ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ بالياء على تذكير الفعل ـ وفي التذكير معنى القوة والرهبة[829] ـ ناسبت رهبة الموقف وشدته، أمّا القراءة ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء على تأنيث الفعل ـ وفي التأنيث معنى الكثرة[830] ـ فقد أفادت كثرة عدد الملائكة، وفيها أيضاً تأكيد لشدة الموقف ورهبته. والله تعالى أعلم.

١٢ ـ ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿لَا يَهْدِى﴾ بفتح الياء وكسر الدال وياء بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لا يُهْدَى﴾ بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها[831].

المعنى اللغوي للقراءات:

«هدى: الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية وهوادى الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهديت وما كان إعطاء بأهديت نحو أهديت الهدية وهديت إلى البيت. وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بِقَدْر فيه حسب احتماله كما قال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

---

(٨٢٩) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧.

(٨٣٠) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٦.

(٨٣١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المَعْنِي بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المَعْنِي بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: ٥]. والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات، وإلى الأول أشار بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وكل هداية ذكر الله تعالى أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل: ١٠٧]، وكل هداية نفاها الله عن النبي ﷺ وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة، كقوله عز ذكره: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]»[٨٣٢].

«والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد لكن قد خَص الله ﷻ لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، والاهتداء يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ [النحل: ٩٧]، وقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]»[٨٣٣].

التفسير:

إن تطلب يا محمد ﷺ هداية كفار قريش بجهدك، لم ينفعك فرط

(٨٣٢) المفردات في غريب القرآن ص٥٣٨، ٥٣٩ - باختصار.

(٨٣٣) المفردات في غريب القرآن ص٥٣٩ - باختصار.

حرصك، فإنّ الله تعالى شأنه وأمره أنه لا يهدي من يُضِلُّ، فلا تجهد نفسك في أمرهم، وبلغهم ما أُرسلت به لتتم عليهم الحجة، وما لهم من الله ﷻ من ناصرين، ينصرونهم في الهداية أو يدفعون عنهم العذاب إذا أراد الله ﷻ عقوبتهم(٨٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يَهْدِى﴾ بالبناء للفاعل تحتمل وجهين: الأول: أن يكون الفعل ﴿يَهْدِى﴾ بمعنى ﴿يَهْتَدِى﴾ و﴿من﴾ هو الفاعل، كما تقول العرب: قد هدى الرجل، يريدون: قد اهتدى، أي: لا يهتدي مَنْ أضله الله، والمعنى: فإن الله مَنْ أضله لا يهتدي. والثاني: أن يكون الفعل ﴿يَهْدِى﴾ من (هَدَيْته)، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، و﴿مَنْ﴾ مفعول ﴿يَهْدِى﴾، أي: لا يهدي الله مَنْ أضله، والمعنى: أن من أضله الله فإن الله لا يهديه(٨٣٥). وعلى القراءة ﴿يُهْدَى﴾ بالبناء للمفعول، تكون ﴿من﴾ نائب الفاعل، أي: لا يُهدى من أضله الله، والمعنى: أن من حَكم الله ﷻ بإضلاله وتكذيبه فلا يُهدى من أي أحد كان(٨٣٦).

وعلى الوجه الأول - وهو أنّ ﴿يَهْدِى﴾ بمعنى يهتدي - القراءتان بمعنىً، إلا أنّ القراءة بالبناء للمفعول صريحة في عموم الفاعل بخلاف القراءة بالبناء للفاعل(٨٣٧). وعلى الوجه الثاني - وهو أنّ ﴿يَهْدِى﴾ من هديته - فإنّ القراءة بالبناء للفاعل تدل على أنّ من أضله الله تعالى لا يهديه الله

---

(٨٣٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٠٤، تفسير ابن كثير ج٣ص١٦، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٢١، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٦٤.

(٨٣٥) انظر: معاني القرآن للكسائي ص١٧٨، تفسير الطبري ج١٤ص١٠٤، حجة القراءات ص٢٨٩، الدر المصون ج٤ص٣٢٦، حاشية زاده ج٥ص٢٧٣، روح المعاني ج١٤ص١٣٩.

(٨٣٦) انظر: حجة القراءات ص٢٨٩، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٦٤، الملخص في إعراب القرآن ص ١٣٦، الدر المصون ج٤ص٣٢٦، حاشية زاده ج٥ص٢٧٣، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٦٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٢٢.

(٨٣٧) انظر: روح المعاني ج١٤ص١٤٠.

تعالى وهو الذي لا يهديه فقط[٨٣٨]، ومعلوم أنّ أحداً لا يستطيع أن يهدي من لا يريد الله هدايته، وبناء القراءة للفاعل - وهو ضمير يعود على الله ﷻ - فيه تفخيم وتهويل، وفي هذه القراءة تأكيد على أنّ الهداية بِيَدِ الله ﷻ وأنّ الرسل والدعاة ما هم إلاّ أسباب جعلها الله لتحقيق ذلك. والقراءة بالبناء للمفعول تدل على أن من أضله الله ﷻ لا يهديه أحد أيّ كان، وإن كان معلوماً أنّ من لم يَهْدِ الله فلا هادي له، وهذه القراءة أبلغ[٨٣٩] في نفي الهداية عمّن أضله الله[٨٤٠]. والله تعالى أعلم.

١٣ - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، والكسائي ﴿فَيَكُونَ﴾ بنصب النون.

٢ - قرأ الباقون ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ برفع النون[٨٤١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكون: الحَدث، تقول: كان يكون كوناً وكينونة[٨٤٢]، «و(كان) تكون بمعنى مضى وتقضّى وهي التامة، وتأتي بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع وهي الناقصة، ويُعبر عنها بالزائدة أيضاً، وتأتي زائدة، وتأتي بمعنى يَكُون في المستقبل من الزمان، وتكون بمعنى الحدوث والوقوع»[٨٤٣].

---

(٨٣٨) انظر: المرجع السابق ج١٤ص١٣٩.

(٨٣٩) استخدام عبارة: (أبلغ في نفي الهداية ...) لا يعني تفضيل قراءة على أخرى، ولكنّ المراد أنّ هذه القراءة تناولت هذه القضية بشكل أساسي، ولا يُنقص هذا من القراءة الأولى فإنها قد أكدت قضايا أخرى كما بَيَّنْتُ. (الباحثة).

(٨٤٠) انظر: تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٤، حاشية زاده ج٥ص٢٧٣، روح المعاني ج١٤ص١٣٩.

(٨٤١) انظر: النشر ج٢ص٢٢٠، البدور الزاهرة ص١٧٩.

(٨٤٢) انظر: لسان العرب ج٥ص٣٩٥٩، النواسخ الفعلية والحرفية ص٤٣.

(٨٤٣) لسان العرب ج٥ص٣٩٦١.

قال الراغب: «(كان) عبارة عما مضى من الزمان وفي كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وما استعمل منه في جنس الشيء متعلقاً بوصف له هو موجود فيه فتنبيه على أن ذلك الوصف لازم له، قليل الانفكاك منه نحو قوله في الإنسان: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] وإذا استعمل في الزمان الماضي فقد يجوز أن يكون المُستعمل فيه بقي على حالته كما تقدم ذكره آنفاً، ويجوز أن يكون قد تغير نحو كان فلان كذا ثم صار كذا ولا فرق بين أن يكون الزمان المستعمل فيه كان قد تقدم تقدماً كثيراً أو تقدم بآن واحد عن الوقت الذي استعملت فيه كان»(٨٤٤).

التفسير:

لمّا أنكر الكفار المعاد، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٨٣]، ورد الله عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٨٣]، أخبر الله ﷻ عن قدرته على ما يشاء، وأنه لا يتعاصى على قدرته شيء في الأرض ولا في السماء، وإذ يقول للشيء ﴿كن﴾ فإنه يكون بلا تأخير ولا كلفة ولا معاناة، والمعاد من ذلك، إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠](٨٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿فَيَكُونَ﴾ بفتح النون منصوباً بالعطف على قوله: أن نقول، وقيل: منصوب بـ(أن) المضمرة بعد الفاء في جواب الأمر(٨٤٦). وتبين هذه

---

(٨٤٤) المفردات في غريب القرآن ص٤٤٤ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٨٤٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٠٦، تفسير ابن كثير ج٣ص١٧، أضواء البيان ج٣ص٢٤٨.

(٨٤٦) انظر: حجة القراءات ص٣٩٠، الملخص في إعراب القرآن ص١٣٧، أضواء البيان ج٣ص٢٤٨.

القراءة التلازم بين (القول) و(الكون)، وأنه لا يمكن أن يكون الله آمراً شيئاً بالوجود إلا ويوجد.

والقراءة بالرفع على أنّ ﴿فَيَكُونُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: فهو يكون(٨٤٧)، وعلى أن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ كلام تامّ مكتف بنفسه عما بعده، ثم يُبتدأ فيُقال: ﴿فَيَكُونُ﴾(٨٤٨)، وهذه القراءة تؤكد حتمية وجود الشيء بمجرد القول. قال الطبري: «أمّا من رفع فإنه رأى أن الخبر قد تم عند قوله: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾، إذ كان معلوماً أن الله إذا حتم قضاءه على شيء كان المحتوم عليه موجوداً، ثم ابتدأ بقوله: فيكون»(٨٤٩). والقراءتان معاً تؤكدان كمال قدرة الله تعالى وأنه لا يتعذر عليه شيء أراده، إنما يقول له كن فيكون كما أراده وشاءه. والله تعالى أعلم.

١٤ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص ﴿نُوحِي﴾ بالنون وكسر الحاء وياء بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُوحَىٰ﴾ بالياء وفتح الحاء وألف بعدها(٨٥٠).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟

(٨٤٧) انظر: حجة القراءات ص٣٩٠، مشكل إعراب القرآن ج١ص٤١٨، الملخص في إعراب القرآن ص١٣٧.

(٨٤٨) انظر: القطع والائتناف ص٢٩٥، تفسير الطبري ج١٤ص١٠٦، المكتفى في الوقف والابتدا ص١٧٢.

(٨٤٩) تفسير الطبري ج١ص٥١١.

(٨٥٠) انظر: النشر ج٢ص٢٩٦، البدور الزاهرة ص١٧٩.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩][851].

١٥ ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٧].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿لَرَءُوفٌ﴾

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لَرَؤُفٌ﴾[852].

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٧][853].

١٦ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿أَوَلَمْ تَرَوْا﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بياء الغيبة[854].

٣ ـ قرأ أبو عمرو، ويعقوب ﴿تَتَفَيَّؤُ﴾ بتاء التأنيث.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾ بياء التذكير[855].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾:

---

(٨٥١) انظر ص١٣٦ من هذا البحث.

(٨٥٢) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣.

(٨٥٣) انظر ص٢٢٤ من هذا البحث.

(٨٥٤) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

(٨٥٥) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

«الرُّؤْيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ. ورأيتُه رُؤْيَةً ورَأْياً وراءَةً ورَأْيَةً ورِئْياناً وارْتَأَيْتُه واسْتَرْأَيْتُه. والحمدُ لله على رِيَّتكَ، أي رُؤْيَتِكَ. والرَّءَّاءُ، الكثيرُ الرُّؤْيَةِ»[856]. **والرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين**[857].

قال ابن عَبّاد: «ورَأَيْتُ بعَيْني رُؤْيَةً. ورَأَيْتُه رَأْيَ العَيْنِ: أي حَيْثُ يَقَعُ البَصَرُ عليه، وارْتَأَيْتُ أيضاً. وتَراءى القَوْمُ: رَأى بَعْضُهم بَعْضاً. وتَراءى لي فلانٌ: تَصَدّى لي لأراه»[858].

٢ ـ ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾:

فاءَ يَفيءُ فَيْئاً: رجع، وأفاءه غيره: رَجَعه. وإنّه لحسنُ الفِيئَةِ، أي حسنُ الرُجوعِ. والفِئَةُ: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد، قالَ تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩]. والفَيءُ: الغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة. تقول: أفاء الله على المسلمين مالَ الكفّار يُفيءُ إفاءةً، قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]. واسْتَفَأْتُ هذا المال، أي أخذته فَيْئاً. والفَيْءُ: الظلّ، والجمع أفياءٌ وفُيوءٌ، وإنما سمِّي الظلُّ فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب. وقد فَيَّأَتِ الشجرةُ تَفْيِئَةً، وتَفَيَّأْتُ أنا في فَيْئِها. وتَفَيَّأَت الظلالُ، أي تَقَلَّبَتْ[859].

قال السمين الحلبي: «واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظلّ سواء كان من قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية ههنا، وقيل: ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط، وما كان بعده فهو ظل وفيء، فالظل أعم،

(٨٥٦) القاموس المحيط ص١٦٥٨ ـ بتصرف يسير، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٠٠، لسان العرب ج٣ص١٥٣٧.

(٨٥٧) انظر: لسان العرب ج٣ص١٥٣٧.

(٨٥٨) المحيط في اللغة ج١٠ص٢٩٨.

(٨٥٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٨٩.

وقيل: بل يختص الظل بما قبل الزوال والفيء بما بعده»[٨٦٠].

التفسير:

يقول تعالى: هؤلاء الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، أولم ينظروا بعيون الأبصار متفكرين بالبصائر إلى مخلوقات الله، وكيف تتفيأ أظلتها، أي: ترجِع من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارِها أو باختلاف مشارقِ الشمس ومغاربها، عَن يَمِينِ الأجرام وشمَائِلها، أي: عن جانبي كل واحد منها، كلها منقادةٌ لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له، لما قُدّر لها من التفيّؤ، أو واقعةٌ على الأرض ملتصقةٌ بها على هيئة الساجد، والأجرام في أنفسها خاضعة أيضاً، صاغرة منقادة لأفعال الله ﷻ فيها[٨٦١].

وقد اختلف أهل التأويل في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ على أربعة أوجه: أحدها: يرجع ظلالُه، لأن الفيء الرجوع، الثاني: تميل ظلاله، الثالث: تدور ظلاله، الرابع: تتحول ظلاله.

أمّا قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ ففيه وجهان: أحدهما: يعني تارة إلى جهة اليمين، وتارة إلى جهة الشمال، لأن الظل يتبع الشمس حيث دارت، الثاني: أن اليمين أول النهار، والشمال آخر النهار.

وأمّا قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ ففيه ثلاثة تأويلات: **أحدها**: أن ظل كل شيء سجوده، **الثاني**: أن سجود الظلال سجود أشخاصها، **الثالث**: أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله ﷻ خاضعة[٨٦٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾:

(٨٦٠) الدر المصون ج٤ص٣٣٠، وانظر: البحر المحيط ج٥ص٤٨١.

(٨٦١) انظر: الكشاف ج٢ص٤١٢، نظم الدرر ج٤ تفسير أبي السعود ج٣ص٢٦٩، التفسير المنير ج١٤ص١٤٧.

(٨٦٢) انظر: تفسير الماوردي ج٣ص١٩١.

القراءة بتاء الخطاب على نسق ما قبله[٨٦٣]، وذلك على معنى مخاطبة المشركين وتقريرهم بآيات الله ﷻ، والقراءة بالياء إخبارٌ عن غُيَّب وتوبيخٌ لهم فكأنه قال: ويحهم، كيف يكفرون بالله ﷻ وينكرون البعث وهم يرون هذه الآيات البيِّنات[٨٦٤]. كما أنّ الالتفات من الخطاب إلى التكلم يحمل في طياته معنىً لطيفاً أشار إليه البقاعي فقال: «ولمّا كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا، أعرض عنهم في قراءة الجماعة تخويفاً فقال تعالى: ﴿يَرَوۡاْ﴾ بالياء التحتية»[٨٦٥]. إلى غير ذلك من المعاني الدقيقة التي تستفاد من تنوع القراءة بين الغيبة والخطاب، والتي سبق الحديث في أكثر من موضع عنها[٨٦٦].

ويمكن حَمل القراءة بالخطاب على إرادة جميع الناس، فكل مكلف مأمور أن ينظر في آيات الله ليعتبر، وحَمل القراءة بالغيبة على إرادة المشركين فقط[٨٦٧]، وفيها ما سبق ذكره من معاني التخويف والتوبيخ. والله تعالى أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُ﴾:

«الحجة لمن قرأ بالتاء أنّ لفظ (ظلال) جمع (ظل)، وكل جمع خالف الآدميين فهو مؤنث، وإن كان واحده مذكراً. ودليله قوله ﷻ في الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، والحجة لمن قرأه بالياء: أنّ (ظلال) وإن كان جمعاً فلفظه لفظ الواحد، كقولك جدار، ولذا ناسب جمع التكسير الواحد، لأنه معرب بالحركات مثله»[٨٦٨]، كما أنّ تأنيث هذا الجمع غير

(٨٦٣) انظر: الملخص في إعراب القرآن ص١٣٨، نظم الدرر ج٤ص٢٧٤.

(٨٦٤) انظر: حجة القراءات ص٣٩١، الحجة في القراءات السبع ص٢١١.

(٨٦٥) نظم الدرر ج٤ص٢٧٤.

(٨٦٦) انظر ص٢٢٨، ٢٣٥ من هذا البحث.

(٨٦٧) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٥ص٦٧، الكشف ج٢ص٣٧.

(٨٦٨) الحجة في القراءات السبع ص٢١١ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: حجة القراءات ص٣٩١.

حقيقي[٨٦٩]، أضف إلى ذلك أنّ الفعل إذا تقدم جاز التذكير منه[٨٧٠].

والقراءة بالتذكير وما توحيه من معنى القلة؛ لمناسبتها للفظ الواحد، تبين أنّ تفيؤ ظلال كل شيء على حده هو عبرة في ذاته، والقراءة بالتأنيث وما توحيه من معنى الكثرة تبين أنّ تعدد هذه الأشياء على كثرتها وتفيؤ ظلالها عبرة بالمجموع. والله تعالى أعلم.

١٧ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل: ٦٢].

القراءات:

١ - قرأ نافع ﴿مُفْرِطُون﴾ بكسر الراء مخففة.

٢ - قرأ أبو جعفر ﴿مُفَرِّطُون﴾ بكسر الراء مشددة.

٣ - قرأ الباقون ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء مخففة[٨٧١].

المعنى اللغوي للقراءات:

فَرَطَ في الأمر يَفرُطُ فَرْطاً، أي قصّر فيه وضيّعه حتّى فات. وفرّطَ فيه تفريطاً مثله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهم مُفَرِّطُون﴾ بكسر الراء وتشديدها. وفَرَطَ عليه، أي عَجِلَ وعَدا. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]. وفَرَطَ إليه منّي قولٌ، أي سبق. وفَرَطْتُ القوم أَفْرُطُهُمْ فَرْطاً، أي سبقتهم إلى الماء، والفارِط المتقدم إلى الماء وغيره، ومنه قول النبي ﷺ: «أنا فَرَطُكم على الحوض»[٨٧٢]. وأَفْرَطَهُ، أي أعجله، وفَرَطْتُهُ: تركته وتقدّمته وما أَفْرَطْتُ من القوم أحداً، أي: ما تركت. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾، أي متروكون في النار منسِيُّونَ، أو مُقَدَّمُونَ مُعَجَّلُونَ إليها.

(٨٦٩) انظر: الكشف ج٢ص٣٨.

(٨٧٠) انظر: حجة القراءات ص٣٩١.

(٨٧١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٧٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح(٦٥٧٦) ص١٢٥٨، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ح(٥٨٧٢) ص١١٤٩.

وقُرِىء بكسر الراء، أي: مُجَاوِزُونَ لما حُدَّ لهم، من أفْرَطَ في الأمر، إذا جاوز فيه الحدّ. والاسمُ منه الفَرْطُ بالتسكين. يقال: إيَّاكَ والفَرْطَ في الأمر(٨٧٣).

التفسير:

يقول تعالى: وينسب هؤلاء المشركون إلى الله ما يأنفون أن ينسب إليهم من البنات والشركاء، وتنطق ألسنتهم الكذب، حيث يدَّعون مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان ثمَّ معاد ففيه أيضا لهم الحسنى، وهو الجنة، فجمعوا بين عمل السوء وتمني الباطل، بأن يجازوا على افترائهم هذا حسناً. والحق أنّ لهم النّار، يُقَدَّمُونَ ويُعَجَّلُونَ إليها قبل غيرهم، ثم يتركون ويُنسَون فيها(٨٧٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿مُفْرِطُون﴾ بكسر الراء، اسم فاعل من (أفرط) اللازم، إذا تجاوز الحدّ، فالمعنى: أنهم متجاوزون الحدّ في المعاصي، والقراءة ﴿مُفَرِّطُون﴾ بكسر الراء مشددة من فَرَّط في كذا أي قَصَّر أي: أنهم مقصرون. أمّا القراءة ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء، اسم مفعول من (أفْرَطه) المتعدي، وفيه معنيان: الأول: أنه من أفرطته خلفي، أي تركته ونسيته، والمعنى: أنهم منسيون متروكون في النار. والثاني: أنه من أفرطته، أي قَدمته إلى كذا والمعنى: أنهم مقدمون إلى النار معجلون إليها(٨٧٥).

ويلاحظ أنّ كل قراءة قامت مقام آية، وبمجموع القراءات يصبح

(٨٧٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٧٦، ٣٧٧، القاموس المحيط ٨٧٩، لسان العرب ج٥ص٣٣٨٩، ٣٣٩٠.

(٨٧٤) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ص٢٣، نظم الدرر ج٤ص ٢٨٢، صفوة التفاسير ج٢ص١٣٢.

(٨٧٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٢٨، الكشف ج٢ص٢٨، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧٣، الملخص في إعراب القرآن ص١٤١، البحر المحيط ج٥ص٥٠٦، الدر المصون ج٤ص٣٣٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٥٢، روح المعاني ج١٤ص١٧٣.

المعنى: لا جرم أنهم مقصرون، ومتجاوزون في المعاصي، وسيقدمون إلى النار ويعجلون إليها، ثم يتركون فيها ويُنسون أي يُخَلَّدون فيها. والله تعالى أعلم.

١٨ - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦].

القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب ﴿نَسْقِيكُم﴾ بنون مفتوحة.

٢ - قرأ أبو جعفر ﴿تَسْقِيكُم﴾ بتاء مفتوحة.

٣ - قرأ الباقون ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بنون مضمومة(٨٧٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

سَقَى يَسْقِي سَقياً وسُقياً: أعطاه ما يشرب، وأسقى يُسقي إسقاءً: جعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء. فالإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يَسقي منه ويشرب، تقول: أسقيته نهراً. قال تعالى في السَقْي: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال في الإسقاء ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧] وقال: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢] أي جعلناه سُقيا لكم(٨٧٧).

قال الفراء: «العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يَجْري لقوم: أَسْقَيْت. فإذا سَقاكَ الرجل ماءً لشَفَتِك قالوا: سَقاهُ، ولم يقولوا: أَسْقاهُ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء: ٧٩]، وربما قالوا لِما في بطون الأَنْعام ولِماءِ السماء سَقى وأَسْقى»(٨٧٨)، «وقال الليث: (الإِسْقاءُ

(٨٧٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٧٧) المفردات في غريب القرآن ص٢٣٥، ٢٣٦ - بتصرف يسير.

(٨٧٨) معاني القرآن للفراء ج٢ص١٠٨، وانظر: تهذيب اللغة ج٩ص٢٢٨.

من قولك أَسْقَيْتُ فلاناً نهَراً أَو ماءً إذا جعلت له سِقْياً وفي القرآن ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾ [الفرقان: ٤٩] من سَقى، وقُرِئ ﴿وَنَسْقِيَهُۥ﴾ من أَسْقى وهما لغتان بمعنىً واحد)»(٨٧٩). وعن ابن السِّكيت(٨٨٠): «السقاء يكون للبن وللماء ... ويقال: سقيته لِشَفَتِه، وأسقيته لماشيته وأرضه»(٨٨١).

التفسير:

يقول تعالى: إِنَّ لَكُمْ أيها الناس فِي الأَنْعَام، وهي: الإبل والبقر والغنم، لآية، إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرة الخالق ﷻ وحكمته ولطفه ورحمته، حيث أسقاكم من بطونها لبناً يتخلص بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان، ولا يغص به أحد(٨٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بنون مضمومة مضارع (أسقى) الرباعي، والقراءة ﴿نَسْقِيكُم﴾ بنون مفتوحة مضارع (سقى) الثلاثي، والفاعل على هاتين القراءتين ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى بلفظ العظمة(٨٨٣). قال الطبري: «(نُسْقِيكُمْ) بضمّ النون. بمعنى: أنه أسقاهم شراباً دائماً. وكان الكسائيّ يقول: العرب تقول: أسقيناهم نَهْرا، وأسقيناهم لبنا: إذا جعلته

---

(٨٧٩) تهذيب اللغة ج٩ص٢٢٨.

(٨٨٠) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السِّكِّيت ـ بكسر السين المهملة والكاف المشددة ـ إمام في اللغة والأدب، من أصحاب الكسائي، اتصل بالخليفة المتوكل، وعهد إليه بتأديب أولاده، ويقال إنّ المتوكل ناله بشيء حتى مات سنة ٢٤٤هـ، وقيل سنة ٢٤٦هـ، وقيل غير ذلك. من كتبه: إصلاح المنطق، الألفاظ، وغيرها. (انظر: الفهرست ص٧٩، وفيات الأعيان ج٦ص٣٩٥ ـ ٤٠١، الأعلام ج٨ص١٩٥).

(٨٨١) الصحاح ج٦ص٢٣٧٩.

(٨٨٢) انظر: تفسير الخازن ج٤ص٩٩، تفسير ابن كثير ج٣ص٢٤، تفسير السعدي ص٤٢٢.

(٨٨٣) انظر: الكشف ج٢ص٣٨، ٣٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٥٢، المهذب في القراءات العشر ج١ص٣٧٢، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٢٨.

شِرْبا دائماً، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نَسْقِيهم بغير ألف؛ و(نَسْقِيكم) بفتح النون من سَقاه الله، فهو يَسْقيه، والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السَّقي غير دائم، وتنزعها فيما كان دائماً، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائيّ»(٨٨٤).

والقراءة بفتح النون فيها امتنان على الخلق بتقديم اللبن الخالص لهم ليشربوه وتهيئته لهم، كما يكرم الضيف ضيفه بتقديم الشراب له، أمّا القراءة بضم النون ففيها امتنان على الخلق بجعل هذا اللبن دائماً للسقيا غير منقطع يشربون منه متى شاءوا ويسقون غيرهم، وإسناد الفعل إلى الله ﷻ بلفظ العظمة، فيه صَرف الاهتمام إلى المنعم العظيم المستحق للعبادة، فإنّه تعالى هو الذي يسر لهم هذه النعمة، كما أنّ فيها إشارة إلى كون لبن الأنعام في حدّ ذاته آية عظيمة. وفيه أيضاً إشارة إلى عظيم فضل الله ﷻ ومنّته على خلقه حيث أكرمهم بهذه النعمة كما يكرم المضيف ضيفه بنفسه ويقدم له الشراب، أو يجعله في متناوله للشرب، قال ابن عاشور: «ووقع البيان بـ ﴿تسقيكم﴾ دون أن يقال: تشربون أو نحوه، إدماجاً للمنّة مع العبرة»(٨٨٥).

والقراءة ﴿تَسقيكم﴾ بتاء مفتوحة من سقى الثلاثي، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هي) يعود على الأنعام(٨٨٦)، أي تقدم لكم هذه الأنعام ما تشربونه من اللبن، وفي هذه القراءة صرف الاهتمام إلى شأن هذه الأنعام وبخاصة ما تنتجه من لبن، ليتأمل المتأمل، ويرى بعين بصيرته فيعتبر ويدرك قدرة الله ﷻ. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨].

(٨٨٤) تفسير الطبري ج١٤ص١٣١، وانظر: تفسير الفخر الرازي٦٦.

(٨٨٥) التحرير والتنوير ج١٤ص٢٠٠.

(٨٨٦) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٢٨.

القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِيُوتاً﴾ بكسر الباء[٨٨٧].

٣ ـ قرأ ابن عامر، وشعبة ﴿يَعْرُشُون﴾ بضم الراء.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء[٨٨٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ .﴿بُيُوتًا﴾: سبق بيانه[٨٨٩].

٢ ـ ﴿يَعْرِشُونَ﴾: عَرَش: بنى بِنَاءً من خَشَب، وعَرْش البَيْتِ سَقْفُه، وعرش الرجل: قوامُ أمْرِه. وإذا زالَ قيلَ: ثُلَّ عَرْشُه أي: وَهَى أَمْرُه وذَهَبَ عزُّه، والعَرْش سَرِيرُ المَلِك سمي بذلك اعتباراً بعلوه، والعَرِيْشُ والعَرْشُ: ما تُعَرَّشُ به الكُرومُ، وقد اعْتَرَشَ الكَرْمُ: عَلا عليها، والعَرِيْشُ: شِبْهُ هَوْدَج يُتَخَذ للمرأة تقعدُ فيه على بعيرِها[٨٩٠].

قال ابن قتيبة: «كل شيء عُرِشَ من كَرْمٍ أو نَبَاتٍ أو سَقف: فهو عَرْشٌ ومَعْرُوش»[٨٩١].

التفسير:

ألهم الله ﷻ النحل وأرشدها أن تتخذ من الجبال بيوتاً، تأوي إليها،

(٨٨٧) انظر: النشر ج٢ص٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص٢٦٦.

(٨٨٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٨٩) انظر ص٢١٧ من هذا البحث.

(٨٩٠) انظر: العين ج١ص٢٤٩، ٢٥٠، المحيط في اللغة ج١ص٢٨٤، ٢٨٥، المفردات في غريب القرآن ص٣٢٩.

(٨٩١) تفسير غريب القرآن ص٢٤٦.

ومن الشجر، ومما يبنيه الناس من أكوار(٨٩٢)، أو يعرشونه من كروم. وأصل البيت مأوى الإنسان واستعمل هنا في وكر النحل الذي تبنيه تشبيهاً له بما يبنيه الإنسان لما فيه من إتقان الصنعة(٨٩٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ القراءتان ﴿بيُوتاً﴾ بكسر الباء وضمها على لغتين من لغات العرب، كما سبق بيانه(٨٩٤). وقد ناسب الضم وما به من قوة، إحكام صنع البيوت التي يبنيها النحل من الشمع، وبراعة إتقانها، وناسب الكسر وما به من ضعف، طبيعة هذه البيوت فقد جُعلت بحكمة الله رغم إحكام صنعها وبراعة إتقانها ضعيفة يسهل للإنسان استخلاص العسل منها بدرجة حرارة ليست بالمرتفعة. والله تعالى أعلم.

٢ ـ القراءتان ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها على لغتين من لغات العرب(٨٩٥). وقد ناسب تنوع القراءة بين الضم وما به من قوة والكسر وما به من ضعف، تنوع ما يبنيه الناس للنحل، من أكوار محكمة قوية أو عُرش غير محكمة من الكرم أو غيره، والنحل تتخذ جميع ذلك بيوتاً لها دون استثناء. والله تعالى أعلم.

٢٠ ـ ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل: ٧١].

---

(٨٩٢) أَكْوارُ: جمع (كُور) بالضم وهو بيت النحل والزَّنابير. (انظر: لسان العرب ج٥ص٣٩٥٣).

(٨٩٣) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٣٩، الملخص في إعراب القرآن ص ١٤٣، تفسير ابن كثير ج٣ص٢٥، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٧٦، أيسر التفاسير ج٣ص١٠٤، صفوة التفاسير ج٢ص١٣٣.

(٨٩٤) انظر: ص٢١٨ من هذا البحث.

(٨٩٥) انظر: حجة القراءات ص٣٩٢، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧٦، زاد المسير ج٤ص٣٣٩.

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة، ورويس ﴿**تَجْحَدُون**﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ بياء الغيبة(٨٩٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

الجُحُوْدُ: ضِدُّ الإِقْرَار، وجَحَدَ الرجلُ يجحَد جُحوداً وجحداً، إذا أنكر ما عليه من حقّ، والجَحَد: القلة من كل شيء، والجُحْدُ: لُغَةٌ فيه(٨٩٧).

قال الراغب: «الجحود نفى ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه، قال ﷻ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤]، ويجحد يختص بفعل ذلك يقال: رجل جحد شحيح قليل الخير يُظهر الفقر، وأرض جحدة قليلة النبت، وُيقال جَحداً له ونكداً، وأجحد: صار ذا جَحد»(٨٩٨).

التفسير:

يبين الله ﷻ للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يُقرُّون أنها عبيد له، فقال تعالى منكراً عليهم: أنتم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون إلا أنه ﷻ ﴿فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ فجعل منكم أحراراً لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم لا يملكون شيئاً من الدنيا، وسادتكم الذين فضلهم الله على المماليك بالرزق ليسوا بمشركي مماليكِهم فيما رزقهم الله ﷻ من الأموال، ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فإذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم فكيف تشركون معي في سلطاني، هل هذا إلا من أعظم الظلم والإنكار لنعم الله، فإنه يرزقكم ويعافيكم، وأنتم تجعلون له الشركاء في العبادة(٨٩٩).

---

(٨٩٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٩٧) انظر: جمهرة اللغة ج٢ص٥٣، المحيط في اللغة ج٢ص٣٩٥.

(٨٩٨) المفردات في غريب القرآن ص٨٨ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٨٩٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٤٢، تفسير ابن كثير ج٣ص٢٨، أضواء البيان ج٣ص٢٨٧، تفسير السعدي ص٤٨٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿تجحدون﴾ بالتاء الفوقية، على الخطاب، رداً على لفظ الخطاب قبله وهو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ أي: فعل بكم ذلك وتجحدون بنعمة الله ﷻ، أو على معنى: قل لهم يا محمد ﷺ أفبنعمة الله تجحدون؟، فهو خطاب للكفار ويحمل معنى التوبيخ والتقريع لهم، والقراءة بالياء على الغيبة رداً على لفظ الغيبة قبله، وهو قوله: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾، وقوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ ولفظ الغيبة أقرب إليه من لفظ الخطاب(٩٠٠)، وفيه معنى الإعراض عنهم تحقيراً لهم لفظاعة فعلهم، وكأنهم لقلة شأنهم ليسوا حريين بالخطاب(٩٠١). وقد سبق الحديث عن فائدة تنوع الأسلوب بين الغيبة والخطاب في القراءات القرآنية وأثره في المعاني في غير موضع، فأغنى عن الإعادة(٩٠٢).

٢١ - ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: ٧٩].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟﴾ بتاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ بياء الغيبة(٩٠٣).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨](٩٠٤).

---

(٩٠٠) انظر: الكشف ج٢ص٣٩، ٤٠، الملخص في إعراب القرآن ص١٤٤.
(٩٠١) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٨، ٢٩.
(٩٠٢) انظر ص٢٢٨، ٢٣٥ من هذا البحث.
(٩٠٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨١.
(٩٠٤) انظر ص٢٤٨ من هذا البحث.

٢٢ ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾ [النحل: ٨٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتِكُمۡ﴾، ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِيُوتِكُم﴾، ﴿بِيُوتاً﴾ بكسر الباء(٩٠٥).

٣ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿ظَعۡنِكُمۡ﴾ بإسكان العين(٩٠٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿بُيُوتِكُمۡ﴾: سبق بيانه(٩٠٧).

٢ ـ ﴿ظَعۡنِكُمۡ﴾: «ظَعَنَ يَظْعَنُ ظَعْناً وظَعَناً بالتحريك وظُعوناً: ذهب وسار، وأَظْعَنه هو سَيَّره، والظَّعْنُ سَيْرُ البادية لنُجْعَةٍ أَو حُضور ماءٍ أَو طَلَبِ مَرْبَعٍ أَو تَحَوُّلٍ من ماء إلى ماء أَو من بلد إلى بلد وقد يقال لكل شاخص لسفَر في حج أَو غزو أَو مَسير من مدينة إلى أُخرى ظاعِنٌ وهو ضدّ الخافِضِ ويقال أَظاعِنٌ أَنت أَم مُقيم؟ والظُّعْنة السَّفْرَة القصيرة، والظَّعِينَة الجمل يُظْعَنُ عليه والظَّعِينة الهَوْدج تكون فيه المرأَة وقيل هو الهودج كانت فيه أَو لم تكن، والظَّعِينة: المرأَة في الهودج سميت به على حَدِّ تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه، وقيل سميت المرأَة ظَعِينة لأَنها تَظْعَنُ مع زوجها وتقيم بإِقامته كالجليسة. وقيل: كل امرأَة ظَعِينَةٌ في هودج كانت أَو

(٩٠٥) انظر: النشر ج٢ص٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص٢٦٦.

(٩٠٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨١.

(٩٠٧) انظر ص٢١٧ من هذا البحث.

غيره والجمع ظَعائنُ وظُعْنٌ وظُعُنٌ وأَظْعانٌ وظُعُناتٌ ـ الأَخيرتان جمع الجمع ـ . والظِعانُ: الحبل الذي يشدُّ به الهودج»(٩٠٨).

التفسير:

يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عباده، بما جعل لهم من البيوت سكناً لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع، فذكر أولاً بيوت التمدن المبنية من الحجارة وغيرها، وهي التي للإقامة الطويلة، ثم ذكر بيوت التنقل والترحال وهي التي جعلها لهم ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ يجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل، يوم يرحلون يخف عليهم حملها ونقلها، ويوم ينزلون ويقيمون في مكان يسهل عليهم ضربها. وامتن عليهم بما جعل لهم مِنْ أَصْوَافِ الغنم، وَأَوْبَار الإبل، وَأَشْعَار المعز، ما يتخذونه أثاثاً ومتاعاً في هذه الحياة الدنيا(٩٠٩).

قال ابن عاشور: «والأثاث بفتح الهمزة اسم جمع للأشياء التي تفرش في البيوت كالوسائد والبسط، والمتاع أعمّ من الأثاث، فيشمل الرحائل والعُقل وغيرها، فالمتاع: ما يتمتّع به وينتفع، وهو مشتقّ من المَتع، وهو الذهاب بالشيء، ولِملاحظة اشتقاقه تعلّق به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾. والمقصود من هذا المتعلّق الوعظ بأنها أو أنهم صائرون إلى زوال يحول دون الانتفاع بها ليكون الناس على أهبة واستعداد للآخرة فيتّبعوا ما يرضي الله تعالى»(٩١٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ﴿بُيُوتِكُمْ﴾: سبق بيانه(٩١١).

(٩٠٨) لسان العرب ج٤ص٢٧٤٨ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: الصحاح ج٦ص٢١٥٩، مختار الصحاح ص٤٠٤، القاموس المحيط ص١٥٦٦.

(٩٠٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٥٣، ١٥٤، تفسير ابن عطية ج٣ص٤١٢، البحر المحيط ج٥ ص ٥٠٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٣٢، ٣٣، تفسير الجلالين ص٢٣٨، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٥٤، التفسير المنير ج١٤ص١٩٨.

(٩١٠) التحرير والتنوير ج١٤ص٢٣٩ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٩١١) انظر ص٢١٨ من هذا البحث.

٢ ـ ﴿ظَعْنِكُمْ﴾: ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين، و﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين لغتان في الكلمة كالسَّمْع والسَّمَع، والنَّهْر والنَّهَر[٩١٢]. وقيل الإسكان المصدر، و(الظَّعَن) اسم لهذا العمل كقولهم: الطلب الهرب[٩١٣]. والمتأمل لكلتا الكلمتين يجد أنّ السكون بما يوحيه من دوام واستقرار ناسب الأسفار الطويلة، والفتح بما يوحيه من خفة وسرعة، ناسب الأسفار القصيرة، فهذه البيوت التي يتخذها الناس من جلود الأنعام تصلح للاستخدام في الأسفار الطويلة والقصيرة، وهذا من تمام نعمة الله ﷻ على خلقه. والله تعالى أعلم.

٢٣ ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرون﴾ بتشديد الذال[٩١٤].

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤][٩١٥].

٢٤ ـ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: ٩٦].

(٩١٢) انظر: حجة القراءات ص٣٩٣، الكشف ج٢ص٤٠، تفسير ابن عطية ج٣ص٤١٢، البحر المحيط ج٥ص٥٠٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٣٢.

(٩١٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢١٢، ٢١٣، الملخص في إعراب القرآن ص١٤٦.

(٩١٤) انظر: النشر ج٢ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٨٢.

(٩١٥) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وابن ذكوان بخلفه، وعاصم، وأبو جعفر ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بالنون.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ بالياء(٩١٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(جزاء): الجزاء الغَناء والكفاية قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]، والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، يقال جزيته كذا وبكذا قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦]، والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. ويقال: جَازيك فلان أي: كافيك، ويقال جَزيته بكذا وجازيته، ولم يجيء في القرآن إلا جزى دون جَازى، وذاك أن المجازاة هي المكافأة وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها ونعمة الله تعالى ليست من ذلك ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة في الله ﷻ وهذا ظاهر»(٩١٧).

التفسير:

يقول تعالى: ما عندكم أيها الناس مما تملكونه من الدنيا زائل وإن كثر، وما عند الله ﷻ من ثواب في الجنة باقٍ لا يزول ولا ينقطع، وليثيبنّ الله ﷻ الذين صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال، وليغفرنّ الله ﷻ لهم سيئاتهم بفضله(٩١٨).

---

(٩١٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، ٣٠٥ (وقد ذكر عن هشام أيضاً القراءة بالنون)، البدور الزاهرة ص١٨٢.

(٩١٧) المفردات في غريب القرآن ص٩٣.

(٩١٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٧٠، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٠، تفسير السعدي ص٤٧٧، التفسير المنير ج١٤ص٢٢٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالنون على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه بالجزاء الذي أكده بالقسم، وهو خروج من غيبة إلى إخبار، والقراءة بياء الغيبة على نسق ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾(٩١٩).

قال ابن زنجلة: «فالحجة لمن قرأه بالياء أنه ردّه على قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، والحجة لمن قرأه بالنون أنه أراد أن يأتي الكلام محمولاً على آخره، فوافق بين قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾، وقوله ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [النحل: ٩٧]»(٩٢٠). والوقف على قوله تعالى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ كاف على قراء من قرأ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بالنون، وحسن على قراءة من قرأ **﴿وليجزين﴾** بالياء(٩٢١).

والمتأمل للقراءة بالياء يجد أنّ قلبه قد تعلق بالمعنى السابق: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، لذا إن سأل العقل، ما ميزة هذا الجزاء، أُجيب السؤال بلا تردد، هو جزاء من الله وما عند الله باق لا ينفد. وعلى القراءة بالنون نجد أنّ اهتمام القلب، يلتفت إلى معنىً آخر، وهو معنى التفخيم والتعظيم لله سبحانه وتعالى الذي تعهد بنفسه وبلفظ العظمة، فقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾، فإن سأل العقل ما ميزة هذا الجزاء، أجيب السؤال بلا تردد، ذلك جزاء من الله وحسب، وكفى به جزاءً. وفي هذه القراءة بيان لرفيع شأن هذا الجزاء.

فالقراءتان معاً بينتا أنّ هذا الجزاء الذي وعد الله ﷻ عباده، يتميز بأنه لا يضاهيه جزاء، فهو جزاء عظيم الشأن وهو باق لا ينفد. وأيضاً فإنّ لاختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية تظهر في تنوع الأسلوب، وحمله مرة على ما قبله، ومرة على ما بعده، فجاءت الآيتان على القراءتين كأنهما لُحمة واحدة. كما أنّ تنوع الأسلوب بين الخطاب، والغيبة، أضفى على الكلام

(٩١٩) انظر: الكشف ج٢ص٤٠، حاشية الشهاب ج٥ص٦٤٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٣٣.

(٩٢٠) الحجة في القراءات السبع ص٢١٣.

(٩٢١) انظر: المكتفى في الوقف والابتدا ص٣٥٦.

طراوة وحسناً على حُسن. والله تعالى أعلم.

٢٥ ـ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو ﴿يُنْزِلُ﴾ بإسكان النون وتخفيف الزاي.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي(٩٢٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه(٩٢٣).

التفسير:

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين، وأنه لا يُتصور منهم الإيمان، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول ﷺ: إنما أنت كاذب يتقوّل الباطل على الله ﷻ. والحال أنّ الله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدّل ويغير من أحكامه، وهؤلاء المشركون أكثرهم سفهاء يجهلون بأنّ الذي تأتيهم به كله من عند الله، ناسخه ومنسوخه، ويجهلون أنّ في النسخ حكماً بالغة(٩٢٤).

قال ابن عاشور: «وحكاية طعنهم في النبي ﷺ بصيغة قصر الموصوف على الصّفة، فجعلوه لا صفة له إلا الافتراء، وهذا من مجازفتهم وسرعتهم في الحكم الجائر فلم يقتصروا على أن تبديله افتراء بل جعلوا الرسول ﷺ مقصوراً على كونه مفترياً لإفادة أن القرآن الوارد مقصور على كونه افتراء»(٩٢٥).

---

(٩٢٢) انظر: النشر ج٢، البدور الزاهرة ص١٨٢.
(٩٢٣) انظر ص٢٠٠ من هذا البحث.
(٩٢٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٧٦، التسهيل ج١ص١٦٣، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٢، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٥٨.
(٩٢٥) التحرير والتنوير ج١٤ص٢٨٣ ـ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد من نَزَّل، يُنَزِّل، و﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف من أنزل، يُنزل[٩٢٦]. وهما لغتان في الفعل[٩٢٧]، وهما بمعنىً واحد هنا[٩٢٨] وكل كلمة تحمل دلالات في المعنى، فالقراءة بالتشديد تحمل معنى التكرير في النـزول، وذلك أنّ القرآن كان ينـزل على النبي ﷺ شيئاً فشيئاً[٩٢٩]، فأشار بهذه القراءة إلى «تفصيل المنزَّل وتنجيمه بحسب الدواعي»[٩٣٠]. كما أنّ التشديد يفيد معنى استقرار المُنزَل وتنفيذ حكمه[٩٣١]، وكذلك فقد أفادت هذه القراءة أيضاً الاهتمام بشأن المنزل والمبالغة في رفع قدره[٩٣٢] أمّا القراءة بالتخفيف فإنها أفادت مطلق النزول سواء أكان دفعة واحدة أم كان منجّماً، وإن كان «لفظ التضعيف أقوى في إعطاء معنى التنجيم والتفصيل»[٩٣٣]، فعِلم الله جلّ شأنه شامل للكل وللجزئيات. والله تعالى أعلم.

٢٦ ـ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ﴿القُدْسِ﴾ بإسكان الدال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلْقُدُسِ﴾ بضم الدال[٩٣٤].

(٩٢٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٨٥، الكشف ج١ص٢٥٤.
(٩٢٧) انظر: حجة القراءات ص١٠٦.
(٩٢٨) انظر: ملاك التأويل ج١ص١٤٣.
(٩٢٩) انظر: الكشف ج١ص٢٥٤.
(٩٣٠) ملاك التأويل ج١ص١٤١.
(٩٣١) انظر: المرجع السابق ج١ص١٤٢.
(٩٣٢) المرجع نفسه ج١ص١٤٣.
(٩٣٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٤.
(٩٣٤) انظر: النشر ج٢ص٢١٥، البدور الزاهرة ص١٨٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

التقديس: التطهير والتبريك، والقُدْس: البركة[٩٣٥]، وروح القُدُس: جبريل عليه السلام[٩٣٦]، لأنه خُلق من طهارة[٩٣٧].

التفسير:

أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول للمشركين: إنّ هذا القرآن ـ الذي تزعمون أنه افتراء بسبب تبديل الله آية مكان آية ـ إنّما نَزَّله عليَّ جبريل عليه السلام من ربي تثبيتاً للمؤمنين، وليزدادوا بتصديقهم بما أُنزل أولاً وثانياً إيماناً مع إيمانهم، وهدًى لهم من الضلالة، وبُشرى للذين استسلموا لله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في كتابه، فأقرّوا بكل ذلك، وصدقوا به قولاً وعملاً[٩٣٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿القُدْسِ﴾ بإسكان الدال تخفيفاً، لتوالي ضمتين، وهي لغة، والقرءاة بالضم على الأصل[٩٣٩]. وقد ناسب الضم وما به من قوةٍ وفخامةٍ، قوةَ وفخامةَ التقديس والتطهير الذي اتصف به جبريل عليه السلام، وناسب السكون وما به من استقرارٍ، استقرارَ هذه الصفة في جبريل عليه السلام. والله تعالى أعلم.

٢٧ ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

(٩٣٥) انظر: لسان العرب ج٥ص٣٥٥٠.

(٩٣٦) انظر: غُرَر التبيان ص٣٠٤، لسان العرب ج٥ص٣٥٥٠.

(٩٣٧) انظر: لسان العرب ج٥ص٣٥٥٠.

(٩٣٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٧٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٢، أضواء البيان (١٠٢)، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٥٨، ١٥٩.

(٩٣٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٨٥، حجة القراءات ص١٠٥، ١٠٦.

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿يَلْحَدُون﴾ بفتح الياء والحاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء(٩٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

أَصل الإِلحادِ المَيْلُ والعُدول عن الشيء. ولَحَد يَلْحَدُ، وأَلحَدَ: مال وعدل. وقيل: لَحَد، مال وجار، وأَلحَدَ، مارى وجادل(٩٤١). والمُلْحِدُ: العادل عن الحقِّ، المُدخل فيه ما ليس فيه واللحد: الشق في جانب القبر، وقد لحد القبر: حفره، كذلك وألحده وقد لحدت الميت وألحدته جعلته في اللحد، ويسمى اللحد مُلحداً وذلك اسم موضع من ألحدته، ولحد بلسانه إلى كذا مال(٩٤٢).

قال ابن دريد: «وألحد الرجل إلحاداً إذا مال عن القصد فهو مُلحد، ولا يقال له لاحد وملحد حتى يميل عن حق إلى باطل»(٩٤٣).

وقال الفراء: «﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يميلون إليه ويهوونه»(٩٤٤).

التفسير:

يقول تعالى: قد علمنا ما يقول هؤلاء المشركون كذباً وافتراءً وبهتاناً: إنما يعلِّم محمداً ﷺ هذا القرآن بشر من بني آدم، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش. يقول الله ﷻ مكذِّباً لهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إنّ لغة ذلك الرجل ـ

(٩٤٠) انظر: النشر ج٢ص٢٧٣، البدور الزاهرة ص١٨٢.

(٩٤١) انظر: لسان العرب ج٥ص٤٠٠٦.

(٩٤٢) انظر: المحيط في اللغة ج٣ص٤١، تهذيب اللغة ج٤ص٤٢١ المفردات في غريب القرآن ص٤٤٨.

(٩٤٣) جمهرة اللغة ج٢ص١٢٥.

(٩٤٤) معاني القرآن للفراء ج٢ص١١٣.

الذي تميلون إليه القول عن الاستقامة وتقولون بأنه يعلم محمداً ﷺ - أعجميّة غير بينة، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة والبلاغة، فكيف للأعجمي أن يعلم محمداً ﷺ هذا الكتاب العربي المبين(٩٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء من ألحد يلحد إلحاداً، والقراءة ﴿يَلْحِدُون﴾ بفتح الياء من لحد يلحد لحداً ولحوداً. وهما لغتان بمعنى الميل والعدول(٩٤٦). وقيل إنّ ألحد بمعنى: اعترض، ولحد بمعنى: مال وعدل(٩٤٧).

قال الطبري: «واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ بضم الياء من (ألحد يلحد إلحاداً)، بمعنى: يعترضون، ويعدلون إليه، ويعرجون إليه. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: ﴿لِسَانُ الَّذِي يَلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ بفتح الياء، يعني: يميلون إليه، من (لحد فلان إلى هذا الأمر يَلْحَد لَحْداً ولُحُوداً)، وهما عندي لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيهما الصواب»(٩٤٨).

وقال الكسائي: «إنّ كل واحد من (لحدت وألحدت) يأتي بمعنى غير معنى الآخر، وذلك أنّ (ألحد يُلحد) معناه اعترض، وأنّ (لَحَدَ يَلحد) معناه مال وعدل، فلما ولي (ألحد) ما يلي الاعتراض الذي هو بمعناه قرأه بألف فقال: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [السجدة: ٤٠] بمعنى: يعترضون، إذ كان من عادة (في) أن تصحب الاعتراض الذي بمعنى الإلحاد، فلما ولي الفعل ما ليس من

(٩٤٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٧٩، الكشاف ج٢ص٤٢٩، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٢، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٩٤، صفوة التفاسير ج٢ص١٤٣.

(٩٤٦) الحجة في القراءات السبع ص١٦٧، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧٨، البحر المحيط ج٥ص٥١٩، روح المعاني ج١٤ص ٢٣٤، التحرير والتنوير ج١٤ ص٢٨٧.

(٩٤٧) انظر: حجة القراءات ص٣٩٤، تفسير الطبري ج١٤ص١٧٩.

(٩٤٨) تفسير الطبري ج١٤ص١٧٩، ١٨٠.

عادة الاعتراض أن يليه وهو (إلى) دلّ على أنّ معناه غير معنى الاعتراض وأنه بمعنى الميل، فقرأه ﴿يَلْحِدُون﴾ بفتح الياء إذ كانت بمعنى يميلون فحسن ذلك، وكان مشهوراً من كلام العرب (لحد فلان إلى كذا) إذا مال إليه»(949). قلت: اختار الكسائي في قراءته الفتح في موضع النحل وذلك لأن التعدية بحرف (إلى) تفيد أنّ المعنى المراد للفعل هنا هو: الميل والعدول وليس الاعتراض. ويمكن القول إنّ لحد وألحد لغتان بمعنًى، وقد تستعمل كل واحدة منهما لمعنىً مختلف، ولكنها في هذه الآية جاءت بمعنىً وهو الميل، وإيراد القراءة بأكثر من لفظ مع اتحاد المعنى فيه توكيد لهذا المعنى، وقد ناسب الفتح بخفته سفاهة عقولهم بزعمهم هذا ولو كان عندهم مسكة عقل ما قالوا ذلك، وناسب الضم بثقله عظيم افترائهم وشدة ميلهم عن الصواب. والله تعالى أعلم.

٢٨ - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر ﴿فَتَنُوا﴾ بفتح الفاء والتاء.

---

(٩٤٩) حجة القراءات ص٣٩٤. وقد أورد الطبري عند تفسير قوله تعالى ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قولاً آخر للكسائي يعارض ما ذُكر أعلاه حيث قال: «وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين (الإلحاد) و(اللحد)، فيقول في (الإلحاد): إنه العدول عن القصد، وفي (اللحد) إنه الركون إلى الشيء. وكان يقرأ جميع ما في القرآن: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، إلا التي في النحل، فإنه كان يقرؤها: ﴿يَلحَدُون﴾ بفتح الياء والحاء، ويزعم أنه بمعنى الركون» (تفسير الطبري ج٩ ص١٣٤) وقد علق الطبري على ذلك فقال: «وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب، فيرون أن معناهما واحدٌ، وأنهما لغتان جاءتا في حرفٍ واحدٍ بمعنى واحد» (تفسير الطبري ج٩ص١٣٤) وقد آثرت الباحثة عدم ذكر هذا القول لأنها لم تجد ما يعضده في كتب اللغة التي اطلعت عليها، بخلاف القول المثبت في المتن والذي له ما يؤيده في كتب اللغة على ما هو مبين في المعنى اللغوي للقراءات.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فُتِنُواْ﴾ بضم الفاء وكسر التاء[٩٥٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الخليل الفراهيدي: «(فتن): فَتَنَ فلانٌ يَفْتِنُ فهو فاتِنٌ أي مُفْتَتِنٌ، والفُتُون مصدرُه، ويقال: فَتَنَة غيرُه. والفَتْنُ: إحراقُ الشيء بالنّارِ كالوَرَق الفتين أي المحترق، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: ١٣]، أي يُحرَقُون، وكانَ أصحابُ النبيِّ ﷺ يُفْتَنُون بدينهم، أي يُعَذَّبُون ليَرُدّوا عن دِينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، والفِتْنةُ: العَذاب. والفِتنةُ: أن يَفتِنَ اللهُ قوماً أي يَبْتَليهم. والفِتَنُ: ما يَقَعُ بين الناس من الحرب، ويقال في أمر العِشْق: فُتِنَ بها وافتَتَنَ بها أي عَشِقَها»[٩٥١].

التفسير:

تتحدث الآيات عن صنف من المؤمنين كانوا مستضعفين بمكة، مهانين في قومهم المشركين، فوافقوهم على النطق بالكفر ظاهراً، ثمّ أمكنهم الخلاص بالهجرة، فانتظموا في سلك المؤمنين، وجاهدوا المشركين بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم، فأخبر الله تعالى أنه تعالى من بعد فعلتهم هذه لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع توبتهم وإنابتهم إلى الله تبارك وتعالى[٩٥٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(٩٥٠) انظر: النشر ج٢ص٣٠٥، البدور الزاهرة ص١٨٣.

(٩٥١) العين ج٨ص١٢٧، ١٢٨، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٧١، لسان العرب ج٥ ص٣٣٤٤.

(٩٥٢) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٨٣، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٦، التفسير الواضح ج١٤ص٧١، التفسير المنير ١٤ص٢٤٤.

القراءة ﴿فَتَنُوا﴾ بفتح الفاء والتاء، على معنى: من بعد ما فَتَنوا غيرَهم، أي: عذبوا غيرهم ليرتدوا عن الإسلام، ثم أسلموا هم أنفسهم وهاجروا، فالله ﷻ غفور لهم، ويجوز أن يكون المعنى: فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا من الكفر. والقراءة ﴿فُتِنُوا﴾ بضم الفاء وكسر التاء، على البناء للمفعول، أي: عُذبوا في الله ﷻ وحُملوا على الارتداد عن دينهم وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، فالله ﷻ غفور لهم لما حُملوا عليه وأكرهوا من الارتداد(٩٥٣). فكل قراءة من القراءتين قد سدت مسد آية. والله تعالى أعلم.

٢٩ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النحل: ١١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿الميِّتَةَ﴾ بتشديد الياء مكسورة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾ بتخفيف الياء ساكنة(٩٥٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الفيروزآبادي: «ماتَ يَمُوتُ فهو مَيْتٌ ومَيِّتٌ ضِدُّ حَيٍّ. وماتَ سَكَنَ، ونامَ، وبَلِيَ، أو المَيْتُ، مُخَفَّفَةً الذي ماتَ، والمَيِّتُ والمائِتُ الذي لم يَمُتْ بعدُ، والجمع أَمْواتٌ ومَوْتى ومَيِّتون ومَيْتونَ، وهي مَيِّتَةٌ ومَيْتَةٌ ومَيِّتٌ. والمَيْتَةُ ما لم تَلْحَقْه الذَّكاةُ، وبالكسر للنَّوع. وما أَمْوَتَه، أي ما أَمْوَتَ قَلْبَه، لِأَنَّ كُلَّ فعْلٍ لا يَتَزَيَّدُ، لا يُتَعَجَّبُ منه. والمُواتُ: المَوْتُ. والمَوَات: ما لا رُوحَ فيه، وأرضٌ لا مالكَ لها. والمَوَتانُ، بالتحريكِ خِلافُ الحَيوانِ، أو أرضٌ لم تُحْيَ بعدُ، وبالضم مَوْتٌ يَقَعُ في الماشية، ويُفْتَحُ. وأماتَتِ

(٩٥٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢١٣، الكشف ج٢ص٤١، الملخص في إعراب القرآن ص١٥٢.

(٩٥٤) انظر: النشر ج٢ص٢٢٤، البدور الزاهرة ص١٨٣.

المرأةُ والناقةُ ماتَ ولَدُها»(٩٥٥).

التفسير:

يقول تعالى: إنما حرم الله تعالى عليكم أيها الناس الميتة وهي كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة ويستثنى منه السمك والجراد، والدم المسفوح، ولحم الخنزير لقذارته وخبثه، وما ذُبح للأصنام والقبور ونحوها، فمن دعته الضرورة وألجأته إلى تناول شيء من هذه المحرمات لجوع غلب على ظنه الهلاك منه، غير باغ على غيره، ولا متجاوز قدر الضرورة، وهو ما يسد الرمق، فإن الله ﷻ غفورٌ رحيمٌ لا يؤاخذه على ذلك(٩٥٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان على لغتين معروفتين من لغات العرب، والتشديد مع الكسر هو الأصل، والتخفيف مع الإسكان فرع منه لاستثقال الكسر والتشديد على الياء(٩٥٧). قال ابن خالويه: «الحجة لمن شدد: أن الأصل فيه عن الفرَّاء: (مَويت)، وعن سيبويه: (ميوت)، فلمّا اجتمعت الواو والياء، والسابق منهما ساكن قُلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء فالتشديد لأجل ذلك. والحجة لمن خفف: أنه كره الجمع بين ياءين، والتشديد ثقيل فخفف باختزال إحدى الياءين، إذ كان اختزالها لا يخل بلفظ الاسم، ولا يحيل معناه»(٩٥٨).

وقد اتفق القراء على التشديد في ما لم يمت، واختلفوا فيما عداه، قال الشاطبي:

---

(٩٥٥) القاموس المحيط ص٢٠٦ ـ بتصرف يسير.

(٩٥٦) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٨٨، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٧، تفسير السعدي ص٤٨٠، التفسير المنير ج١٤ص٢٥٦.

(٩٥٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٠٧، حجة القراءات ص ١٥٩، الكشف ج١ص٢٣٩.

(٩٥٨) الحجة في القراءات السبع ص ١٠٧، وانظر: الكشف ج١ص٢٣٩.

ومـا لـم يـمـت لـلـكـل جـاء مـثـقـلا[959]

قال مكي: «وعلى ذلك أجمعوا على التشديد فيما لم يمت، للجمع بين اللغتين، والتخفيف فيما مات وما لم يمت جائز، وكذلك التخفيف والتشديد في ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يجوز»[960].

مما سبق يتبين أنّ القراءتين جاءتا على لغتين من لغات العرب، وقد ناسبت قراءة ﴿الميِّتَة﴾ بالتشديد وما به من ثقل ما يجتمع في الميّتة من شرور كثيرة ومضار جسيمة، أمّا قراءة ﴿ٱلْمَيْـتَةَ﴾ بالتخفيف فإنها توحي بحقارة الميتة وانعدام فائدتها، وكأنّ الحق تبارك وتعالى قد أخبر أنه حرم الميتة لحقارتها ورداءتها وعدم فائدتها، وما يسببه أكلها من مضار جسيمة. والله تعالى أعلم.

٣٠ ـ ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ﴿ضِيْقٍ﴾ بكسر الضاد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ضَيْقٍ﴾ بفتح الضاد[961].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(ضيق): الضِّيق ضد السَّعة، ويقال الضَّيْق أيضاً: والضَّيْقَةُ يُستعمل في الفقر والبخل والغمّ ونحو ذلك، قال: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧] أي: عجز عنهم، وقال: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢]، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: ١٣]، ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] كل ذلك

---

(٩٥٩) متن الشاطبية ص٤٤.

(٩٦٠) الكشف ج١ص٢٣٩، ٢٤٠، وانظر: من قضايا اللغة والنحو في كتاب النشر ص٢١، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص ٨٤.

(٩٦١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٥، البدور الزاهرة ص١٨٣.

عبارة عن الحزن وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ ينطوي على تضييق النفقة وتضييق الصدر، ويقال في الفقر ضاق وأضاق فهو مُضِيق واستعمال ذلك فيه كاستعمال الوُسع في ضده»(٩٦٢).

التفسير:

يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: واصبر يا محمد - ﷺ - على ما أصابك من أذى في الله، وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله ﷻ، وتوفيقه إياك لذلك، ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك وينكرون ما جئتهم به من الحق ويُعرضون عن النصيحة، وَلا تَكُ فِي غم مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك، ومؤيدك، ومظفرك بهم(٩٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف في توجيه القراءتين فقيل: هما لغتان بمعنى واحد(٩٦٤). وقيل بل هناك فرق بينهما، «وفي الفرق بينهما قولان:

أحدهما: أنه بالفتح ما قلّ، وبالكسر ما كَثُر.

الثاني: أنه بالفتح ما كان في الصدر، وبالكسر ما كان في الموضع الذي يتسع ويضيق(٩٦٥).

قال الفراء: «الضَيق - بالفتح - ما ضاق عنه صدرك، والضِيق - بالكسر - ما يكون في الذي يتسع؛ مثل الدار والثوب وأشباه ذلك، وإذا رأيت الضَّيق وقع في موقع الضِيق كان على وجهين: أحدهما أن يكون جمعاً

(٩٦٢) المفردات في غريب القرآن ص٣٠٠ - باختصار.

(٩٦٣) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٩٧، ١٨٠، تفسير ابن كثير ج٣ص٥٢، التفسير المنير ج١٤ص٢٧٢.

(٩٦٤) انظر: الملخص في إعراب القرآن ص١٥٦.

(٩٦٥) تفسير الماوردي ج٣ص٢٢٢، وانظر: الفروق في اللغة ص ٣٠٨، الحجة في القراءات السبع ص٢١٢.

واحدته ضَيْقَة، والوجه الآخر أن يراد به شيء ضيِّق، فيكون مخففاً، وأصله التشديد مثل هَيْن لَيْن تريد هيِّن ليِّن»[966].

قلت: مفاد القراءتين نفي الضيق بشتى صوره، فتنوع القراءة بين الفتح وما به من خفة، والكسر وما به من ثقل، أفاد النهي عن حصول الضيق قلّ أو كثر. وهذا الاستنتاج يوافق القول الأول في الفرق بين الكلمتين. كما أنّ الله ﷻ نهى حبيبه المصطفى ﷺ أن يضيق صدره أو يضيق عيشه من هؤلاء الكفار. والله تعالى أعلم.

(٩٦٦) معاني القرآن للفراء ج٢ص١١٥، وانظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٩٨.

الفهارس

فهرس المراجع

القرآن الكريم.

١. الإبانة عن معاني القراءات ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ـ تحقيق: محيي الدين رمضان ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ) ـ عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥هـ) ـ تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطيوة عوض ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ الطبعة الجديدة ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ) ـ رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الضباع ـ ملتزم الطبع والنشر عبدالحميد أحمد حنفي ـ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.

٤. اتفاق المباني وافتراق المعاني ـ سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت ٦١٤هـ) تحقيق: يحيى عبدالرؤوف جبر ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ عَمَّان ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥. إتقان البرهان في علوم القرآن ـ الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٩٩٧م.

٦. الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط٤ ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٧. آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكرياء بن محمد بن محمود القزويني ـ دار صادر ـ بيروت ـ (بدون رقم طبعة).

٨. أحكام قراءة القرآن الكريم ـ شيخ المقارئ المصرية: محمود خليل الحصري (ت١٤٠١هـ) ـ ضبط نصه: محمد طلحة بلال منيار ـ المكتبة المكية ـ مكة المكرمة ـ السعودية ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٩. اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات المنقولة في تفسير أبي حيان البحر المحيط ـ محمد أحمد خاطر ـ مطبعة الأمانة ـ مصر ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٩٩٠م.

١٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) ـ دار الفكر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١١. إرشاد المبتدِي وتذكرة المنتَهِي في القراءات العشر ـ أبو العز محمد بن الحسين بن بُندار الواسِطي القلانسي (ت٥٢١) ـ تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكُبَيْسي ـ المكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٢. أساس البلاغة ـ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٣. الأساس في التفسير ـ سعيد حوى ـ دار السلام ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبَرّ القرطبي (ت٤٦٣هـ) ـ تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة مجددة ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٦. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١هـ) ـ تحقيق: خالد عبدالفتاح شبل أبو سليمان ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣، (بدون سنة نشر).

١٧. أحكام القرآن ـ أبو بكر أحمد الرازي الجَصّاص (ت٣٧٠هـ) ـ دار الفكر ـ (لا يوجد بيانات أخرى).

١٨. أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) ـ دار الفكر ـ (لا يوجد بيانات أخرى).

١٩. الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢١. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ـ خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٨ ـ ١٩٨٩م.

٢٢. إعراب القرآن ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨)، تحقيق: زهير غازي زاهد ـ عالم الكتب ـ ط٢ ـ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٣. إعراب القرآن وبيانه ـ محيي الدين الدرويش ـ دار الإرشاد ـ حمص ـ سورية ـ ط٤ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٤. الإفصاح في فقه اللغة ـ حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي ـ دار الفكر العربي ـ (بدون رقم طبعة، أو سنة نشر).

٢٥. الإقناع في القراءات السبع ـ أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت٥٤٠هـ) ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٦. الإكسير في علم التفسير ـ سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الصرصري البغدادي (ت ٧١٦هـ) ـ تحقيق: عبدالقادر حسين ـ دار الأوزاعي للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٢٧. الأمثال في القرآن ـ الشريف منصور بن عون العبدلي ـ عالم المعرفة ـ جدة ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٢٨. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ـ أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت٦١٦هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٩. الإنصاف في مسائل الخلاف ـ كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت٥٧٧هـ) ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ـ أبو بكر جابر الجزائري ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٢. بحر العلوم ـ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ) ـ تحقيق: علي محمد معوض وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٣٣. البحر المحيط ـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥) ـ تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٤. البداية والنهاية ـ أبو الفداء الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة جديدة منقحة ـ ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٣٥. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ـ عبدالفتاح القاضي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٣٦. البسط في القراءات العشر ـ سمر العشا ـ مكتبة دار البشائر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٣٧. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للإمام الشاطبي ـ عبدالفتاح القاضي ـ المكتبة المحمودية التجارية ـ مصر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٣٨. البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢ ـ (بدون سنة نشر).

٣٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧) ـ تحقيق: محمد علي النجار ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٤٠. البلاغة العربية في ثوبها الجديد (الجزء الثاني ـ علم البيان) ـ بكري شيخ أمين ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٥ ـ ١٩٩٥م.

٤١. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ـ فاضل صالح السامرائي ـ عمان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٢. البُلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ـ أبو البركات بن الأنباري ـ تحقيق: رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٤٣. التأنيث في اللغة العربية ـ إبراهيم إبراهيم بركات ـ المكتبة العلمية بالمنصورة ـ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٤٤. تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٣٠٦هـ.

٤٥. التاريخ الكبير ـ أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ) ـ مؤسسة الكتب الثقافية (بدون رقم طبعة).
٤٦. التبيان في تفسير غريب القرآن ـ شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت٨١٥هـ) ـ تحقيق: فتحي أنور الدابولي ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٩٢م.
٤٧. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ـ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (ت٨٣٣هـ) ـ تحقيق: عبدالفتاح القاضي، محمد الصادق قمحاوي ـ دار الوعي ـ حلب ـ سورية ـ ط١ ـ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٤٨. التحبير في علم التفسير ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٤٩. التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور ـ دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٥٠. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ـ أثير الدين أبو حيان الأندلسي ـ تحقيق: سمير المجذوب ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٥١. التذكرة في القراءات الثمان ـ أبو الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غَلْبُون المقرئ الحلبي (ت٣٩٩هـ) ـ تحقيق: أيمن رشدي سويد ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٥٢. الترادف في صيغ الأفعال بين الصرفيين والمعاجم ـ إبراهيم الدسوقي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ٢٠٠١م.
٥٣. التسهيل لعلوم التنزيل ـ محمد بن أحمد بن جَزيّ الكلبي (٧٤١هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
٥٤. التعبير القرآني ـ فاضل السامرائي ـ دار عمار ـ عمان ـ ط١ ـ ١٩٩٨م.
٥٥. تفسير الجلالين ـ جمال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ مكتبة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٥٦. تفسير غريب القرآن ـ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ـ تحقيق: أحمد صقر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٥٧. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ محمد الزاري فخر الدين ابن العلاّمة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ ـ دار الفكر ـ لبنان ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥٨. تفسير القرآن ـ الإمام عبدالرازق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد ـ مكتبة الراشد ـ الرياض ـ ط١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٥٩. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

٦٠. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ـ عبدالعظيم إبراهيم المطعني ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦١. تفسير القرآن العظيم ـ الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ـ تحقيق: حامد أحمد الطاهر ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٦٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة المنهج ـ وهبة الزحيلي ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية ـ ط١ ـ ١٩٩١م ـ إعادة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٦٣. التفسير الواضح ـ محمد محمود حجازي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٦٤. تقريب التهذيب ـ الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)) ـ تحقيق: محمد عوّامة ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦٥. التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام ـ محمد بن علي الخضر أبو عبدالله المعروف بابن عسكر (ت٦٣٦هـ) ـ تحقيق: حسن إسماعيل مروة ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٦٦. تناسق الدرر في تناسب السور ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ـ دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦٧. تهذيب اللغة ـ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ـ تحقيق: عبدالسلام هارون ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٦٨. التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ـ صبري المتولي المتولي ـ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٩٩٨م.

٦٩. التيسير في القراءات السبع - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤) - تحقيق: أوتو يرتزل - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٧٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - دار المغني - الرياض - ط١ - ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٧٢. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي - تصحيح: أحمد عبدالعليم البرديني - ط٢ - ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.

٧٣. الجرح والتعديل - أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت٣٢٧هـ) - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن - الهند - ط١ - ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.

٧٤. جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي علي بن محمد (ت٦٤٣هـ) - تحقيق: علي حسين البواب - مكتبة التراث - مكة المكرمة - ط١ - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٧٥. جمهرة اللغة - أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ) - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - (بدون رقم طبعة) - ١٣٤٥هـ.

٧٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن - عبدالرحمن الثعالبي - تحقيق: أبي محمد الغماري الإدريسي الحسني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٧٧. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي) - شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عمر الخَفاجي (ت ١٠٦٩هـ) - تحقيق: عبدالرزّاق المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٧٨. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي - محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجَوي الحنفي (ت ٩٥١هـ) - تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧٩. الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه - تحقيق عبدالعال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٦ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨٠. حجة القراءات ـ أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٨١. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ـ أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ) ـ تحقيق: علي القهوجي وبشير جويجاتي ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٨٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ـ المطبعة الميرية ـ بولاق ـ ط١ ـ (بدون سنة نشر).

٨٣. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ـ عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٨٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ محمد عبدالخالق عضيمة ـ دار الحديث ـ مصر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٨٥. دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر (٣) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام ـ خليل أحمد عمايرة ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٨٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٨٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـ شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد ابن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٨٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ عبدالرحمن بن الكمال جمال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٩٣هـ، ١٤١٤م.

٨٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ طبعة جديدة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٩٠. الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب ـ علي محمد حسن العماري ـ مجلة الأزهر ـ شوال ١٤١٧هـ.

٩١. زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) - تحقيق: محمد عبدالرحمن عبدالله - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط١ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٩٢. زهرة التفاسير - الإمام محمد أبو زُهرة (ت ١٣٩٤هـ، ١٩٨٤م) - دار الفكر العربي - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٩٣. السبعة في القراءات - أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي - تحقيق: شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة - ط٢.

٩٤. سفر السعادة وسفير الإفادة - علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٢هـ) - تحقيق محمد أحمد الدالي - دار صادر - بيروت - ط٢ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٩٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - طبعة جديدة منقحة - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٩٦. سنن أبي داوود - أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) - تحقيق صدقي جميل البيطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٩٧. سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل - أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سَورة (ت٢٧٩هـ) - تحقيق: صدقي محمد العطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٩٨. سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل - أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سَورة (ت٢٧٩هـ) - حكم على أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط١ - (لا يوجد سنة نشر).

٩٩. سنن النسائي - أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي (ت٣٠٣هـ) - حكم على أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط١ - (لا يوجد سنة نشر).

١٠٠. سورة يوسف دراسة تحليلية - أحمد نوفل - دار الفرقان للنشر والتوزيع - عَمان - الأردن - ط٢ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٠١. سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) - مؤسسة الرسالة - تحقيق كامل الخرّاط - ط٦ - ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٠٢. شذا العرف في فن الصرف - أحمد الحملاوي - دار الفكر - ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٠٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - قاضي القضاة بهاء الدين عبدالله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) - دار الخير - دمشق - ط١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١٠٤. شرح طيبة النشر في القراءات العشر - شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (ت٨٣٥هـ) - ضبطه وعلق عليه: أنس مهرة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٨هـ.
١٠٥. شرح طيبة النشر في القراءات العشر - أبو القاسم النويري - تحقيق وتعليق: عبدالفتاح السيد سليمان أبو سِنَّة - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٠٦. شرح مشكل الآثار - أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ) - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٠٧. شعب الإيمان - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ) - تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
١٠٨. الصاحبي - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) - تحقيق أحمد صقر - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
١٠٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل بن حمّاد الجوهري - تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار - دار العلم للملايين - بيروت - ط٢ - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١١٠. صحيح ابن خزيمة - أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ) - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - ط١ - ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.
١١١. صحيح البخاري - أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) - اعتنى به أبو صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١١٢. صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) - اعتنى به: صدقي جميل العطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤، ٢٠٠٣م.

١١٣. الصحيح المسند من أسباب النزول - أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط٢ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١١٤. صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - دار القرآن الكريم - بيروت - ط٤ - ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.

١١٥. الطبقات الكبرى - محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ) - تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١١٦. طبقات المفسرين - شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت٩٤٥هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١١٧. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر - محمد الصادق قمحاوي - مطبعة النصر - مصر - ط١ - (بدون سنة نشر).

١١٨. العباب الزاخر واللباب الفاخر - الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني (ت٦٥٠هـ) - تحقيق: محمد حسن آل ياسين - مطبعة دار المعارف - ط١ - ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

١١٩. علم القراءات، نشأته، أطواره - أثره في العلوم الشرعية - نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل - تقديم: عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ - مكتبة التوبة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ط١ - ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٢٠. عون المعبود شرح سنن أبي داوود - محمد شمس الحق العظيم آبادي - تحقيق: صدقي محمد جميل العطار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٢١. العين - أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) - تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٢٢. غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار - أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني العطار (ت٥٦٩هـ) - تحقيق: أشرف محمد فؤاد طلعت - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - جدة - ط١ - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٢٣. الغاية في القراءات العشر - أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت٣٨١هـ) - تحقيق: محمد غياث الجنباز - ط١ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢٤. غاية المريد في علم التجويد - عطية قابل نصر - دار الحرمين للطباعة - القاهرة - ط٤ - ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٢٥. غاية النهاية في طبقات القراء ـ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) ـ عني بنشره: ج. برجستراسر G. BERGSTRAESSER ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة.

١٢٦. غرر التبيان في من لم يُسَمَّ في القرآن ـ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي (ت٧٣٣هـ) ـ تحقيق عبدالجواد خلف ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٢٧. غريب القرآن وتفسيره ـ أبو عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف بابن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ) ـ تحقيق: عبدالرزاق حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٢٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ـ رقَّم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي ـ قام بإخراجه: محب الدين الخطيب ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٢٩. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٣٠. الفروق في اللغة ـ أبو هلال العسكري (ت٣٨٢هـ) ـ تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٣١. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم ـ محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٣٢. الفريد في إعراب القرآن المجيد ـ المنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: فهمي حسن العمر وفؤاد علي مخيمر ـ دار الثقافة ـ الدوحة ـ قطر ـ ط ١ ـ ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٣٣. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ـ أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت٥٩٧هـ ـ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٣٤. الفهرست ـ النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالورّاق ـ تحقيق: رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندي ـ دار المسيرة ـ ط٣ ـ ١٩٨٨م.

١٣٥. في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٧ ـ ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

١٣٦. القاموس المحيط ـ العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ـ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٣٧. القراءات أحكامها ومصادرها ـ شعبان محمد إسماعيل ـ دار الأصفهاني للطباعة ـ جدة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٤٠٢هـ.

١٣٨. القراءات وأثرها في علوم العربية ـ محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

١٣٩. القراءات العشر المتواترة في هامش القرآن الكريم ـ إعداد محمد كريم راجح (شيخ القراء في الديار الشامية) ـ فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه ـ دار المهاجر ـ المدينة المنورة ـ تريم ـ حضرموت ـ ط٣ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٤٠. القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف ـ د. عبدالهادي الفضلي ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٤١. القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها ـ عبدالحليم بن محمد الهادي قابة ـ إشراف ومراجعة وتقديم مصطفى سعيد الخن ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٩٩٩م.

١٤٢. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ـ عبدالصبور شاهين ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٤٣. القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ـ د. فضل حسن عباس ـ مجلة دراسات ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع ـ ١٩٨٧م.

١٤٤. القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها ـ راضي نواصره ـ مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ـ إربد ـ الأردن ـ ٢٠٠٣م.

١٤٥. القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ـ محمد الحبش ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٤٦. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ـ رسالة دكتوراة ـ إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول ـ إشراف عبدالستار فتح الله سعيد ـ دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٤٧. قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية ـ رسالة دكتوراة ـ إعداد: عبدالهادي الفضلي ـ إشراف دكتور أمين علي السيد ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٤٨. القطع والائتناف أو الوقف والابتداء ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨) ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٤٩. قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر ـ قاسم أحمد الدجوي ومحمد الصادق قمحاوي ـ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ـ ط٣ ـ (بدون سنة نشر).

١٥٠. القواعد والإشارات في أصول القراءات ـ القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي (ت٧٩١هـ) ـ تحقيق: عبدالكريم بن محمد الحسن بكّار ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥١. القواعد والفوائد في الإعراب ـ جمال الإسلام أبو الحسن محمد بن محمد الخاوراني الشوكاني ـ تحقيق: عبدالله بن حمد الخثران ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ مصر ـ ط١ ـ ١٩٩٣م.

١٥٢. الكتاب ـ سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) ـ تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٥٣. الكافي في القراءات السبع ـ أبو عبدالله محمد بن شريح (ت ٤٧٦هـ) ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٥٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ (ت٥٣٨هـ) ـ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ الطبعة الأخيرة ـ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٥٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ـ تحقيق: محيي الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

١٥٦. الكنز في القراءات العشر ـ نجم الدين الواسطي (ت٧٤٠هـ) ـ دراسة وتحقيق عبدالرحمن يوسف أحمد الجمل ـ رسالة دكتوراة ـ جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١٥٧. اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية ـ عبدالهادي الفضلي ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٩٨٠م.

١٥٨. لباب التأويل في معاني التنزيل ـ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٢٥هـ) ـ شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ ط٢ ـ ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

١٥٩. اللباب في علل البناء والإعراب ـ أبو البقاء عبدالله بن الحسين العُكبري (ت٦١٦هـ) ـ تحقيق غازي مختار طليمات ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٦٠. لسان العرب ـ محمد بن عبيد الله ابن منظور (ت٧٥٠هـ) ـ تحقيق: عبدالله علي الكبير، وآخرين ـ دار المعارف ـ طبعة جديدة ـ (بدون سنة نشر).

١٦١. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ـ فاضل صالح السامرائي ـ دار عمان للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٦٢. اللُمع في العربية ـ أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ـ تحقيق: حسين محمد محمد شرف ـ ط١ ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١٦٣. اللهجات العربية في القراءات القرآنية ـ عبده الرجحي ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ ١٩٩٧م.

١٦٤. ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي ـ عبدالقادر الهَيْتي ـ منشورات جامعة قاريونس ـ بنغازي ـ ط١ ـ ١٩٩٦م.

١٦٥. المبسوط في القراءات العشر ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت٣٨١هـ) ـ تحقيق: سبيع حمزة حاكمي ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٦٦. متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع ـ القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي (ت٥٩٠هـ) ـ ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي ـ مكتبة دار الهدى للنشر والتوزيع ـ المدينة المنورة ـ ط٣ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٦٧. مجمع البيان في تفسير القرآن ـ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٦٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٦٩. مجمل اللغة ـ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت٣٩٥) ـ دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٧٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وساعده ابنه محمد ـ إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ـ المملكة العربية السعودية ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٧١. محاسن التأويل ـ جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) ـ وقف على طبعه وتصحيحه: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٧٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ـ تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٧٣. المحيط في اللغة ـ الصاحب إسماعيل بن عَبَّاد (ت ٣٨٥هـ) ـ تحقيق: محمد حسن آل ياسين ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٧٤. مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت٧٢١هـ) ـ تحقيق: محمود خاطر ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٧٥. مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) ـ تحقيق أحمد محمود عبدالسميع الشافعي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٧٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ـ تحقيق: سيد زكريا ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٧٧. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ـ شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج ـ دار صادر ـ بيروت ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٣٩٥هـ.

١٧٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين ـ دار الفكر ـ (لا يوجد رقم طبعة أو سنة نشر).

١٧٩. المسائل العسكريات في النحو العربي ـ أبو علي النحوي (ت٢٧٧هـ) ـ تحقيق: علي جابر المنصوري ـ الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ٢٠٠٢م.

١٨٠. المستدرك على الصحيحين ـ الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ـ دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٨١. المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية ـ حامد صادق قنيبي ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٩٨٤م.

١٨٢. مشكل إعراب القرآن - مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧) - تحقيق: حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت - (بدون رقم طبعة) - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٨٣. مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث - طنطا - ط١ - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٨٤. معالم التنزيل في التفسير والتأويل - أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٠هـ) - دار الفكر - لبنان - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٨٥. معاني القراءات - الإمام أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي - قدم له: د. فتحي عبدالرحمن حجازي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٨٦. معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) - عالم الكتب - بيروت - ط٣ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٨٧. معاني القرآن - الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي - تحقيق عبدالأمير محمد أمين الورد - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٨٨. معاني القرآن - علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) - أعاد بناءه وقدم له: عيسى شحاتة عيسى - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - (بدون رقم طبعة) - ١٩٩٨م.

١٨٩. معاني القرآن وإعرابه - الزجاج أبو إسحق إبراهيم السَّري (ت٣١١هـ) - شرح وتحقيق: عبدالجليل عبده شلبي - دار الوليد - جدة - ط١ - ١٤١٤ - ١٩٩٤م.

١٩٠. معجم البلدان - شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ) - تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٩١. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات - محمد حسن الشريف - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٩٢. المعجم الكبير - الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) - تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٩٣. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - عادل نويهض - مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر - ط١ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٩٤. معجم مقاييس اللغة ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ـ تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ـ دار الفكر ـ بيروت ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٩٥. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ـ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) ـ تحقيق بشار عواد معروف وآخرون ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٩٦. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ـ د. سالم محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٩٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٩٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية ـ نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٩٩. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ـ أبي علاء الكرماني (ت٥٦٣هـ) ـ دراسة وتحقيق عبدالكريم مصطفى مدلج ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٠٠. المفردات في غريب القرآن ـ أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) ـ تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان (بدون رقم طبعة).

٢٠١. المَفَضّل في شرح المُفَصّل ـ علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ) ـ تحقيق: يوسف الحشكي ـ إصدار وزارة الثقافة ـ عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية ـ ٢٠٠٢م.

٢٠٢. المقتضب ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ـ تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة ـ وزارة الأوقاف المجلس الأعلى لشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث ـ جمهورية مصر العربية ـ ١٣٨٦هـ.

٢٠٣. المقتطف من عيون التفاسير ـ مصطفى المنصوري ـ تحقيق: محمد علي الصابوني ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٠٤. المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجلّ ـ الإمام المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ) ـ تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٠٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل - أحمد بن الزبير الغرناطي - تحقيق: محمود كامل أحمد - دار النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٠٦. الملخص في إعراب القرآن - أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) - تحقيق: يحيى مراد - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٠٧. منار الهدى في بيان الوقف والابتدا - أحمد بن محمد بن عبدالكريم الأشموني - دار المصحف للعناية بطبعه ونشر علومه - دمشق - ط٢ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٠٨. مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٢٠٩. المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة القرآن والسنة - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - جمهورية مصر العربية - مؤسسة الأهرام - القاهرة - ط١٨ - ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢١٠. منجد المقرئين ومرشد الطالبين - شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢١١. من قضايا اللغة والنحو في كتاب النشر لابن الجزري - فؤاد أحمد السيد الحطاب - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة - ط١ - ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٢١٢. منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسير - رسالة ماجستير - إعداد: عبدالرحمن يوسف الجمل - إشراف: الدكتور فضل حسن عباس - الجامعة الأردنية - ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢١٣. موسوعة القرآن العظيم - عبدالمنعم الحفني - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط١ - ٢٠٠٤م.

٢١٤. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة - عباس حسن - دار المعارف بمصر - القاهرة - ط٥ - (بدون سنة نشر).

٢١٥. النشر في القراءات العشر - أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - (ت٨٣٣هـ) - دار الفكر - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٢١٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥) - خرج آياته وأحاديثه ووضع هوامشه عبدالرزّاق غالب المهدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢١٧. النكت والعيون (تفسير الماوردي) ـ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ) ـ مراجعة وتعليق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٢١٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ـ أبو السعادات بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري بن الأثير ـ تحقيق: طاهر أحمد المزاوي، ومحمود محمد الطناحي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢١٩. نهاية القول المفيد في علم التجويد ـ محمد مكي نصر الجريسي ـ راجعه وقدم له: طه عبدالرءوف سعد ـ مكتبة الصفا ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٠، ١٩٩٩م.
٢٢٠. النهر الماد من البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥) ـ تقديم وضبط: بوران وَهْدَيان الضناوي ـ دار الفكر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢٢١. النواسخ الفعلية والحرفية «دراسة تحليلة مقارنة» ـ أحمد سليمان ياقوت ـ دار المعارف ـ الإسكندرية ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٩٨٤م.
٢٢٢. الهادي شرح النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها ـ محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٢٢٣. وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ـ محيي الدين رمضان ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٢٢٤. وحي القلم ـ مصطفى صادق الرافعي ـ راجعه: درويش الجويدي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ طبعة جديدة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
٢٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكَان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).
٢٢٦. الياءات المشددات في القرآن وكلام العرب ـ مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق أحمد حسين فرحات ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ طبعة عمار الأولى ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑